

لمحات من
تَلْخِصُ الْفَلَاحُ

نألف
محمد علي الأشقر
بكالوريوس في الحقوق

منشورات
مؤسسة الأعلی للطبوعات
بيروت - لبنان
ص.ب. ٧١٢٠

لمحات من تَلْخِصُ الْفَرَائِجِ

تأليف
محمد علي الأسبق
بكالوريوس في الحقوق

قدم له
الدكتور جابر العطا

منشورات
مؤسسة الأعلی للطبوعات
بيروت - لبنان
ص.ب ٧١٢٠

كتابخانه مركز تحقيقات كامپيوتري علوم اسلامي شماره ثبت: ۰۱۴۳۸۰ تاريخ ثبت:

الطبعة الثانية

جميع الحقوق محفوظة ومسجلة للناسشر

١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م



مركز تحقيقات كامپيوتري علوم اسلامي

مؤسسة الاعلمي للمطبوعات:

بيروت - شارع المطار - قرب كلية الهندسة - ملك الاعلمي - ص.ب. : ٧١٢٠

الهاتف : ٨٣٣٤٤٧ - ٨٣٣٤٥٣

حكمة الكتاب

اني رأيت أنه لا يكتب إنسان كتاباً في يومه إلا قال في غده ، لو
غير هذا لكان أحسن ولو زيد كذا لكان يستحسن ولو قدّم هذا لكان
أفضل ولو ترك هذا لكان أجمل . . .

وهذا من أعظم العبر ، وهو دليل على استيلاء النقص على جملة
البشر . . .

العماد الأصبهاني

الاهداء

ارفع هذه الدراسة الموجزة إلى قائد الثورة الإسلامية ورائد الحق والعدل والحرية الرسول محمد (ص) تثنياً وإعجاباً بالجهود والمسااعي التي أبدأها في سبيل إيصال رسالة السماء إلى الناس كافة من أجل أن ينقلهم من جور الكفر وأسر الجهل وضيق الأفق إلى عدل الشريعة وحرية الفكر وسعة الدنيا والآخرة . . .

راجين منه (ص) الرضاء والقبول

كربلاء

محمد علي يوسف الأشيقر

تقريض

هذه باقة عطرة تفضل بها الشاعر الملهم
السيد مرتضى الوهاب مؤرخاً صدور الطبعة
الأولى من الكتاب



ومشمر عن ساعديه مفتح فأماط وجه البحر عن أصدافه فتوسط الميدان صحب يراعه مذجال فيه شبل يوسف كاشفاً (لمحت بجنتح الطف في تاريخها) ١٢١٧ + ٩٠ + ١٨٣ + ٤٧٨ = ١٩٦٨ م	بمصادر الذكر الحكيم مواهبه وأثار من ثبح الطريق جوانبه وأنصاع منتصراً ونال مآربه بالبحت من جيش الضلال كتائبه (لمحات فن للأشيقر صائبه) ١٠٨ + ٦٧١ + ٦٠٩ = ١٣٨٨ هـ

السيد مرتضى الوهاب

كربلاء

(١) توفي الشاعر المبدع السيد مرتضى الوهاب في ٢ / ٨ / ١٩٧٣ ودفن في مقبرة السادة آل خير الدين في الروضة العباسية بكربلاء .

المقدمة

للدكتور جابر العطا

تمر على الأمة الإسلامية عواصف كاسحة من تيارات الفكر الأجنبي الذي يتناقض مع الفكر الإسلامي المستنير جملة وتفصيلاً . . . ولو أن المسلمين قد تدبروا هذه الأفكار الوافدة ودرسوها دراسة موضوعية مستفيضة وأمنوا بها عن وعي وإدراك لها أن الأمر ، ولكنهم أخذوها أخذاً ببغاويًا وطبقوها تطبيقاً ألياً غير مدركين للآثار السيئة والعواقب الوخيمة الناجمة عن هذه الأفكار وهذه المفاهيم . . .

وان هذه النتيجة المؤسفة لم تك في يوم من الأيام نتيجة طبيعية واصالة حقيقية للأمة الإسلامية ، ولكن الاستعمار الكافر حينما هيمن وسيطر على أرضنا مستغلاً نفوذه وكل ما لديه من وسائل وأنظمة وقوانين ، تمكن أن يركّز هذه الأفكار المستوردة والشعارات الزائفة والنظم الجائرة لا في عشية وضحاها بل بأعوام عديدة وظروف عصيبة حتى أصبحت هذه وكأنها من بنات أفكارنا وطبيعة كياننا . . .

ولم يك هذا الانهيار وهذا التدهور مقتصرًا على جانب من جوانب الحياة أو ناحية من نواحي المجتمع ، ولكنه تدهور في السلوك وانهيار في المثل والمفاهيم وتخلف وانحطاط في النظم والقوانين . . .

ومن هنا بات لا ينفع الاصلاح السطحي والعمل الترقيعي بل لا بد أن يكون العلاج جذرياً والتغيير شاملاً . .

وان هذا التغيير لا بد وان يستوعب النفس حتى يكون السلوك اسلامياً وتكون مناهج الحياة كلها على أساس الاسلام استجابة لقوله تعالى ﴿ ان الله لا يغير ما بقوم حتى يروا ما بأنفسهم ﴾ (١) .

فالتغيير بالاسلام هو الأخذ بكافة تعاليمه وارشاداته لأنه نظام كامل فيه من المرونة والحيوية ما يجعله صالحاً للتطبيق في كل زمان ومكان تلبية لقوله تعالى : ﴿ اليوم أكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً ﴾ (٢) .

والاسلام مرّ بمرحلة تطبيقية رائعة وعاشت الأمة في ظله حتى غدت أرقى أمم العالم جميعاً وأسماءها ، ولكن حينما تخلت الأمة عن الاسلام في مجاله العملي تدهور أمرها إلى أسوأ مما كانت عليه قبل الاسلام ، وان هذا الشيء ليدل دلالة واضحة واكيدة على انه لا سعادة للبشرية إلا بالشرعية الاسلامية التي قال عنها الامام علي - عليه السلام - « لا يسعد أحد إلا باتباعها ولا يشقى أحد إلا مع جحودها واضاعتها » .

هذا ونشير بهذه المناسبة إلى ان مصادر هذه الشريعة هي أربعة :

- ١ - القرآن الكريم .
- ٢ - السنة النبوية الطاهرة .
- ٣ - الاجماع .
- ٤ - العقل .

لذا كان لا بد أن يكون المصدر الأول وهو كتاب الله موضع اهتمامنا نهتدي بهديه ونستضيء بنور علمه وفقاً لقوله سبحانه ﴿ افلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كبيراً ﴾ (٣) . .

(١) النساء : ٨٢ .

(٢) المائدة : ٣ .

(٣) الرعد : ١١ .

والاستاذ - الأشيقر - قد عرض في مؤلفه هذا عرضاً موجزاً لعدة جوانب من كتاب الله وبالخصوص الكيفية بها حتى صار بالشكل الذي نراه اليوم وكما أنزله الله تعالى من دون زيادة أو نقصان مثلما قرر في محكم كتابه الكريم ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾^(٤) إضافة إلى تفسيره واعجازه ونزوله ومكيه ومدنيه وناسخه ومنسوخه ومحكمه ومتشابهه وحروفه والعناية به الخ وهو عرض جميل في بابه وشيق في أسلوبه وبديع في عرضه ونشره . .

وختاماً نسأله تعالى ان يوفقنا جميعاً لما يحب ويرضى انه المولى ونعم الوكيل . .



مركز تحقيقات كليات العلوم الإسلامية
الدكتور جابر العطا

البصرة
١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م

(٤) الحجر : ٩ .

تصدير

لست أدري انى سيكون موقع كلمتي هذه من الكتاب ولست اعرف ما هو ترتيبها عند التبويب لأنني اجهل ماهيتها حقاً ، فهي لم تكن تقريرياً لتحتل مكان الصدارة ولم تكن مقدمة لتأتي تمهيداً للبحث ، أضف إلى ذلك ان التقرير قد سر غوره الدكتور العطار والمقدمة قد فرغ منها المؤلف ..

لذا اراني ملزماً بالاعتراف واقولها كلمة جريئة باني طارىء على الكتاب دخلت فيه فضولياً رغبة في الظهور على مسرح التأليف وطمعاً بالشهرة والجاه وارضاء الغرور العام ..

كان هذا شعوري عندما طلبت إلى الأخ الأستاذ الأشيقر (وهذا خلاف المعتاد) حشر كلمتي في كتابه الأول ، واعتقد أن الصراحة التي برزت من بين سطورها ستكون شفيعاً لدى القارئ الكريم ومبرراً يجد فيه الإستمرار بقرائتها ليولينني من عطفه بعض ما اصبو إليه وليمنحني من ثقته قليلاً مما ارنو إليه ..

ومن حقت أيها القارئ العزيز ان تسأل عن سبب هذا الألحاف وتعرف هذا الألحاح سواء إلى المؤلف أو إليك أنت بالذات ، وعلي أن أجيب بنفس الصراحة والجرأة ، فالكتاب الذي بين يديك لم يك جديداً

في هذا الباب ولا الأول في الموضوع فقد كتب فيه العديد من المؤلفين قديماً وحديثاً وتناولوا موضوعاته بالبحث والتمحيص منهم المسهب المطنب ومنهم المختصر المختزل ، ونظرة عابرة إلى مصادر البحث في خاتمة الكتاب تغني عن الدليل . .

فالقرآن وجد مع بعثة الرسول القائد واستمر حديثاً يردده الزمن وتصغى إليه الأجيال خالداً خلود الدهر ويرسم للبشرية طريقها المشرق ويجدد أبعاد سعادتها المنشودة ويوضح أسباب شقائها المتوقع فهو الدليل على الخير والهدى على سبيل النجاة وفقاً لقوله تعالى ﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلتي هِيَ أَقْوَمُ ﴾^(١) . .

وموضوع هذا فحواه وذلك محتواه هو جدير بالكتابة والدرس والإعادة والتكرار وحري بي خاصة وأنا أريد أن أجرب حظي في الكتابة أن أسهم بكتابة بعض السطور مسترشداً بهدي القرآن ومستهدياً بنور محمد (ص) فأقول إن المؤلف وهو يهدي باكورة إنتاجه قد حالفه التوفيق في اختيار الموضوع وقد جاء كتابه هذا تحقيقاً للرغبة التي خامرت منذ زمن بعيد ، فحوضه في هذا البحث لم يجد فيه صعوبة أو كبير عناء كما يدعي - أو بالغ في تقدير الصعوبة لأن تربيته الدينية الخاصة وملازمته لرجال العلم منذ نعومة أظفاره وشغفه بقراءة القرآن وحفظه لمعظم سورته فضلاً عن آياته استظهاراً كانت كلها أسباباً ومبررات كما اعتقد يسرت عليه الخوض في هذا الموضوع ومهدت السبيل للولوج فيه ، فهو شاب مؤمن نشأ في طاعة ورع تقى يبتغي مرضاة الله فلا عجب إذا أحسن الاختيار ولا غرابة إذا اختار الأحسن . .

وقد كان في مسوري وأنا القارئ الأول تبيان مواقع الاستحسان والاشادة بها أو مواضع الانتقاد والاشارة اليها لو تمهلت في قراءة مسودات الكتاب ، ولكنني آثرت السرعة إيفاء بوعدتي للمؤلف معتقداً أن

القارئ الكريم سينوبني في هذه المهمة وستولى هو تقديم كشف الحساب بأسلوب رفيع مجرد من العاطفة والذاتية إذا ما رغب في ارتقاء منبر النقد أو اعتلاء اعواد التقريض واحسب ان المؤلف سيقابل كل ذلك برحابة صدر . .

فإليك يا أخي الكريم وأنت تقدم كتابك الأول الف تحية وألف سلام راجياً لك كل خير ، والله سبحانه ولي التوفيق . .

عبد الأمير ذياب

بكالوريوس في الحقوق



مركز تحقيقات كميونير علوم إسلامي كربلاء

١٣٨٥ هـ / ١٩٦٥ م

إستهلال (١)

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على الرسول الأمين
وعلى آله الطاهرين وصحبه المنتجبين وبعد :

فعندما خامرني فكرة أو محاولة الكتابة عن القرآن الكريم الذي هو
أحد مصادر الشريعة المهمة وأصل الفقه الاسلامي كنت أظن واتصور
جازماً بأن الخوض في مثل هذا الميدان سيكون سهلاً ويسيراً وستكفل
بالنجاح ومن دون تحمل كبير عناء أو عظيم مشقة ، وذلك اعتماداً على
ان الابحاث والدراسات الاسلامية وخصوصاً ما يتعلق منها بالقرآن الكريم
كانت قد مرت عليّ كثيرًا سواء في خضم الحياة الدراسية أو غمرة
المطالعات والتبوعات المستمرة في بطون الكتب وزوايا المؤلفات التي
تركها لنا المؤرخون الراحلون أو تلك التي خطتها أقلام الكتاب
المعاصرين ، وان الأمر بعد هذا لا يتجاوز أو يخرج عن تسجيل كل أو
بعض ما علق في الواح الفكر عن الموضوع في الأوراق والمسودات
ليمكن بعد ذلك طيها وحملها إلى المطبعة لتصبح بعد حين كتاباً أو
دراسة يوضع بين يدي القراء أو في دواليب المكتبات ودور الكتب . .

كانت كل هذه التصورات والأفكار تطوف في مخيلتي قبل الانقطاع
لأعداد هذه الدراسة الموجزة عن القرآن المجيد ، ولكن تجلّى لي ذلك

(١) هذه هي مقدمة المؤلف على الطبعة الأولى من كتابه ، وقد وصح لي هذا
العنوان بسبب تولي الدكتور العطا كتابة المقدمة . .

وبوضوح وعند البدء والشروع في اعداد هذا البحث ان كل الأفكار المعقودة قد تبخرت وتلاشت وأن كافة التصورات والظنون المرجوة قد سقطت من عليائها ، وان كل ما امكن حفظه وجمعه من معلومات لم تكد تتجاوز عند ترجمتها إلى أوراق التسويد عن عدة صفحات من دون ان يجمعها نظام خاص أو يوحدتها تنسيق معين .

وطبيعي ان هذه النتيجة المؤلمة التي عشتها لفترة طويلة قد بعثت في النفس اليأس والجزع واوشكت ان تعصف بالمحاولة وترديها لولا ان تداركها الله سبحانه في اللحظة الأخيرة فبعث فيها شيئاً من الرجاء والأمل فقلب المحاولة إلى تصميم والتجربة إلى ارادة والفكرة إلى تنفيذ .

هذا وفي الحقيقة ان المصادر والمراجع التي تبحث في موضوع القرآن الكريم قد كانت لنا عوناً كبيراً في طريق اعداد وتهيئة هذه الدراسة ، إلا انه لا يمكن - في نفس الوقت تناسي أو تجاهل الجهد والعذاب البالغين الذين يلقيهما المرء عند جمع مواد القرآن وتوحيدها وتنسيقها وربما شرحها والتصرف بها بما يناسب ويمشي خطة الكتاب ، لا سيما إذا ما عرفنا بان كثيراً من المصادر والمراجع المذكورة هي قديمة وطويلة حيث تستنزف من المرء جهداً ووقتاً وعناء طويلاً للحصول والعثور على رأي معين أو نقطة صغيرة ، فكيف هو الحال سيكون عند السعي للوقوف على آراء العشرات من المؤرخين والكتاب أو توحيد مواضيع وأبحاث عديدة لإبراز الرأي والاتجاه المفضل والمقبول . .

ان الصعاب والمشاق التي نتحدث عنها الآن قد تنعدم أو تخف بلا شك بوجه الأدباء والكتاب العظام عند الكتابة عن مثل هذا البحث أو غيره ، ولكنها - الصعاب والمشاق - تفرض وجودها حتماً أمام كل شاب مبتدئ لم يعرّك ميدان التأليف والكتابة من قبل إلا من بعض المقالات والكلمات العابرة التي حررت على عجل لتأخذ مكانها على إحدى

النشرات المدرسية أو في إحدى المجلات الفصلية أو لتلقى في مناسبات دينية ووطنية . . .

ورغم كل هذا وذاك فقد تمكنت - بعون الله - من وضع هذه الدراسة الموجزة التي تبحث عن القرآن الكريم ابتداءً من ساعة نزوله على الرسول الكريم (ص) إلى لحظة اختتامه فضلاً عن الإشارة العابرة إلى بعض الأبحاث المتعلقة والمرتبطة به مثل جمعه وتفسيره واعجازه وحروفه وأسباب نزوله . . . « الخ » لغرض تقريب كل ذلك من أذهان المسلمين ، لأن العام واحاطة المسلمين بذلك سيمنحهم من الذود عن أنفسهم وافشال خطط اعدائهم في الطعن بكتاب الله وبالتالي القضاء على عقيدتهم ومبادئهم . .

وأشير بعد هذا باني قد راجعت أو وقفت - في سبيل اعداد هذه الدراسة - على أكثر من مائتين كتاب ومصدر تخص مختلف الطوائف والملل الإسلامية وقد تم الإشارة إلى بعضها في ثنايا هذا الكتاب كما وتم سرد قسم كبير منها في نهاية الكتاب لغرض الرجوع إليها عند طلب المزيد من التتبع والاطلاع والتوسع . .

ان غالبية المراجع والمصادر المشار إليها متوفرة في المكتبات المركزية بالمحافظات العراقية فضلاً عن المكتبات الحكومية أو الأهلية الأخرى ، كما أن مكتبي المتواضعة هي الأخرى تضم كل هذه المراجع والمصادر وأرجو من الله أن يقيض لها المكان المناسب ليتمكن قلبها إلى مكتبة عامة ليتاح لجمهور القراء الاستفادة من كتبها التي تبلغ عدة آلاف وتبحث في كل علم وفن . .

هذا واني عند اعدادي لهذه الدراسة عن القرآن الكريم لم افكر قط في كسب نفع مادي أو بلوغ هدف دنيوي بعد ان اسبغ الله تعالى عليّ بركاته ، وانما آثرت منه ومن الكتاب الآخر الذي سيعقبه

مباشرة^(٢) ان يكونا خالصين لوجه الله تعالى وان يسهما مع بقية الكتب الاسلامية الهادفة في خدمة الفكر وتوعية المسلمين وتوجيههم مع تذكيرهم بأن الغد سيكون لهذه العقيدة والمستقبل لهذا الدين . .

وبعد فاني حين أطوي هذه المسودات والأوراق والتي كتبتها على عجل وبمتهنى الإيجاز والاختصار في غضون ستة أشهر ، كما وكلفني استنساخها وتهذيبها لعدة مرات ما يقرب من السنة حين أطويها لانقلها من قعر مكتبتي إلى مكانها المقرر من المطبعة لأشعر حقاً بمدى التقصير والاضطراب الذي يلّم بها ويحيطها احاطة السوار بالمعصم سواء أكان ذلك في الأسلوب أو في ضعف المستوى أو في الاغلاط والهفوات والتي سوف لا تخفى حتماً على فطنة القارئ الكريم عند طوافه وتجوّاله

(٢) يحمل الكتاب الآخر عنوان « أضواء على شبه القارة الهندية - دراسة موجزة للأوضاع الاجتماعية والطبيعية والإقتصادية والسياسية والسياحية في الهند ، الباكستان ، بنغلادش ، سريلانكا ، النيبال ، بوتان » ويقع في ٥٠٠ صفحة وقد فرغ المؤلف من اعداده منذ أمد طويل وهو جاهز للطبع في أي لحظة والكتاب هذا معزز بالخرائط والصور المختلفة التي تقرب المواضيع الواردة فيه إلى ذهن القارئ لتسهّل هضمها واستيعابها . .

كما أن الكتاب يضم (٣٠) فصلاً منها « في الطريق إلى شبه القارة الهندية ، الأرض وتضاريسها السكان واصلهم ، المناخ والغابات ، الأنهار والبحيرات ، الزراعة والري ، الثروة الحيوانية ، الصناعة والمعادن ، الطرق والمواصلات ، اللغات واللهجات ، الأديان والمعتقدات ، صور من العادات والطبائع الغريبة ، مسيرة الإسلام إلى شبه القارة ، الدولة الغزنوية والغورية والمغولية ، الإستعمار الأوربي يطرق أبواب شبه القارة ، الثورة الهندية الكبرى ، نهضة المسلمين بعد كبوتهم ، اعلام الحرية »

علماً بأن الدوافع التي حدث لإعداد هذه الدراسة عن شبه القارة فقد عدّها المؤلف في مقدمته ويمكن إيجازها في النقاط التالية :

١ - كون شبه القارة هي موئل الغرائب ومحيط العجائب ولما تضم بعد ذلك من الآثار التاريخية والفلسفات والعقائد والعادات والأعراف البشرية والطبائع المختلفة والمفارقات العجيبة . .

باجواء هذا الكتاب ، أملاً منه مشكوراً تعريفي عن كل ذلك ليتاح لي تلافيه مستقبلاً فيما إذا قدر لهذا الكتاب أن يرى وجه النور للمرة الثانية أو عند التهيؤ لكتابة بحث أو دراسة أخرى . .

وإذا كان لي مجال هنا لشكر أحد على مساعدتي في اخراج هذا الكتاب أو الايحاء لي بفكرته فهو أستاذي الكبير الشيخ عبد الزهراء الكعبي والطبيب الانساني الخالد الذكر الأخ جابر العطا في البصرة (في بعقوبة حالياً) والزميل المحامي الحاج محمد علي النصراوي ، وفي

٢ - موقف أقطار شبه القارة المساند لقضايا العرب والعروبة ولا سيما قضية فلسطين . .

٣ - العلاقات الوثيقة التي تربط شبه القارة بكثير من الأقطار العربية ومنها العراق ودول الخليج . .

٤ - طبيعة أخلاق ابناء المجتمع في شبه القارة وسلوكه وتصرفاته ازاء السواح والقادمين إلى ديارهم . .

٥ - انتشار اللغة العربية وتواجدها والمنتجات المعروضة في مخازن وأسواق المدن هناك وتواجدها بصورة وفيرة على مدار السنة ومن دون شحة بعضها أو نفاذها . .

٥ - انتشار اللغة العربية وتواجدها في تلك الديار ولا سيما عند سكانها من المسلمين وعلمائهم . .

٦ - رخص المواد والبضائع والمنتجات المعروضة في مخازن وأسواق المدن هناك وتواجدها بصورة وفيرة على مدار السنة ومن دون شحة بعضها أو نفاذها . .

٧ - ما جاء على لسان الكاتب الهندي الكبير السيد عبد العلي الحسيني الندوي من أن شبه القارة الهندية العامرة بالرجال والماضي لم تزل من عناية الكتاب العرب . . لذا قمتُ باشعار هذا الكاتب العظيم بأن العرب لم يألوا جهداً بالكتابة عن شبه القارة وأحوالها وشؤونها المختلفة . .

نأمل أن يرى هذا الكتاب وجه النور في وقت قريب ليتمكن القاريء من الاطلاع على عصارة وحصيلة أكثر من (٢٥) رحلة قام بها المؤلف إلى تلك الديار ومن شمال سرينكر وإلى جنوب كولمبو ومن كراجي إلى جنوب شيثا كونغ عند الحدود البرمية . .

الحق فإن هذه الدراسة هي من بنات أفكارهم ووحى توجيهاتهم
وارشاداتهم . .

وختاماً أشير - للمرة الثانية - إلى أن هذه التجربة في الكتابة هي
الأولى التي نمتحن فيها ولست أدري هل ستكون هذه حافزاً للوثوب إلى
تجارب أخرى أم أن خط سيرنا ومسار سفيرتنا سيقف عندها . .

والله اسئل - وله الحمد - أن يتقبل هذا الجهد المتواضع ويوفقنا
وسائر المسلمين للسداد والصواب أنه ولي النجاح والتوفيق . .

محمد علي يوسف الأشقر

كربلاء

١٣٨٦ هـ / ١٩٦٦ م



مركز تحقيقات كنج پوز علوم اسلامی

هذا الكتاب في طبعته الثانية

موضوع القرآن بحر مترامي الأطراف ومتلاطم الأمواج ليس في
مكنة المرء ولا في قدرته أن يسير غوره أو أن يدرك كنهه من غير أن
يحسب له ألف حساب ومن دون أن يتجهز له ويستعين بمختلف الأسلحة
والعدد الكافية . .

وهذه الأسلحة وتلك العدد لا يمكن أن تنال أو تكسب بجرة قلم
كما ولا يمكن أن تنهياً بالسهولة واليسر الذي قد يتصوره البعض وكما هو
الحال في سائر المواضيع والأبحاث ، وإنما دونها مراحل طويلة وفواصل
كبيرة محفوفة بالأتعاب ومحاطة بالتضحيات ينبغي على كل فرد أن يطرقها
وأن يمر عبرها قبل أن تصل أو يقع في يده شيئاً منها . .

وليس في أبحاث هذا الكتاب ومواضيعه ما يستشف أو توحى من
قريب أو بعيد إلى أنها تنحو إلى كشف ماهية القرآن أو حقيقة أسرار
ومراميه القصية بسبب أن كشف هذه الماهية وإزاحة الغطاء عن هذه
الأسرار والابعاد يتطلب حتماً اجتياز وتخطي بعض أو معظم المراحل
والفواصل المتقدمة ، وهذا ما لم نحققه بعد وهو ما لم نوفق إليه أيضاً
بعد على الرغم من وجود بعض المحاولات والتشبهات البدائية والأولية
في هذا السبيل وهي إلى الفشل والاختفاق أقرب منها إلى النجاح
والتحقيق . .

وهذا الكلام يفرض علينا - حتماً - التساؤل التالي وهو انه إذا لم تكن في ابحاث هذا الكتاب ولا في مواضيعه المتعددة ما يشير إلى بعض أو كل ماهية القرآن أو حقيقة أسرارهِ ، فبأي شيء اذن - تبحث سطورهِ ولأي هدف رتبت صفحاتهِ وضمت بين دفتي هذا الكتاب . .

ان جوابنا القاطع على مثل هذا التساؤل لا يخرج عن القول والاشارة إلى أن مواضيع هذا الكتاب وفصولهِ انما كتبت وحررت فمن أجل أن تؤرخ للقرآن من الدققة الأولى التي نزل بها على صدر الرسول العربي (ص) إلى اللحظة التي تقرر فيها أن تكون ختامه ، ومن ثم فهي قد تتجاوز على ذلك شيئاً لتتولى تعريفهِ ليتمكن تمييزهِ - القرآن - عن بقية الكتب والدراسات ، وانها بعد هذا وذاك قد تتقدم خطوة أخرى إلى الأمام لترشد القارئ الكريم إلى العلامات والنقط الموصلة إلى أبوابهِ المختلفة وأبحاثهِ المتعددة . .

ورغم ان هذا الكتاب هو تاريخ موجز لمراحل نزول القرآن الكريم وتعريف بصفاته واسمائه - كما تقدم - وهذا لا يتطلب ممن يكتب من ذلك أن يكون ذا باع طويل أو نصيب وافر في العلم والتدقيق كالتي يحتاج إليها عند البحث في ماهية القرآن الكريم وأسراره الخفية ومقاصده الحكيمة . .

لذا لم أغفل عن احاطة القراء الكرام - عبر الطبعة الأولى للكتاب - بضرورة اشعاري وتنبيهي إلى كافة ما سيجدوه في هذه الدراسة من مثالب ونواقص ربما وقعت فيها عن سهو أو نسيان أو عدم التفات أو جهل . . كما وأشرت مراراً في نفس الوقت إلى انني كاتب ناشئ وان هذا الجهد المتواضع الذي اقدمه هو باكورة ما قمت به في ميدان التأليف وعالم النشر مما يدعوا لوجود وبروز مآخذ ومثالب لا يمكن تجاوزها وتلافيتها من دون التنبيه إليها أو الاشارة لها من أجل أن يغدو هذا البحث وهذا الجهد

الصغير متكاملًا أو على الأقل قائماً على قدميه فيما إذا قدر له ان يرى
النور مرة ثانية . .

ان كثيرين من القراء والأصدقاء الكرام قد كانوا عند حسن الظن ،
حيث تكرموا باشعاري بتفصيل أو ايجاز عن سائر نواقص الكتاب ومثالبه
فضلاً عن الملاحظات التي يجب أن تؤخذ بنظر الاعتبار عند الطبعة
الثانية ، ودوري فقد توليت بوضع كل ما جاءني من هؤلاء الأخوة موضع
التنفيذ والعمل وتجلى أثرها ساطعاً على صفحات هذه الطبعة الجديدة
للكتاب . .

وإذا كان ولا بد من الإشارة أو الاستشهاد بواحد أو أكثر من هؤلاء
الأصدقاء فهو استاذي الجليل وخطيب كربلاء الشيخ عبد الزهراء
الكعبي^(١) الذي غمرني بلطفه فقدم لي كشفاً مفصلاً عن الكتاب برمته
وقد توجه بمقدمة موجزة شكر فيها المتاعب والمساعي التي صرفت
لاعداد هذا البحث الذي يحتاج إليه المجتمع - ايما احتياج - في هذا
الوقت والذي تكالبت فيه القوى المادية الكافرة للاجهاز على ديار
المسلمين والنيل من مقدساتهم وراثتهم

كما واشير إلى رسالة الأخ الفاضل السيد جواد آل بحر العلوم من
كربلاء والتي يقول فيها بالحرف : « » وقد طالعت كتابكم القيم
فوجدته طبقاً للواقع حيث انه لمحة من لمحات القرآن الكريم وانتقلت

(١) بالرغم من شهرة الشيخ الكعبي في أكثر من ميدان ومجال ، إلا أن شهرته في
العالم الإسلامي جاءت عن طريق قراءته لمقتل الإمام الحسين - ع - في العاشر
من محرم من كل عام وتتولى إذاعة الجمهورية العراقية نقله ، ولقد توفي الأستاذ
الكعبي في ليلة وفاة الصديقة فاطمة - ع - وذلك مساء الخميس ٦ / ٦ /
١٩٧٤ . .

من نميركم العذب وتنور بصري بنور بصيرتكم الفياضة واستحسنتم كثيراً
تلك الاساليب التي اهتديتم إليها في نظم هذا العقد الثمين من الشرح
في مناسبات السور والبيان عن حكمها واعجازها وكبرت فيكم تلك
الروح السامية وعظمت فيكم العبقرية الراقية التي كانت حصيدها هذه
اللمحات من النور وحسن الارشاد والتي برهنت بانها جوهرة في لجة
المعروف ، ولقد جرى على لساني وأنا مطرق في المطالعة هذه العبارات
الوجيزة :

كتاب قد حوى أسمى المعالي يفوق المسك من حسن البيان
فشكراً يا أخا العلياء شكراً لقد اتحفني روض الجنان

ومن كربلاء أيضاً وردتنا الرسالة التالية من السيد عباس هاشم
الطباطبائي نقتطف منها الأسطر التالية : « . . . لقد سبرت غور هذا
السفر الجليل والكتاب القيم الجدير بالذكر والتبجيل الموسوم بـ
« لمحات من تاريخ القرآن » لمؤلفه جناب السيد الشاب المفضل والمؤمن
الحق الأستاذ السيد محمد علي الأشيقر - حفظه الله تعالى - على عجل
فالفيتة بحثاً مستفيضاً شاملاً جامعاً مستوعباً لمعظم المعلومات التي لا بد
لكل مسلم أن يتطلع إليها ، ولا يشك ذو دراية بان السيد الاشيقر - وفقه
الله لمرضاته - قد انفق أياماً من عمره الشريف المديد في انتقاء أفضل
المعلومات واثقها من بطون الكتب القديمة والحديثة وحاول بلباقته
ومنطقه السديد أن يضيف عليها صبغة من البساطة والتدرج بحيث تغني
الباحث وعشاء البحث وعناء السهر والتنقيب ، وحاول بكل جدارة الموافقة
بينها بحيث يجد كل مستفيد بغيته ، واعجبني من ذلك أيضاً طراوة
اسلوبه وعذوبة عرضه وحلو حديثه حتى سحرني بيبانه - وايم الحق - ان
اقضي سهرة ممتعة مع بحثه المستفيض من دون أن أشعر بالساعات وهي
تمضي سراعاً ، فتضرم ساعات الليل مدبرة على غرة ويطالعني الصبح

بضوءه فجأة وبدون سابق انذار ، وباختصار فان الكتاب يستحق التبجيل والتقدير والاعجاب وهو بعد ذلك باكورة عمل السيد الاشيقر وأول خطوة يخطوها في ميدان التأليف والتصنيف ، فبوركت يا سيدي الاشيقر على اداء هذه المهمة واسداء هذه الخدمة . .

وقد خطر ببالي وانا اختتم كلمتي ان اسجل لك هذه الايات :

طاب ذكر لك ما فيه هنات	لم يكن يطوي لما فيه صفات
انما الانسان فان وترى	بعده الأعمال تبقى صالحات
فكتاب يورث الناس هدى	ثم نجل صالح أو صدقات
فخلو المرء منها دائم	وسوى هذا فقد يعنى الممات
فذر الغفلة في دنيا الهوى	واكتسب علماً بقي العلم حياة
إنما الجهل لسجن مظلم	وبه الانسان يلقي العشرات
فأتى من آل طه كاتب	اشرقت بالفكر منه الظلمات
لمحات من كتاب الله قد	جاء في شرح له بالبينات
فجزاه الله خيراً إذ أتى	بكتاب هو للفكر نواة
في بحوث لم تكن قد طرقت	مثل هذا بوركت من خطوات
هذه الأفكار تبقى ارخو	« طبعت فخراً فهاؤم لمحات »

(————— ١٩٦٨ —————)

ومن كربلاء كتب لنا الأخ الأستاذ علي عبود أبو لحمة يقول :
« لقد طالعت كتابكم القيم الخالد - لمحات من تاريخ القرآن -
فاعجبني جداً تنظيمه وتبويبه واسلوبه فضلاً عما يضم بين طياته من تاريخ
موجز للآيات الكريمة واسباب نزولها وتفسيرها وجمعها والمحكم
والمتشابه منها وإلى غير ذلك من الابحاث والمواضيع الغامضة التي
تجهل معظمها نحن ابناء الاسلام ، ولا سيما في هذا العصر الذي

تكالبت فيه القوى المادية والبدع والضلالات للاجهاز على جوهر
الرسالات السماوية ، وحرى بي - أيها الأخ - ان اشكر لك هذه الجهود
الجبارة التي بذلتها في هذا السبيل والتي لم تتوخى منه إلا رضا الله
وطاعته ، علماً بأن القارئ الكريم سوف لا يستكثر عليك هذا الجهد إذا
ما علم بانك من الدعاة الأوائل لحركة الوعي الاسلامي المعاصر في
كربلاء »

ومن كربلاء أيضاً وردتنا من الأخ الحاج محمد علي الشاوي
النجفي الكلمة التالية وقد جاء في شطرها الأخير « ان كتابكم
(اللمحات) قد جاء تحفة فنية رائعة ولقد بذلت مجهوداً عظيماً في
اخراجهِ إلى حيز الوجود ، سائلاً المولى تعالى أن تبذلوا قصارى جهودكم
في المستقبل القريب لإخراج السفر الثاني ألا وهو - أضواء على شبه
القارة الهندية - لكيما يطلع أبناء محمد (ص) على الأوضاع في اقطار
شبه القارة الصديقة والتي وقفت جنباً إلى جنب معنا أيام محتتنا بل
شاركتنا السراء والضراء في قضايانا المتصورة . ولا زلت موفقين بدعاء
أخيك (البار) .

ومن كربلاء جاءتنا رسالتين ثمينتين من السيدين سلمان هادي
الطعمة وحميد مجيد هذو وقد توليت نشرهما مع فصلين مستقلين
لأهميتهما لا سيما وان محرريهما من رواد الفكر والأدب المعاصر في
كربلاء .

أما من النجف الأشرف فقد طالعنا كلمة العلامة المجاهد السيد
محمد علي الحمامي وقد قمت بدرجها في الفصل التالي لما تضم من

ارشادات وهداية للمسلمين عامة ولواضع هذه الدراسة خاصة .

كما وتلقيت من النجف الأشرف كلمة أخرى حررها يراع الأخ السيد عبد الجبار كاظم الهاشمي حيث يقول فيها بعد التحية والسلام :
« لقد ضم كتابكم الكريم - لمحات من تاريخ القرآن - بين جوانبه كما يبدو من عنوانه ، واني عندما تفرغت لمطالعة الكتاب ودراسته وجدتني منهمك بدراسة الفقه واصوله والفلسفة وابعادها ، ثم رأيتني أخوض تاريخ العصور السالفة ومعالم الأمم الماضية بما تضم من قصص الأنبياء والمرسلين وكيف قام هؤلاء بايصال رسالة السماء إلى الأرض ، وسرني في الكتاب كثيراً هوامشه وما تضم هذه من معلومات لا يستغني عنها كل باحث وكل أديب مثقف ، وفقت يا أخي الاشيقر في مسعاك وجزاك عنه خير الجزاء وحفظ امتنا الكريمة من كل مكروه وقادها تلقاء النصر والسؤدد .

اما من ثغر العراق الباسم البصرة الفيحاء فقد أطلت علي رسائل عديدة كانت في طليعتها رسالة الامام المجاهد السيد أمير محمد القزويني الكاظمي ومما جاء فيها « لقد اطل علي كتابكم « لمحات من تاريخ القرآن » فطالعت جملة من فصوله فحمدت الله تعالى على ما أولاكم من قوة وجودة في الاسلوب وعمق في التحقيق ورصانة في الكلام ومتانة في التدقيق فحيك الله علماً للفضيلة ومثالاً للأدب ودعوته أن يمدكم بعونه ويرعاكم بعينه ويجعلكم من الدعاء إلى طاعته والقادة إلى سبيله بمنه وكرمه انه بالإجابة جدير والسلام عليكم وعلى من لديكم من اخواننا المؤمنين » .

ومن قضاء المدينة بمحافظة البصرة اشرفت علينا الرسالة الكريمة التي دبجتها يراع عالم البلدة الكبير وخطيبها المصقع العلامة الشيخ علي آل حيدر^(٣) ومما جاء في رسالة الشيخ علي : « انها لسعادة غامرة أن يقع في يدي كتابكم القيم - لمحات من تاريخ القرآن - هذا الكتاب الذي طالما رجوت مني قبل طبعه أن استعرض مسوداته وملازمه من أجل تصحيح ما وقع فيها من اخطاء وهفوات ، والحقيقة اني لم اعثر في تلك المسودات ما يستحق التصليح بل خرجت منها شاكراً لك همتك القعساء في اعدادها ومكبراً فيك الجهد الذي بذلته في تنظيمها وجمعها فجزاك الله عن الاسلام خيراً مع تحياتنا لسائر الأخوان المؤمنين في بلد الامام الحسين - ع - » .

ومن بغداد دار السلام وردتنا الرسالة التالية من السيد محمد الحيدري معتمد مكتبة أهل البيت العامة وقد جاء فيها « تلقينا - بكل اعجاب وشكر وتقدير - هديتكم الثمينة وكتابكم النفيس « لمحات من تاريخ القرآن » فتصفحناه فاكبرنا ما بذلته من جهد وعناء وما قدّمته من دراسة قيمة واحاطة شاملة وهو ان دل على شيء فانما يدل على ما تتمتع

(٣) الشيخ علي آل حيدر امام قضاء المدينة وقد عرقته خلال عملي في ذلك القضاء - الناحية سابقاً - كمدير لها ، وهو اضافة لكونه عالماً للبلدة هو أحد خطباء المنبر الحسيني ، له عدة مخطوطات وقفت عليه فضلاً عن قصائد عديدة في الادب الحسيني وغيره ومنها القصيدة التي جاء في مطلعها :

جعل الله بين قبر حسين وأخيه معنى على التحقيق
فهو بيت والناس تآني إليه كل عام من كل فج عميق

والشيخ حيدر هو شقيق الشيخ أسد حيدر مؤلف كتاب « الإمام الصادق والمذاهب الأربعة » وشقيق الشيخ طالب حيدر عالم وامام الديوانية ، وقد توفاه الله يوم ٥ صفر عام ١٣٨٧ المصادف لسنة ١٩٦٧ عن خمسة أولاد ونقل جثمانه ليدفن في النجف الأشرف - رحمه الله - .

به من فضل كبير وأدب جم ومثابرة في سبيل البحث والتمحيص ، بارك الله فيك وسدد خطاك » . .

أما من الديوانية فقد حمل الينا البريد رسالة رقيقة من زميلنا المحامي محمد جواد عطا وهما نحن أولاً نورد بعض ما تضم من عبارات ، يقول الاستاذ عطا : « . . . تصفحت كتابك وسررت بالغ السرور بهذا التاج البكر الذي يضم خلاصة تتبعاتك الفكرية وما تؤمن به وتلتزم . . . عرفتكم يا أخي مؤمناً تخاف الله وتخاف عصيانه على جانب عال من الخلق المتين والايمان بالله واسلامه متحلياً باخلاق الاسلام مقتدياً بزعيمه النبي العربي الامي - ص - الذي قاد الأمة من دياجير الظلام إلى نور الاسلام . . . أنني لا أقول قرأت كل الكتاب ولكنني أشعر أنك موفق بهذا المؤلف ، ووفاء الزمالة والعلاقة الطيبة حررت هذه الرسالة سائلاً الله أن يوفقك . . . »



هذا واكتفي بالقدر الذي ذكرته من الرسائل والكلمات من أجل طرق زاوية أخرى تخص العقبات والصعاب التي تقف بوجه الكتاب في القطر ، فقد كنت أظن فيما مضى أن كل كتاب - لا سيما إذا كان يحمل عنواناً دينياً - لا يكاد يصل إلى الأسواق حتى تتلاقفه الأيدي ويختفي من المكتبات ، لذا لم افكر سلفاً - اعتماداً على هذه التصورات - في مفاتحة دور النشر والطبع لتتولى بنفسها مهمة طبع الكتاب ونشره .

ولكن عند قيامي بدفع المسودات إلى إحدى المطابع الأهلية في النجف وهي « مطبعة النعمان » اتصلت ببعض الزملاء والأصدقاء ممن سبقوني بمراحل في ميدان النشر والتأليف كالاستاذ حميد مجيد هذو وغيره لمعرفة صحة معلوماتي وتصوراتي عن مراحل طبع الكتاب ونشره . . .

ولئن اختلف هؤلاء الزملاء والأصدقاء في شيء إلا انهم كانوا متفقين عندما اشعروني بان توزيع الكتب لدينا فضلاً عن طبعها هو من اشق الأمور وأصعبها وان المؤلف عند طبعه لاحدئى كتبه سيتعذر عليه الحصول على تكاليف الطبع ، هذا إلا إذا كان المؤلف من الكتاب البارزين فحينذاك سيربح شيئاً من توزيع كتابه . .

وقد سمعت مراراً من الأخ هدى - حينما كنا نخوض هذا الموضوع - هذين البيتين من الشعر وهما لشاعر اندلسي قديم :

ان الوراقة لهي انكد حرفة اوراقها وثمارها الحرمان
شبهت صاحبها بآبرة حائط تكسو العراة وجسمها عريان

لذا فقد تغير فكري عن الموضوع فقامت بالبحث عن جهة تتولى طبع الكتاب ونشره ، ووقع الاختيار في الأخير على أحدئى دور النشر في كربلاء وهي - دار المحيط للمطبوعات - حيث قامت هذه الدار - مشكورة - باكمال طبع الكتاب ونشره داخل العراق وخارجه وقد كان هذا العمل باكورة الكتب التي اضطلعت هذه الدار بنشرها .

ويظهر ان عملها هذا قد كان فاتحة خير وبارقة أمل لها حيث لم يمض على طبع هذا الكتاب عام واحد ، وإذا بها تتولى طبع ونشر ما يقرب من عشرة كتب تاريخية وإسلامية ومن أهمها كتاب - نحن واليهود للسيد كاظم محمد النقيب ، فتحية من الأعماق لجهود صاحبي هذه الدار السيدين عبد الجبار ومحمد الموسوي . .

هذا ما كان من أمر وملابسات الطبعة الأولى لهذا الكتاب والتي تمت في عام ١٩٦٦ م . .

أما ما كان من حال الطبعة الثانية للكتاب ، فقد آثرت ان اتولى بنفسى عبء الطبع والتوزيع وان اضع لها ثمناً لا يتجاوز كلفة الورق والطبع ان لم يكن دونه بعد ان وضعت في الحسبان كافة الانعاب

والمشاكل والعراقيل التي ستصادفني ، ورائدي من تحمل كل ذلك هو
خدمة هذه العقيدة والانتصار لهذا الحق . حيث لا خسران إذا كان ذلك
سبيلاً لرسوخ العقيدة في نفوس الناس ولا ضرر إذا كان طريقاً لإزدهار
الحق وانتصاره^(٤) .

فليرتفع علم العقيدة سامياً
وليخفق لواء الحق في الاعالي
فلا مكان اليوم أو في المستقبل لخصومهما
والحمد لله رب العالمين

محمد علي يوسف الاشيقر

كربلاء

١٩٨٨ م - ١٤٠٨ هـ



مركز تحقيقات كنج پوز علوم اسلامی

(٤) كان في ذهني سلفاً طبع هذا الكتاب على نفقتي الخاصة ، إلا أن وقوفي
واطلاعي على كثير من الكتب العلمية والتراثية والتاريخية التي تولت « مؤسسة
الأعلمي للمطبوعات » طبعها ونشرها في أقطار العالم العربي والإسلامي ،
دفعني لايداع هذا الكتاب لديها لطبعه ونشره ، راجياً لها التقدم والتوفيق في
عملها . .

الإمام الحماصي (١) في تعقيبه على الكتاب

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد وآله
الطاهرين . .

وبعد فإن فضيلة التأليف - بنظر الاعتبار - ظاهرة علمية تحفز
حملتها إلى البروز فوق صعيد كوكب الوجود نتيجة تفاعل القوى
المتجذبة المودعة في جهاز الهيكل الانساني الروحية والمادية أو العقل
والعاطفة ، فإذا هيمنت القوى الروحية يتولد منها نتاج ثمرات العلم في
اطار التأليف ويتكوّن منها الربيع النافع لغذاء الروح ، ولا زال يتطلب
الغذاء الروحي كما يتطلب الجسم الغذاء المادي ما دام العلم في خدمة
النوع البشري ، فان العلم يهدف إلى اضاءة السبيل امام العقل ليتشئ له
التوسع في مجال الوعي والتقدم لتصاعد الإدراك ولا تزال - على هذا
المنهج - تحفنا أقلام المؤلفين بما تجود به معارفهم مما يصقل ويشحذ
الأذهان نحو التصاعد في مدارج الارتقاء للتوسع في اطار الاحاطة
العلمية المتسعة الاطراف والابعاد .

ولا ريب ان قداسة شرف العلم تتجسد في مواقع موضوعه وغاياته
وما يترتب على ذلك من الثمرات وهذا ما نجد اثره في علم التفسير لأن

(١) وردتنا هذه الكلمة القيمة عن طريق استاذنا الشيخ عباس الحائري في
كربلاء . .

موضوع قداسة الوحي في القرآن الكريم ﴿ ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين ﴾^(٢) وهو الدستور الخالد المتكفل لسعادة البشر في معاشه ومعاذه الذي اعجز البلغاء من الوصول إلى اسلوب محاسن تعبيره واخرس النصحاء إنشاء بيانه وتبيانه وكفاه معجزة لرسالة الرسول الأعظم الصادق الأمين (صلى الله عليه وآله وسلم) ومن أجل ما يشتمل عليه وما يحيط به من العلوم الكثيرة التي لا يعلم بها إلا الله تعالى والراسخون في العلم أصبح الناس بحاجة ملحة تدفعهم إلى الوقوف على معاني الآيات الشريفة وهذا العلم يطلب من معدنه ومعدن معارف القرآن هو مهبط الروح الأمين الرسول الأعظم وأهل البيت - عليهم السلام - وقد أوضح النبي (ص) ما خفي من الأسرار القرآنية وفسر المحكم منها والمتشابه والناسخ والمنسوخ وظهر الأحكام الشرعية المنظوية في الآيات مما يحتاجها الناس واودع بقية الأسرار الغيبية في القرآن عند أهل البيت - عليهم السلام - فأنهم الأوصياء من بعده الأمر الذي من أجله كان الصحابة والتابعون وبقية المسلمين يرجعون اليهم فيما يشكل عليهم من معارف القرآن بعد النبي (ص) وقد عكف حفاظ الأحاديث ورواة الأخبار على نشر ما عرفوه من التفسير مما تلقوه عن معدن الرسالة وبيت النبوة ومن الصحابة المقربين ، وهكذا بقي علم التفسير في وعاء حفظة الحديث والرواة الثقات والصحابة العلماء مدة من الزمن إلى أن جاء دور المفسرين من علماء التأليف والتدوين فدوّنوا وكتبوا ما وصل اليهم من طريق رواية الأحاديث ، وقد مضت قرون متطاولة على الأمة الإسلامية وحكم الإسلام هو الحكم النافذ والسلطان العادل بين جميع الدول والشعوب الشرقية والغربية ، حينما كان القرآن هو دستور الدولة الإسلامية وهو قانونها الشرعي الحكومي .

ولما غزت الدول الاستعمارية الكافرة بلدان المسلمين والشعوب

(٢) البقرة : ٢ .

العربية الأمنة فعاث المستعمرون في البلاد واكثروا فيها الفساد حينما عرفوا ضعف جانب المسلمين لضعف تمسكهم بمبادئ القرآن وتعاليمه فحدثت الحروب الطاحنة بين فرق المسلمين التي قطعت ملايين الأيدي واطاحت بعشرات الآلاف من الرؤوس تنازعا على الملك والخلافة من يوم اخذها من أهل البيت - ع - إلى أن أخذها المستعمر منهم ، ولما استولى سلطان الكافر على البلدان الاسلامية اخذ يعث في مقدرات المسلمين فنشر سمومه الفتاكة الإلحادية واستورد المبادئ المتطرفة اللادينية وجعل يبثها عن طريق الثقافة والتمدن الحديث ، فتسربت تعاليم دول الغرب عن طريق مناهج التربية والتعليم وغيرها ، فقل المتمسكون بتعاليم القرآن وابتعدت الناس عن الاخلاق الفاضلة التي جاء بها نبي الرحمة الصادق الأمين ص - فأنهارت قوى المسلمين المادية والمعنوية من جراء ذلك . .

ولو عملت الدول الاسلامية بمناهج وتعاليم القرآن وبما جاء به الرسول (ص) كما كان عليه المسلمون في عهد النبي والخلفاء من بعده - حينما فتحوا امبراطورية كسرى وقصر ، ولم يملك المسلمون آنذاك من العدة والعدد ما يؤهلهم لمصادمة تلك الجيوش التي تملأ الرحاب سوى ايمانهم بالله تعالى ودفاعهم عن العقيدة والمبدأ الصحيح وهذا هو سلام المسلمين الوحيد في جميع فتوحاتهم وغزواتهم ، فلو كانت الدول العربية الاسلامية على مناهج الدين الاسلامي لما وقعت في شرك هذا التدهور والانهار ، حتى اطمعت فيهم دويلة العصابات المجرمة اللقيطة اسرائيل ركيزة الاستعمار الامبريالي فاغتصبت منها ارض فلسطين والقدس الطاهرة فتلوثت تلك البقاع الطاهرة الزكية بجرائم العصابة الصهيونية ، والذي يحز بنفوس المسلمين عامة وبقلوب العرب خاصة لهب النكسة التي تأججت نارها في يوم الخامس من حزيران عام ١٩٦٧ حينما شنت الغارة الاستعمارية الامبريالية الاسرائيلية بقنابلها

السامة المحرقة قنابل « النابالم » على البلدان والارياف العربية الاسلامية
الأمنة فاحترقت وقتلت ودمرت وفعلت ما لا يفعله المجرمون
المتوحشون ، هذا والدول العربية الاسلامية تملك من آليات الحرب ما
يؤهلها في الوقوف والصمود أمام الدول الكبرى ، فكيف لم تصمد أمام
عدو حقير مثل عصابة اليهود الذين لا يتجاوزون عن المليونين في العدد
مع ان نفوس الدول العربية مائة وخمسون مليون نسمة أو أكثر مع قطع
النظر عن بقية الدول الاسلامية الغير العربية ، ولو كانت صرخة نداء
الدول العربية باسم الدول الاسلامية لكان النداء يجمع في حدود الأكثر
من ألف مليون نسمة ، ولولا الخيانات وبيع الضمائر وضعف التمسك
بالدين بين رجالنا المسؤولين لما حدث ما حدث من العدوان الغادر كما
كشفت الظروف المتأخرة عن النكسة الحزيرية . .

ولعل الله تعالى ان يوقف المسلمين والدول العربية من سبات
نومهم فيغسلوا العار ويزيلوا آثار العدوان ، وان الكرة تنفي الغرة ، وليس
ذلك على الله ببعيد .

ونسأله تعالى أن يجمع كلمة المسلمين ويلم شعثهم على صعيد
الايمان بالله والدفاع عن الوطن المقدس لاعادة الجزء السليب ونبذ
تعاليم وآثار المستعمر الكافر التي خلفها من بعد ان تقلص سلطانه عن
الدول العربية الاسلامية ونشر تعاليم الاسلام والتمسك بمناهج القرآن
وبذلك تزول آثار العدوان .

نقول هذا : ثم نفتح الحديث مع الأستاذ الاشيقر حيث تلطف
علينا باهداء مؤلفه « لمحات من تاريخ القرآن » ونحن اذ نشكر له هذه
اليد البيضاء نجد ان موضوع الكتاب الذي جعله ميدان قلمه يسع لأخراج
موسوعة ضخمة متعددة الأجزاء ، لأن مفاهيم تاريخ القرآن من حيث
تأليفه وجمعه ومن حيث نزول آياته المكية والمدنية ومن حيث تاريخ من
تصدى لجمعه من الصحابة هل كان على عهد النبي (ص) ام كان من

بعد وفاته ورحيله إلى الآخرة ، وهذه الجهات تتكفل بتدوين كتاب دائرة معارف قرآنية ، لأن القرآن هو المعجزة السماوية التي منحها الله للصادق الأمين تلك المعجزة التي يتصاغر أمامها كل معجز ﴿ لئن اجتمعت الأنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً ﴾ (٤) . . . ولم تتلاعب بمقدرات قداسته اصابع العابثين من الملحدين كما عبثت في غيره من الكتب السماوية ﴿ إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ﴾ (٥) . . . وقد جمع فيه من العلوم والمعارف ما جمع في غيره وزيادة بلا عكس ، ومن تتبع ما دونه المستشرقون حول قداسة القرآن وشأنه لوقف على العجائب مع أنهم لا يدينون برسالة الاسلام مع أنهم يعتبرونه أول كتاب ديني اجتماعي يدعو إلى الخير والسعادة البشرية وإن قوانينه تتمشى مع جميع الظروف في مختلف الاصقاع ولمختلف طبقات البشر . . .

ومن أجل ما ذكرناه نقول : إن قلم الباحث مهما أوتي من حول وطول فإن كل جهة يتناولها الكاتب مما يتعلق بقداسة القرآن يصلح أن يدون مؤلفاً مستقلاً وهكذا . . . ومع هذا فإن الأستاذ الأشيقر اعرب عن سعة اطلاع ودقة بحث وحسن تعبير وقوة أسلوب ، وكتابه على صغر حجمه كثير الفوائد مما لا يستغني عنه الباحث ، وقد سدّ فراغاً في المكتبة العربية الاسلامية كانت المكتبة بحاجة إليه .

واني شخصياً اعتبر كل نتاج علمي يخرج إلى ميدان الوجود هو ثمرة غرس علمي توجيهي يؤول إلى النفع والانتفاع « خير الناس من نفع الناس » وإن النتاج الفكري مهما يكون اخراجه بمثابة النبتة المثمرة اليانعة في حقل الحياة .

(٤) الإسراء : ٨٨ .

(٥) الحجر : ٩ .

سائلين من المولى تعالى أن يأخذ بيد الجميع للاستمرار في العمل
بقدر ما يحسنه القلم وان كانت تعتبر تجربة أولى - على حد تعبير الأستاذ
الاشيقر - فلعلها تحفز للوثوب إلى الخطوة الثانية والثالثة فإننا على قارعة
الطريق ونحن بحاجة إلى التوجيه والله تعالى ولي التوفيق .

محمد علي الموسوي الحمامي

١٣٨٨هـ



مركز تحقيقات كميوتير علوم إسلامي



كلمة في تقرّض هذا الكتاب (١)

القرآن المجيد كتاب الله العظيم ومعجزة الرسول الكبرى ودستور الاسلام الذي حوى جميع التعاليم المقدسة والقيم الرفيعة التي تأخذ بأيدي الانسانية نحو مدارج العلى والسؤدد وتفتح أمام البشرية أبواب السعادة وتنير الدرب . درب الخير والصلاح للتائبين في صحارى التيه والعمى .

ولذلك لم يك غريباً ان يتصدى الدارسون والباحثون للكتابة عن القرآن من جميع الجوانب منذ نزوله وإلى عصرنا الحاضر وذلك لاهميته القصوى في بناء المجتمع الانساني الفاضل وارساء القواعد الحضارية ومحاربة الرذيلة والفساد ورفع لواء الحق والعدل عالياً . .

ومن المؤلفين الافاضل الذين تصدوا لدراسة القرآن والإلمام بتاريخه السيد الجليل المحامي محمد علي الاشيقر فقد عرف منذ نعومة اظفاره باتجاهه الديني وشغفه البالغ بتلاوة القرآن وحفظه عن ظهر قلب

(١) نشرت هذه الكلمة في مجلة « الثقافة » الأسبوعية الدمشقية في العدد ٣ الصادر بتاريخ ١٨ / ١ / ١٩٧٥ . .

والكشف عن معانيه العميقة ومدلولاتها حتى بات من الدين يشار اليهم بالبنان في هذه الناحية ناحية التعريف بالقرآن المجيد ، وكان الحلم الذي يراود مخيلته دوماً وهو التفرغ للكتابة عن القرآن المجيد واخراج كتاب قيم بهذا الصدد ، حتى استطاع بكفاحه وجلده وصبره ان يخرج كتابه الرائع « لمحات من تاريخ القرآن » وتظهر اهميته العلمية وقيمه الأدبية من المواضيع التي تناولها المؤلف الفاضل بالدرس والاستقصاء وهي « التعريف بالقرآن واسماء القرآن وصفاته واضواء على المجتمع العربي في عصر النبوة ونزول القرآن والجمع الأول للقرآن والجمع الثاني للقرآن والجمع الثالث للقرآن وضبط القرآن والقرآن المكي والقرآن المدني والناسخ والمنسوخ والمحكم والمتشابه من الايات وتفسير القرآن واعجاز القرآن والعناية بالقرآن والقرآن في نظر غير المسلمين وحروف القرآن والحروف المتقطعة في أوائل السور وخلق القرآن وقدمه فالحاتمة » .

من كل هذا يتضح على ان الكتاب قد سد فراغاً في المكتبة العربية كما له من أهمية كبرى في عالم الفكر والعلم . .

أما اسلوب المؤلف فهو يمتاز برصانة الألفاظ ووضوح المعاني ورشاقة التعابير مما جعله يستأثر باهتمام القارئ ويستلقت نظاره . .

ونحن لم نكتب هذا التقریض اعتباطاً فان طبعته الأولى تكاد تنفذ بأسرع وقت مما يعطي دليلاً ساطعاً على قيمة الكتاب العلمية ، ولذا يضطر المؤلف الجليل ان يعاود طبعه للمرة الثانية وذلك خدمة للمواطنين ودعماً للدين الاسلامي الحنيف وتثميناً للقرآن الكريم الذي سيبقى هدىً للضالين ومنهلاً عذباً لطلاب المعرفة وقانوناً خالداً ينظم العلاقات بين الانسان وأخيه الانسان . .

وأخيراً فأنا أقدم خالص تهنّتي للمؤلف الفاضل على ما بذله من
جهد صادق وما ناله من توفيق كبير وما أحرزه من نجاح مطرد في اخراج
هذا السفر النفيس من ناحيتي الشكل والمضمون وإن الله لا يضيع أجر
من أحسن عملاً . . .

كربلاء

سلمان هادي الطعمة
عضو رابطة الأدب الحديث
في القاهرة



مركز تحقيقات كنج پور علوم اسلامی

تعليق على المؤلف والمؤلف (١)

اولعت بالدراسات القرآنية منذ أن اصطفتيت الكتاب في حياتي
فرحت اصطاد كل بحث أو دراسة في هذا المجال الروحي
الخصب ، هذا اضافة إلى الابحاث الأدبية الرصينة والدراسات التاريخية
الأصيلة التي لا غنى للمثقف عنها .

ومنذ البدايات الأولى لعلاقتي الودية مع الصديق الأديب الاستاذ
السيد محمد علي الأشيقري التي ارتبت على العقدين من السنين علمت
بانه يشاركني رغباتي في تعشق الكتاب واصطفائه من بين الناس حتى
هام في حب الكتب والتعشق لها حد الجنون (لأن العشق ضرب من
الجنون) . .

والكتب داء وبيل على اولئك الذين يبتلون بها وخاصة المتزوجين
منهم ، وزوجات المصابين بهذا المرض الفكري المحبوب يعانين
المتاعب والآلام النفسية أكثر من غيرهن ، حتى ان زوجة الفقيه الزهري

(١) لقد تفضل الأستاذ الأديب السيد حميد مجيد هذو ، مدير ثانوية الكرخ بكتابة
هذا التعليق الطريف عن الكتاب وصاحبه ، ونحن بدورنا نثبته على صفحات
هذا الكتاب ليطلع القارئ الكريم على ما تضمنه من طرافة وحسن أدب . .

العالم والأديب كانت تقول لزوجها : « ان كتبك هذه أشد عليّ من عشر ضرائر » ويروى انه بعد وفاته احرقت كتبه وذرت رمادها في الهواء أو يقال سكبت الماء على رمادها وقالت : اريد أن أوذيّه وانتقم منه وهو راقد في قبره كما كان يؤذيني بهذه الكتب خلال حياته . .

هذه حادثة واحدة من حوادث عديدة يرويها لنا التاريخ من مشاكل الكتب والزواج وانني اسوق عبارتي هذه للمتزوجين من الأدباء تسليّة لزوجاتهم اللاتي ابتلين بهذا البلاء الذي لا ينفك عن أزواجهن وعنهن حتى القبر . .

والحاج - الاشيقر - هو ممن جنّ جنونه في شراء الكتب وبذل الأموال الطائلة في سبيلها حتى ان أحد المكتبيين الظرفاء في بغداد وعلى ما اذكر (الأخ حسين الفلّلي) الذي يتعامل بيع الكتب القديمة والمستعملة قال لي مرة : هل تعرف الحاج محمد علي الاشيقر قلت له بلى ، قال اين هو الآن . . ؟ قلت له في كربلاء قال : لم يراجعني منذ أكثر من شهرين ، قلت له ماذا تريد منه ، قال كلما مرّ من امامي أو من هذا السوق فلا بد وان يشتري كمية من الكتب ، قلت له : انه تزوج ولا حاجة له في الكتب الآن ، فصفق على يديّه (اي الفلّلي) وقال : خسرت زبوناً سخياً كريماً في الشراء . .

وشاء الحظ ان اكون احد مجانيين شراء الكتب وجمعها وانتقائها والحمد لله مقتدياً بقول المتنبي :

اعز مكان في الدنا سرج سابع وخير جليس في الزمان كتاب
أو قول احمد شوقي :

انا من بدّل بالكتب الصحابا لم أجد لي وافيّاً إلا الكتابا
أو قول الامام علي - ع - .

« الكتب بساتين العلماء من تسلى بالكتاب لم تفته السلوى » .

وانني لا أريد ان اكرر كلامي آنف الذكر واتطرق إلى المشاكل
العديدة التي حدثت مع أهل بيتي من جراء جمع الكتب لأنها طبيعية
وتحدث مع كل هاو لهذا الشيء إلا انه من اطرفها هو انني كنت جالساً
اطالع في مكتبي عصر أحد الأيام وإذا بي افاجىء بإمرأة تدخل عليّ في
المكتبة وتطلب مني ان آخذ لها فאלاً فقلت لها : معاذ الله انني لست
فوالاً أو قارىء كف أو منجم ، فقالت : وماذا تصنع بهذه الكتب
المصففة على الرفوف إذا لم تعرف ان تأخذ بها فوالاً ، فقلت لها : هذه
ليست كتب « الفوالين » فقالت : انك جاهل ولا تعرف القراءة والكتابة
ان الذي يجمع الكتب الكثيرة هو إما فوال أو منجم أو حكيم . .

هذه قصة من عدة قصص ووقائع طريفة حدثت لي من جراء جمع
الكتب واقتنائها لا مجال لتعدادها ولكنني سوف اخرجها في كراس
مستقل في المستقبل ان شاء الله . .

وعلى اي حال انني انصح هواة جمع الكتب ورجال الأدب ان
يختاروا أحد الطريقتين :

إما ترك الكتاب وعندها يجوز له الاقتران بينت الحلال والدخول
في القفص المغري والحكم على نفسه بالسجن المؤبد الذي لا مفر
منه . .

أو الاقتران بالكتاب والابتعاد عن الزواج لأن الجمع بين الزواج
والكتب غير صحيح وغير طبيعي ، فعليه اختيار أحد الطريقتين اقتداء
بالأديب الراحل المرحوم عباس محمود العقاد عندما سئل مرة : لماذا لم
تتزوج . . ؟ فأجاب على الفور : ألم يكفي التزوج بسبعين ألف كتاب ،
مشيراً بذلك إلى خزانة كتبه الخاصة . .

ولا أريد أن اتوسع في بحث هذا الموضوع الطريف المتشعب
المسالك لأنني اخشى من اثاره بنات حواء عليّ أو ان أكون سبباً في
احداث المشاكل بين المتزوجين من الأدباء لا سمح الله . .

نعود إلى موضوعنا الأول والعود أحمد وهو موضوع الكتاب البكر الذي دبحته يراع الاستاذ الاشيقر والموسوم بـ « لمحات من تاريخ القرآن » حيث غمرني السيد الاشيقر بالطافه واهدى إلي نتاجه القيم فطالعت من الفه إلى يائه فوجدته جامعاً شاملاً لكل ما يتعلق بكتاب الله العظيم فهو يغني القارئ المبتدىء عناء المتاعب والبحث في المظان والمراجع المطولة التي تبحث في القرآن الكريم . .

ولعل البعض يقول ان القدامى والمحدثين والمعاصرين قد اشبعوا هذا الموضوع بحثاً وتمحيصاً ودرساً ولم يتركوا مزيداً لمستزيد وان كل ما فعله السيد - الاشيقر - ما هو إلا اجترار وتكرار لما جاء به السابقون ، ولكني اقول : ان المؤلف ضغط تلك المواد في قالب يلاءم الوقت وقراء الوقت - حفظهم الله - الذين لا يقرأون إلا الخفيف القليل والحمد لله ، وهذا ما يشير بسطحية الثقافة التي اصبحت سمة من سمات الجيل المعاصر . .

ولو رجع القارئ الكريم إلى قائمة المراجع التي اعتمد عليها المؤلف في بحثه آنف الذكر لعلم عظم الطاقة وجسامة الاتعاب التي بذلها في سبيل مؤلفه ، وقد قال الشاعر :

لا يعرف الوجد إلا من يكابده ولا الصبابة إلا من يعانيها

وانني في الواقع اكبر هذه البادرة الطيبة من لون الصديق المؤمن الذي اختار الأدب طريقاً له في هذه الحياة الزائلة والفكر السليم سراجاً منيراً يهتدي به ، آملاً منه ان لا ينفك عن هذا السبيل الواضح والمنهج الرشيد وان يتحف القراء والمكتبة الاسلامية بمؤلفات نافعة وابحاث دسمة اخرى .

كما ونحن بانتظار مؤلفه القادم الذي اشار اليه في نهاية كتابه - اضواء على شبه القارة الهندية - المتضمن انطباعاته عن شبه القارة من

خلال اسفاره المتعددة لتلك الاصقاع البعيدة ولا غرابة في ذلك لأنه ولع
السفر والترحال كولعه باقتناء الكتب فهو - سندباد بري - ان جاز لي ان
اضفي عليه هذه التسمية . .

والله نسأل ان يأخذ بيده نحو خدمة امته ودينه واحياء تراث السلف
الصالح ودفع عجلة الفكر والأدب نحو الامام انه سميع الدعاء . . .

حميد مجيد هدّو

كربلاء



مركز تحقیقات کتب و تاریخ علوم اسلامی



التعريف بالقرآن

مركز تحقیقات کتب و علوم اسلامی



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

« القرآن هو كلام الله المعجز المنزل وحيّاً على قلب الرسول الأمين (ص) بالفاظه العربية ومعانيه الحقة ليكون معجزة له ودستوراً له ولامته وهو الموجود ما بين الدفتين المنقول عنه بالتواتر جملة وتفصيلاً والمتعبد بتلاوته المبتدء بسورة الفاتحة والمختتم بسورة الناس وهو خاتم الكتب السماوية »^(١) .

ومن عبر هذا التعريف الموجز للقرآن^(٢) يمكننا تلمس أمور كثيرة فيه سنشير إليها في أدناه وبالتتابع انشاء الله . . .

١ - فالقرآن أولاً هو كلام الله تعالى وقوله ولا صنعة فيه لمحمد (ص) ولا لأحد من المخلوق بتاتاً وإذا ما كان القرآن كلامه تعالى لزم على الناس كافة اذن العمل به والانصياع له والسير أبداً ودوماً على هداية وسبيله ، وهذا العمل والسير يلزم ان يمتد إلى كافة وسائر سوره بما تضم من تفصيلات وفروع ، حيث لا يستحسن للمرء هنا العمل والانصياع

(١) الوجيز في أصول الفقه وتاريخ التشريع - حسين علي الأعظمي ، مباحث في علوم القرآن - الدكتور صبحي الصالح ، النبأ العظيم - الدكتور محمد عبد الله دراز ، أصول الفقه - الشيخ محمد الخضري ، التشريع الجنائي الإسلامي - عبد القادر عودة . . .

(٢) ذهب البعض إلى تعذر تحديد القرآن بالتعاريف المنطقية ذات الأجناس والفصول والخواص بحيث يكون تعريفه حداً حقيقياً وإن التعريف أعلاه ما هو إلا تقريب للمعنى وتمييزه عن غيره (مباحث في علوم القرآن - مناع القطان) . . .

لشيء منها دون الآخر أو ان يؤمن ببعضها دون البعض . .

وهذا الكلام يقودنا للقول بان الفقه الاسلامي بشقيه الأثنين العبادات والمعاملات وما يتفرع منهما من احكام وفرائض وعقوبات وقوانين الخ ان كل هذه ينبغي ان تؤخذ من كتاب الله ويلتمس احكامها فيه لأنه لا حكم إلا لله . .

ولا يفهم من هذا الحديث بانه ليس هناك غير القرآن من مصدر آخر للفقه الاسلامي يمكن ان يغترف منه أو يستنجد به عند عدم العثور في القرآن على حكم لمسألة أو جواب لتساؤل أو غير ذلك . . بل هناك مصادر أخرى بعد القرآن الكريم مثل السنة النبوية^(٣) والاجماع^(٤) متفق عليهما بين المسلمين كافة يمكن الرجوع اليهما والعمل بهما ، كما وهناك مصادر أخرى ولكنها دون الأولى حجية ورتبة نجد من يلتزم بها ومن لا يلتزم بها وهي :

العقل^(٥) ، القياس^(٦) ، المصالح المرسلة^(٧) ، الإستحسان^(٨) ،
العرف^(٩) ، الاستصحاب^(١٠) ، شرع من قبلنا^(١١) ، ومذهب

(٣) سيرد تعريف السنة والحديث وما إذا كان هناك فرق بينهما بعد قليل . .
(٤) الإجماع هو اجتماع علماء العصر في وقت معين على حكم شرعي قولاً أو فعلاً
(وبعد قول المعصوم) . .

(٥) العقل : هو قدرة أو قوة يميز بها المرء الحق عن الباطل . .

(٦) القياس : هو الحاق ما لم يرد به نص بما ورد فيه نص لتشابه العلة . .

(٧) المصالح المرسلة : هي المحافظة على مقصود الشارع من جلب المنافع للناس ودرء المفاسد عنهم من دون أن تستند على نص شرعي . .

(٨) الإستحسان : هو عدول المجتهد من أن يحكم في المسألة بمثل ما حكم في نظائرها لوجه أقوى يقتضي العدول عن الأول . .

(٩) العرف : هو ما تعارفه الناس وساروا عليه من فعل أو قول . .

(١٠) الاستصحاب : هو بقاء الحكم مستمراً ما لم يوجد ما يغيره ، أو الحكم ببقاء أمر محقق لم يتحقق عدمه . .

الصحابي^(١٢) . . . وطبيعي ان بعض أو غالبية هذه المصادر ما وضعت أو ما وجدت إلا لكشف الغطاء وانهارة الطريق الموصل إلى تلمس حكم الله تعالى الصحيح ومراده الحقيقي فيما تعرض من قضايا أو مسائل . .

٢ - والقرآن ثانياً هو دستور دائم وقانون أزلي ونظام كامل يتناسب ويتجاوب مع دوام الدعوة الاسلامية واستمرارها إلى آخر يوم في التاريخ ، لأن الله سبحانه حين انزله على الرسول (ص) وقام الرسول بدوره بتبليغه إلى الناس كافة لم يقصره على مجرد كتاب خاص يحدد أو يشير إلى بعض الأحكام دون البعض أو يتولى تنظيم جانب من الحياة تاركاً الجوانب الأخرى في غمرة الفوضى والاضطراب ، أو خطاب لجيل واحد من الناس دون الأجيال التالية ، كما « ولم يجيء القرآن ليكون متاع عقلي ولا كتاب أدب وفن ولا كتاب قصة وتاريخ - وإن كان هذا كله من محتوياته - وإنما جاء ليكون منهاج حياة »^(١٣) وليغدو الدستور الخالد للبشرية كلها منذ اشراقه انوار الاسلام على بطاح الأرض حتى نهاية البشرية وختام الحياة على هذا الكوكب ، لكونه - القرآن - فخر الماضي وسلوى الحاضر وأمل المستقبل ، وقد اودع سبحانه فيه كافة الأنظمة والقوانين والتشريعات والمبادئ التي تكفل للانسان أينما كان مكانه وسكنه على الأرض المزيد من التقدم وتمهد له الأسباب الموصلة إلى الحرية والوحدة والإزدهار ، بل لا نعدو الحقيقة ولا نخالف الواقع إذا ما قلنا هنا « لو ان القرآن الكريم قد نزل في هذا العصر لما تغيرت نظرتنا إلى الكون ولا وصاياه ولا ارشاداته إلى سكانه »^(١٤).

(١١) شرع من قبلنا : هي أحكام الشرائع التي سبقت الإسلام من دون أن يؤكدتها الإسلام أو ينسخها . .

(١٢) مذهب الصحابي : هي فتاوي صحابة رسول الله (ص) بعد وفاته والذين عرفوا بالفقه وفهم القرآن وأحكامه . .

(١٣) معالم في الطريق - سيد قطب .

(١٤) نظرات في القرآن - محمد الغزالي .

ولو « ان الرسول (ص) جاء للإنسانية في امسها القريب أو يومها الحاضر أو لو أن عشرات الأنبياء انطلقوا من بعده بين المدائن والقرى مبشرين ومنذرين ما عدوا حدود القرآن في هديهم ولا تجاوزوا حلوله الساحة في المشاكل التي تعترضهم »^(١٥).

ومن هذا المنطلق يمكن تمييز القرآن المجيد عن الدساتير والقوانين الوضعية ، فهذه الدساتير والقوانين رغم نظرتها الضيقة للحياة وضيق محيط عملها وانها من صنع ووضع نفس الانسان وحصيلة فكره القاصر ، رغم هذه وتلك فهي مادية ونفعية في روحها وجوهرها بعيدة عن الفضيلة وعن الأخلاق في كثير من بنودها واحكامها تشوبها المثالب والمآخذ من كل جانب ومكان فضلاً عن عدم مسايرتها لركب المجتمع وقافلة التاريخ إلا لفترة جد قصيرة ومحدودة تتعرض خلالها وعلى الدوام للتفكيك والاضافة والحذف ثم لا تلبث اثر ذلك ان تسقط تحت ثقل اوزارها ، وبعد ذلك يتداعى الانسان القاصر ليملا الفراغ الذي حصل عن فشلها وسقوطها فيسعى من أجل أن يقيم على انقاضها دساتير وقوانين لتنظيم مسيرة الحياة لفترة محدودة أخرى وعلى غرار الأولى ، مما سيؤدي بالثانية دون شك للوصول إلى النتيجة التي آلت إليها الأولى من قبل والدرك الذي هوت فيه غير مأسوف عليها . .

وإذا ما أراد المرء لهذه الدساتير الثبات والبقاء فضلاً عن مواكبتها لروح العصر وحاجات الإنسانية المتطورة فما عليه إلا ان يفرض على مشرعيها طوعاً أو كرهاً اعادة النظر فيها فوراً من أجل سحق ومحق كل شيء جاء فيها يتعارض مع روح القرآن الكريم أو يخالف أحد اصوله أو فروعه حتى ولو تطلب الحال التضحية بها جميعاً ، مع الأخذ بنظر الاعتبار استبعاد فكرة التطعيم والترقيع جملة وتفصيلاً كأن يؤخذ شيئاً من أحكام الله تعالى لتضاف أو تضم إلى هذه القوانين والدساتير « لأن

(١٥) تأملات في الدين والحياة - محمد الغزالي .

احكام الشريعة لا تتجزأ ولا تقبل الانفصال ليس فقط لما ذكرناه آنفاً وانما لأن نصوص الشريعة نفسها تمنع من العمل ببعضها وإهمال البعض الآخر ، كما تمنع من الايمان ببعضها والكفر ببعض وتوجب العمل بكل احكامها والايمان بكل ما جاءت به «^(١٦) وعلى أن يتم بعد ذلك نقل احكام الله وشريعته من كتابه الكريم ونقل سيرة رسوله الكريم (ص) وأهل البيت - ع - واصحابه الأخيار بعد صياغتها في شكل وقالب خاص بما يلائم روح العصر ، أجل نقل كل ذلك إلى مكانه الخاص المقرر لتصبح هذه الشريعة والسنة الدستور الخالد للأمة والقانون الذي يفزع إليه والنظام الذي يوجه حركتها ويجدد طريق سيرها ونهضتها ، مع التأكيد مرة أخرى بضرورة تعويض ونسف كل ترقيع أو تطعيم مقصوداً كان أو غير مقصود ، وذلك لأن الشريعة الاسلامية يرتبط أولها بآخرها وصغيرها بكبيرها فهي إما أن تؤخذ كلها أو لا تؤخذ » فنظام الله خير في ذاته لأنه من شرع الله ولن يكون شرع العبيد يوماً كشرع الله «^(١٧).

والحقيقة اننا حين نكتب كل هذا أو عندما نؤكد ونردد كل الذي سطرناه لم نجري وراء العاطفة أو نتعصب تعصباً أعمى لما نؤمن به ونعتقده ، كما ولم نتأثر أو نسترشد بقول القائل :

ولست براء عيب ذي الود كله	ولو بعض ما فيه إذا كنت راضياً
وعين الرضا عن كل عيب كليلة	كما ان عين السخط تبدي المساويا
كلانا غني عن أخيه حياته	ونحن إذا متنا أشد تغانيا

أو قول من يقول :

يا عمرو أنت امامنا وخليفة النفر الأوائل
أجل لم نستهدي أو نستنير بكل هذا كما قد يتصور البعض من

(١٦) التشريع الجنائي الإسلامي - عبد القادر عودة .

(١٧) معالم في الطريق - سيد قطب .

المغفلين ، وانما الذي قلناه هو الحق الذي لا ينازع والحقيقة التي لا يمكن تجاهلها أو طمسها بتاتاً ، وقد أقر هذا واثبته التاريخ وأكدته الوقائع والأحداث الماضية بما لا يقبل الشك أو النقاش . .

٣ - والقرآن ثالثاً هو عربي نزل بالفاظه العربية ومعانيه الحققة من دون أن يتلون منها شيء أو يتغير ، بل نجده مسطوراً بين دفتي المصحف على الهيئة والشكل الذي نزل على الرسول (ص) من قبل عن طريق الوحي الأمين ، حيث أن كل نبي جاء إلى قومه بلسانهم ، لذا جاء القرآن بلغة الضاد التي هي لغة الأمة العربية وقد أثر الله تعالى أن يكون خاتم رسله من بين صفوفها . .

لذا فيمكننا هنا تمييز القرآن المجيد عما ورد عن الرسول (ص) من مواعظ وادعية ومن خطب وسنن وأحاديث والتي تدعى بالأحاديث القدسية والسنة النبوية على التوالي (١٨).

(١٨) نحيط القارئ الكريم بأن هناك فروقاً بسيطة بين كلمة الحديث وكلمة السنة رغم سعي الكثيرين للتوحيد ما بينهما واعتبارهما شيئاً واحداً . .

فالحديث : هو ما حدث به عن النبي (ص) .

أما السنة : فهي (بقطع النظر عن كون هذا التحديث موجوداً أو غير موجود) هي العادة الدينية أو القانونية التي كانت جارية فعلاً عند المسلمين في عصر النبوة ، فقد تكون السنة كالحديث قولاً كما وقد تكون فعلاً وقد تكون تقريراً . .
لذا فكل حديث هو سنة وليس كل سنة حديثاً

أما الأحاديث القدسية وعددها أكثر من مائة فإن تعريفها هي : المواعظ التي كان الرسول (ص) يلقيها أحياناً على أصحابه ويحكيها عن الله تعالى ومثال ذلك ما يروى عن النبي (ص) فيما يرويه عن الله تعالى : « يا عبادي اني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا ، يا عبادي كلكم ضال إلا من هديته فاستهدوني اهدكم ، يا عبادي كلكم جائع إلا من أطعمته فاستطعموني اطعمكم ، يا عبادي كلكم عار إلا من كسوته فاستكسوني اكسكم ، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد ما نقص ذلك من ملكي شيئاً ، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم =

فهذه الأحاديث القدسية ، وهذه السنن النبوية وإن كان مصدرها ومعناها ومنشؤها وفكرتها وحياً من عند الله تعالى لأن الرسول (ص) لا ينطق عن الهوى ، إلا أن صياغتها الحرفية وتعابيرها وقالبها ولفظها قد تم على يد الرسول ولسانه^(١٩) . .

وقد تميز الحديث القدسي عن الحديث النبوي بهذه التسمية فنسب إلى القدس انشاءً لأن الرسول الكريم يحكيه عن الله تعالى . .

٤ - والقرآن رابعاً هو متواتر لأنه جاء عن طريق التواتر جملة وتفصيلاً فليست فيه آية واحدة ولا حرفاً ولا نقطة قد اختلف في شأنها اثنان من المسلمين منذ صدور الاسلام حتى هذه اللحظة من عمر الزمن ، بل إن كل القرآن من أوله إلى آخره (وهو الموجود ما بين الدفتين) هو نفسه الذي هبط على الرسول (ص) « من دون زيادة أو نقصان ودون أي تغيير أو تحريف »^(٢٠) فيها « وقد ظلت آياته منيرة لأجل احتفاظها بكل خصائصها وبقائها بنصها دون تغيير »^(٢١) منذ نزولها حتى هذا الوقت وستظل كذلك حتى نهاية الكون وزوال الحياة عن سطح الأرض ، حيث تتغير الكتب والدراسات بمرور الزمن وتنقح بمضي الأيام وتحرف بتلاحق

= وانسكم وجنكم قاموا على صعيد فسألوني فأعطيت كل إنسان مسأله ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص البحر إذا دخل فيه المخيط . .
ومنها أيضاً « عش ما شئت فإنك ميت ، وأحبب من أحببت فإنك مفارقه واملك ما امتلك فإنه للخراب ، واعمل ما عملت فإن عملك مصاحبك . . »
ومنها « أنا عند ظن عبدي بي ، وأنا معه إذا ذكرني ، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه » .
(١٩) مباحث في علوم القرآن - الدكتور صبحي الصالح ، مباحث في علوم القرآن - مناع القطان .

(٢٠) تفسير التبيان - أبو جعفر الطوسي ، آلاء الرحمن في تفسير القرآن ، محمد جواد البلاغي ، مجمع البيان في تفسير القرآن - الطبرسي ، الإسلام على ضوء التشيع - الشيخ محمد حسن الخراساني ، مصائب النواصب - نور الله المستري .
(٢١) محاضرات في تفسير القرآن - السيد اسماعيل الصدر .

الوقت ، ويبقى القرآن ثابتاً وصامداً وبعيداً عن الزيادة والنقصان والتحريف والتغيير بسبب انه نقل إلى هذا اليوم خلفاً عن سلف وآخرأ عن أول نقلاً مستفيضاً منتشراً متواتراً» (٢٢) . .

وان كل ما يسمع من الروايات الشاذة بأن هناك بعض التحريف في القرآن أو ضياع بعضه فلا تقام لتلك الروايات وزناً ولا تؤخذ بنظر الاعتبار ولا يحسب لها أي حساب . .

فكل كلمة في القرآن اذن موضوعة في مكانها المطلوب وليست فيه كلمة واحدة تغيرت ولا أخرى تبدلت ولو لأجل الفاصلة (٢٣) . . لأن رعاية الفواصل يتطلب اثبات للضرورة كما هو عليه الأمر في السجع والشعر حيث يقدم هذا ويؤخر ذاك لأجل السجع أو لأجل القافية ، والقرآن ليس بشعر ولا التزام فيه للسجع (٢٤) فضلاً عن نزوله من عند الله تعالى والذي لا تعرض له الضرورة فهو - سبحانه - يضع كل شيء في محله ومكانه . .

والتواتر معناه ان يتلقى الجمع الكبير من الناس والذي لا يمكن تواطؤهم واجتماعهم على الكذب لكثرتهم وتباين اماكنهم ، يتلقى عن النبي (ص) ثم ينقله جمع آخر مثلهم عن هذا الجمع وهكذا حتى يصل إلينا كما نطق به النبي من غير تحريف ولا تبديل ولا نقص ولا زيادة . .

لذا فيمكننا هنا من تمييز القرآن الكريم الذي جاء متواتراً وآمن به الجميع عن بعض القراءات الشاذة والضعيفة كقراءة عبد الله بن مسعود « والسارق فاقطعوا ايماهما » وقراءة جابر بن عبد الله الانصاري « فان الله من بعد اكراههن لهن غفور رحيم » وقراءة امهات المؤمنين عائشة وحفصة « حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى صلاة العصر » وقراءة

(٢٢) آلاء الرحمن في تفسير القرآن - محمد جواد البلاغي .

(٢٣) سيرد شرح الفاصلة في الفصل القادم .

(٢٤) سنشير في الفصل القادم الى ما يقوله الفقهاء والمؤرخون بصدد وجود السجع في القرآن من عدمه . .

سعد « وله أخ أو أخت لأم فلكل واحد منهما السدس » وقراءة عبد الله بن مسعود « فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام متتابعات » وغيرها ..

كما ويمكننا هنا أيضاً تمييز القرآن المجيد عن الأحاديث والسنن النبوية التي لم تصل إلا عن طريق الارسال والانقطاع والآحاد والشهرة وذلك من جهة الاسناد ..

فبصدد القراءات الشاذة أو الضعيفة كما مر في الفاظ « ايمانهما ، لهن ، صلاة العصر ، لأم ، متتابعات » فإنها لا تعد قرآناً بتاتاً ، لذا لا تصح صلاة من يقرأها أو صلاة من يقتدي بإمام يتلوها في صلاته .

اما بشأن الأحاديث المرسلة والمقطوعة والآحاد والمشهورة (٢٥) فنرى ان قسماً من المسلمين يضعفها ولا يعتد بها بالمرة ، بينما نرى قسماً آخر منهم يرجحها ويعمل بها ، وعلة هذا الأمر يعود إلى ان السنة النبوية قد تأخر تدوينها رسمياً عن القرآن ، حيث يروى ان الرسول (ص) والخلفاء من بعده كانوا يمنعون من كتابة الحديث وكلما كانوا يعثرون على ورقة أو لوحة كتب فيها شيء من الحديث كانت تحرق (٢٦) واستمر هذا المنع لمدة تقرب من (٩٠) سنة وإلى عهد الخليفة الزاهد عمر بن

(٢٥) بصدد شرح طرق الاسناد هذه أقول :

الحديث المرسل هو الذي يذكره التابعي منسوباً إلى النبي (ص) من غير أن يذكر الصحابي الذي روى عنه ، وسيرد تعريف التابعي في فصل قادم هو تفسير القرآن .

أما الحديث المنقطع فهو ما لم يذكر فيه التابعي ولا الصحابي .. وحديث الآحاد هو الذي ينقله ويرويه تابعي واحد عن صحابي واحد عن النبي (ص) ..

أما الأحاديث المشهورة فهي التي تكون الطبقة الأولى والثانية منها آحاداً ثم تنتشر بعد ذلك وينقلها قوم لا يتوهم تواطؤهم على الكذب .
(٢٦) القرآن في الإسلام - السيد محمد حسين الطباطبائي .

عبد العزيز^(٢٧) (رض) عندما كتب الأخير إلى أبي بكر محمد بن عمر ابن حزام التابعي في المدينة المنورة طالباً منه النظر إلى ما كان من حديث رسول الله أو سنة أو نحو هذا فليكتبه إليه (إلى عمرو) لأنه خاف دروس

(٢٧) نشأ الخليفة الزاهد عمر بن عبد العزيز في المدينة وترعرع في كنف البيت الأموي الحاكم وامتاز منذ صباه بالترف والأناقة والزينة إضافة إلى العفة ، حتى قال عنه الفقيه الليث بن سعد « كان عمر بن عبد العزيز أعظم أموي ترفاً وتملكاً » ..

وامه ام عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب وأبوه عبد العزيز بن مروان بن الحكم ، وكان عمر أميراً للمدينة في عهد ابن عمه الوليد ، ولم يستشف من سيرته وسلوكه حينئذ انه سيكون يوماً خليفة للمسلمين أو ذا شأن في الخلافة الأموية ..

ولم يكن لسليمان بن عبد الملك عند وفاته إلا طفل صغير لم يجده مؤهلاً لتسلم الخلافة بعده فتشاور مع بعض ذوي الحل والعقد فاشاروا إليه بابن عمه وزوج اخته عمر ، فجعله وريثاً للخلافة ..

وعند توليه الخلافة - والتي قال عنها انها ما سألوها في سر ولا علانية - تغيرت سيرته في تلك الساعة فمارس الزهد والتقشف والورع اسوة بالخلفاء الراشدين وعزل الولاة الجائرين كما رفع مظاهر الأبهة والعظمة التي مارسها الخلفاء الأمويين من قبله واعاد الجوارى والخدم إلى اهلهم وبلدانهم ورد المظالم وسمح للمسلمين بالمشول أمامه من دون حرج ورد أمواله إلى بيت المال وخير زوجته فاطمة بنت عبد الملك بين رد أموالها وحليها إلى بيت المال والبقاء معه والإلتحاق بأهلها مع أموالها فأثرت الإجراء الأول ، واسقط الجزية عن أسلم من أهل الكتاب وله القولة المشهورة : « إن الله جل ثناؤه بعث محمداً هادياً ولم يبعثه جابياً » ورفع المكس والغنى الضرائب وحرم السخرة واعاد الأراضي التي قطعت للبيت الأموي إلى بيت المال ووضع المكافآت لمن يخبره أو يشير عليه بأمر فيه مصلحة للمسلمين ، ومنع شرب الخمر وضرب الدفوف وكتب إلى ملوك الهند وما وراء النهر يدعوهم إلى الاسلام وأعاد فذلك إلى ولد فاطمة ورفع السب والشتم عن البيت العلوي وعن علي بالذات - لما سمع من أبيه بحقه من قوله : يا بني إن الذين حولنا لو يعلمون من علي ما نعلم تفرقوا عنا إلى أولاده .

ويقدر ما ساعدت به الأمة الاسلامية حينئذ شقي به اقرباؤه الأمويون لأنه وقف =

العلم وذهاب العلماء ولكن عمرو ما لبث ان انتقل إلى دار الخلود قبل ان يتم هذا التدوين الرسمي للسنة (٢٨) . .

كما وقيل هنا أيضاً ان عمر بن عبد العزيز قد كتب إلى غيره من علماء الآفاق بصدد النظر إلى أحاديث الرسول وجمعها . .

وهذا التأخير في الكتابة سبب شكوكاً مضاعفة بين الأحاديث الصحيحة وغيرها كما والتحق بها ما ليس منها ، فاجتهد الأئمة والفقهاء على غربلتها ونقد طرقها ومتونها واختلفت لذلك أنظارهم وآرائهم بين التصحيح والتضعيف والقبول والرد ، وهذا كله بعكس القرآن الذي جاء متواتراً وبات فوق الشبهات وفوق الشك والريبة ، بالاضافة إلى استمرارها هذا التواتر - للقرآن - بين المسلمين « جيلاً بعد جيل وعهداً بعد عهد ترى له في كل زمان مئات الملايين من المصاحف ومئات الملايين من الحفاظ ولا تزال المصاحف ينسخ بعضها على بعض والمسلمون يقرأ بعضهم على بعض ويسمع بعضهم من بعض حيث تكون ملايين المصاحف رقية على الحفاظ وملايين الحفاظ رقاء على المصاحف وتكون الملايين من كلا الجنسين رقية على المتجدد منهما » (٢٩) . .

= حائلاً بينهم وبين أموال ودماء المسلمين .

توفي - رحمه الله - عام ١٠١ للهجرة ودفن في دير سمعان بالشام وكان عمره عند الوفاة ٣٩ سنة بينما كانت مدة خلافته ٢٠,٥ سنة أي ٣٠ شهراً . .

وقد رثاه الشريف الرضي بقوله :

يا ابن عبد العزيز لو بكت العين	فتى من أمية لبكيتك
انت نزهتنا من السب والشتم	فلو أمكن الجزاء جزيتك
وعجيب اني قلت بني مروان	طراً وانني ما قليتك
دير سمعان لا عدتك الغوادي	خير ميت من آل مروان ميتك

(٢٨) علوم الحديث ومصطلحه - الدكتور صبحي الصالح .

(٢٩) آلاء الرحمن في تفسير القرآن - محمد جواد البلاغي .

اضافة إلى ان القرآن « قد كتب وحفظ في صدور جمع كبير من الصحابة لا يمكن تواطؤهم على الكذب ونقله من هذه الجموع جموع أخرى فلم يختلفوا في حرف أو لفظ على تعدد البلاد وتباعد الأقطار واختلاف الأجناس » (٣٠) . .

فهل هناك تواتر لكتاب أو شيء آخر في التاريخ كهذا التواتر الذي نجده ساطعاً وجلياً في القرآن الكريم . .

٥ - والقرآن خامساً هو معجز لأنه ما جاء إلا معجزة لثبوت صحة دعوة ونبوة الرسول (ص) وانه (ص) رسول من عند الله تعالى يوحى إليه هذا القرآن ، ذلك لأن في طاقة ومكنة كل فرد ان يدعي النبوة أو الرسالة (٣١) كما جرى فعلاً بعد وفاة الرسول (ص) مباشرة أو في العصور المختلفة ، ولكن ليس في قدرة وسلطان أي منهم أن يثبت هذه الدعوة أو يدعم هذه الرسالة بشيء أو بدليل يعجز أو لا يستطيع الآخرون من الاتيان بمثله أو نظيره أو ابطاله هذا إلا في حالة واحدة فقط وهو إذا ما كان المدعي مدعماً بسند الهى وتأييد رباني ، لأن في طاقة الله سبحانه وحده أن يمطر الأرض بأنواع المعجزات والدلائل التي لا يملك الانسان ازائها إلا الإنحناء والخضوع والاستسلام طوعاً أو كرهاً . . .

لذا فقد جاء القرآن الكريم ليدعم موقف الرسول (ص) ويعزز مكانته ونبوته عن طريق فتح أبواب التحدي على مصاريعها بوجه الناس كافة مناشدhem الاتيان بمثل هذا القرآن أو بسورة مثله فقط على الأقل ولو من قصار السور إذا لم يمكنهم من الاتيان بمثل هذا القرآن . .

ورغم ان أبواب التحدي كانت ولا تزال مفتوحة على مصاريعها أمام الجميع إلا اننا لم نسمع منذ منطلق الدعوة الاسلامية حتى هذه

(٣٠) التشريع الجنائي الإسلامي - عبد القادر عودة .

(٣١) في التفريق بين النبوة والرسالة يراجع فصل « القرآن في طريقه إلى الأرض » .

اللحظة من عمر الزمن ، ولم نسمع أو نرى من قريب أو بعيد من تقدم خطوة جدية واحدة باتجاه هذا الباب أو مجرد التفكير المحض في الاقتراب منه على الرغم من انتشار وسيطرة ملكة الخطابة والبيان واللغة على نفوس أبناء المجتمع العربي قديماً وحديثاً . .

هذا وإذا ما كان هناك من ادعى النبوة بعد وفاة الرسول (ص) أو في العصور اللاحقة الأخرى فإن معجزاتهم التي ارادوا ان يظاهروا بها القرآن الكريم - ان وجدت - كانت لو تعدى ان تخرج عن هذيان محموم وأقوال مضطربة وكلمات جافة وجمل هزيلة لا تقف على قدميها ولا تصل ولا ترقى حتى إلى مستوى أوطأ الناس ثقافة وعلماً وفهماً ، كما سنرى مصداقه - أيها القارئ العزيز - في فصل لاحق يحمل اسم - اعجاز القرآن . .

ومن كل ما تقدم نخلص إلى القول بان معجزة القرآن كانت معجزة قاطعة وباتة وباقية على مر الدهر تدل على صدق من جاء بها من عند الله تعالى ووضعها في ميدان التحدي والمبارزة . وهذا الكلام بدوره يقودنا لاثبات ودلالة ان القرآن المعجز هو البرهان القاطع على صحة النبوة ، أما صحة النبوة فليست برهاناً على اعجاز القرآن ، اضافة إلى ان قليل القرآن وكثيره يستوي في الاعجاز وعلى النحو الذي تقدم .

٦ - والقرآن سادساً متعبداً بتلاوته لأنه كلام الله تعالى ونداءه الصادق إلى الناس كافة ، وليس كلام الله بمشابه أو مناظر لكلام احد من الناس ، وقد دعا - سبحانه - في مواضع كثيرة من كتابه إلى حفظه وتلاوته وقرائته^(٣٢) بامعان وتؤدة ليكون في المستطاع تدبر آياته وتأملها والايقظ

(٣٢) لقد ورد في الخبر « إن البيت الذي يقرأ فيه القرآن ويذكر الله تعالى فيه تكثر بركته وتحضره الملائكة وتهجره الشياطين ويضيء لأهل السماء كما نضيء الكواكب لأهل الأرض » كما وجاء في خبر آخر « داووا مرضاكم بالصدقة واستشفوا بالقرآن فمن لم يشفه القرآن فلا شفاء له » . .

بما جاء فيه من حوادث الأيام الخالية وقصص الأنبياء والمرسلين فضلاً عن العمل بأحكامه والإتصاف بمحاسن آدابه والاعتبار بحكمه وامثاله والوقوف على علومه ومعارفه .

وطبيعي أن تنفيذ كل هذه الإرشادات وتطبيقها بصورة كاملة سيؤدي بالمرء إلى جلاء فكره واستقرار سريره ونيله لرضاء الله وبركاته في الحياة الدنيا والآخرة .

لذا كانت تلاوة كتاب الله عبادة وطاعة وحسنة تسجل للفرد في ميزان الصالحات ، كما أن آيات الكتاب ملأت كل الفرائض والعبادات ، وأن غالبيه هذه الفرائض - ولا سيما الصلاة - لا تقبل ولا يقام لها وزن إن هي خلت من الآيات القرآنية الكريمة .

٧ - والقرآن سابعاً هو خاتم الكتب السماوية لأنه لما لم يكن بعد الرسول محمد (ص) من رسول ولا نبي ، لذا فليس بعد القرآن الحكيم من كتاب أو بيان (٣٣) أو أقدس أو قرآن آخر . .

(٣٣) البيان هو كتاب الطائفة التي كانت تسمى بالبابية والتي أنفصلت (الطائفة) فيما بعد إلى الطريقة أو العقيدة البهائية ، وكان الباب والذي اعدم في تبريز في ٩ / ٧ / ١٩٤٩ قد زعم أن البيان قد نزل عليه من سماء المشيئة الالهية ، ولم يتقيد الباب في كتابه البيان ولا في كتبه الأخرى بقواعد اللغة والصرف والنحو وبرر عمله هذا بقوله : إن اللغة العربية مقيدة وإنه أطلق سراحها واخرج عنها .

والعقيدة أو الحركة البهائية - بقول أتباعها - قد نسخت الشريعة الإسلامية على النحو الذي نسخ الإسلام الديانات التي سبقتها ، حيث كَوّن بهاء الله (وهو حسين علي النوري المتوفى في ٢٨ / ٥ / ١٨٩٢ ودفن في عكا) من القرآن الكريم أولاً ومن بيان الباب (وهو علي محمد رضا الشيرازي) ثانياً ومن الوحي الذي ادعى نزوله عليه ثالثاً كَوّن فكرة دين عالمي جديد يجمع الأديان كلها والأجناس كلها ويوحد الجنس البشري ويصهره في بوتقة واحدة حيث يمحو الإقليمية والوطنية لأن الأرض هي للناس كافة . .

وحيث ان البهائية قد خرجت عن حظيرة الإسلام وابتعدت عن رسالته الخالدة ، إلا انها - البهائية - استمدت في الحقيقة أكثر فرائضها وأحكامها من الشريعة الإسلامية

وقد أشار إلى هذه الحقيقة القرآن نفسه بقوله تعالى : ﴿ ما كان محمد أباً أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين وكان الله بكل شيء عليماً ﴾ (٣٤) . كما كرر ذلك النبي محمد (ص) نفسه وفي كل مناسبة وواقعة بقوله « لا نبي بعدي » وأنه خاتم المرسلين وآخر صوت نبوي سماوي يرسل إلى الأرض حتى يرثها الله ومن عليها . .

هذا وإن إنهاء الله تعالى للكتب السماوية بالقرآن الكريم وما يترتب على ذلك من بقاء مفعوله وحكمه سارياً وناظراً إلى آخر يوم في تاريخ الأرض ، تطلب الحال بطبيعة الأمر أن يضع الله سبحانه في القرآن الكريم ويضمّنه بكافة التشريعات والأنظمة والأحكام والنواهي والأوامر والتعليمات التي يحتاجها الإنسان لتنظيم شؤونه وحل مشاكله ومطالبه حتى اليوم الأخير من عمر الحياة على سطح الأرض . .

وطبيعي أن هذه التشريعات والأنظمة والأحكام ستكون من الرحابة والمرونة والسماح ما يجنبها في كل عهد ومكان أن تكون عقبة في طريق المرء ومسيرة الحياة نحو الأفضل . حيث سنرى مصداق ذلك جلياً على صفحات هذا الكتاب القادمة . *مركز تحقيق كتب علوم رسول*

وبعد فالنقاط السبع التي مررنا عليها آنفاً مرور الأقمار الصناعية في سماء الأرض أو في طريقها إلى كوكب آخر ستشعوب معظم مواضع هذا الكتاب وستملأ معظم فصوله وسطوره . .

ولكن مع التحوير والتغير وفقاً لما أثره مؤسسها (البهاء) مما رآه يتلاءم وروح العصر ومتطلبات الحضارة وتطور المدنية . .

والبهائية محدودة العدد إلا أنها منتشرة في كافة أنحاء العالم ويتولى توجيهها حالياً « المجلس البهائي الأعلى » من مقره في شيكاغو بإيركا ويصدر المجلس مجلة باسم « نجمة الغرب » تترجم فيها آراء وأفكار هذه العقيدة .
وللاطلاع على المزيد من هذه العقيدة يراجع كتابنا « أضواء على شبه القارة الهندية » الذي سيريئ النور قريباً . .

(٣٤) الأحزاب : ٤٠ .

وبدورنا فقد حرصنا على ألا يكون هذا الإنتشار والتوزيع عشوائياً
ومن دونما نظام أو خطة رشيدة . وإنما سنعطي كل موضوع وفصل ما
يستحقه من شرح أو إيجاز تبعاً لأهميته وحاجة الناس الملحة إليه ،
متوخين من كل ذلك أن نترك لدى القراء الكرام فكرة عامة وكاملة عن القرآن
ومعارفه وعلومه ، هذا القرآن الذي ظل نبزاً يضيء البشرية الطريق
المعبد والموصل للنهضة وال عمران ، هذا القرآن الذي دفع ومدّ حدود
وسلطان المسلمين من شواطئ المحيط الأطلسي حتى جدار الصين
العظيم واسبع على جموع المسلمين على هذه الرقعة الواسعة من الأرض
العدالة والحرية والكرامة ، هذا القرآن الذي ضمّ من التشريعات
والقوانين والأنظمة ما قصرت القوانين الوضعية حتى بعد تطورها وتقويمها
من اللحاق بها أو مضاهاتها حتى في التفاصيل ، هذا القرآن الذي
اعترف العدو قبل الصديق من أنه السبب الرئيسي والأوحد في وحدة
كلمة العرب والمسلمين وسبب قوتهم وانتصارهم على الأعداء والمناوئين
لهم .

اذن فلنبداً رحلتنا التاريخية إليه من الآن ولنحط أولاً عند بحث
يتولى الإشارة إلى أسماء القرآن وصفاته ثم ننتقل بعد ذلك إلى الأبحاث
والمواضيع الأخرى وبالتتابع انشاء الله . .



أسماء القرآن
وصفاته



مركز تحقیقات کتب و علوم اسلامی



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

اختلف جمهور الفقهاء والمؤرخين بصدد لفظ القرآن وسبب تسميته بهذا الاسم الذي لم يكن متداولاً في الجاهلية ولم يسبق له ذكر ووجود قبل نزوله ، وهل هو لفظ أصيل أو مشتق وما إذا كان مهموزاً - أي أن الهمزة هي في أصل اشتقاقه - أو هو غير مهموز بالمرة .

في البداية اتفق كل هؤلاء الفقهاء والمؤرخين ومن دونما أي خلاف يذكر إلى أن لفظ القرآن والذي جاء في نحو من (٧٠) آية قد وضعه الله سبحانه علماً على كتابه المنزل - أو على كل جزء من أجزائه - مخالفاً بذلك لما يسمي به العرب كلامهم وأحاديثهم المتداولة ، فقد سمي تعالى « جملته قرآناً كما سمي العرب جملة كلامهم ديواناً وسمي بعضه سورة كقصيدة وسمي بعض السورة آية كالبيت وسمي آخر السورة فاصلة كفاية » (١) .

وبعد هذه البداية المتفق عليها بين الجميع ، تفرق الفقهاء والأدباء بصدد الإجابة على التساؤل اعلاه والخاص بأصل لفظ القرآن ، ويمكن هذا حصر أقوالهم ازاء ذلك وجمعها في قولين اثنين هما :

١ - ذهب الغالبية من هؤلاء الفقهاء وفي طليعتهم الأشعري وأبو اسحق الزجاج والفراء إلى أن القرآن المعروف - ال ليس هو لفظاً أصيلاً وإنما هو مشتق ، واشتقاقه هذا قد جاء من قرن الشيء إذا ضمه إليه ، وإنما سمي القرآن بذلك وذلك بسبب قران السور والآيات والحروف

(١) الأتقان في علوم القرآن - جلال الدين السيوطي .

المتفرقة وضمها بعضها إلى بعض . .

وقيل هنا أيضاً أن اشتقاقه هذا قد جاء من القرائن لأن آياته يصدق بعضها بعضاً ويشابه بعضها للبعض الآخر فكأن بعضها قرينة على بعض . .

وقال كثير من قادة هذه الفئة وفي مقدمتهم الزجاج والليثاني بأن لفظ القرآن مهموز وذلك لأنه مشتق من القرء وهو الجمع ، وإنما سمي الكلام المنزل على النبي (ص) قرآناً لأنه جمع السور أو جمع ثمرات الكتب المقدسة السالفة أو أنه مشتق من قرأ ومعناه تلا مثل الغفران المشتق من غفر والكفران المشتق من كفر .

٢ - أما الأقلية من هؤلاء الفقهاء وعلى رأسهم الإمام الشافعي (٢)

(٢) الإمام الشافعي هو محمد بن إدريس الشافعي ولد عام ٥٠ هـ في غزة ونشأ فقيراً ورحل إلى مكة المكرمة وهو ابن عشرة سنوات أو ستين - بقول آخر - طلباً للعلم على يد من كان فيها من الفقهاء والمحدثين فتفقه فيه وبلغ شأنًا عظيمًا ، ثم رحل إلى المدينة المنورة في طلب العلم أيضاً حيث درس وتفقه على يد امام دار الهجرة مالك بن أنس ، وقد ترك كتاب الأم الذي ضمنه آرائه وآثاره . . . وقد طاف في كثير من الأقطار الإسلامية منها اليمن والعراق لغرض بث ونشر فقهه وعلمه فيها إلى أن استقر به المقام في مصر حيث توفي فيها في آخر ليلة من شهر رجب سنة ٢٠٤ هـ عن عمر ٥٤ سنة وقبره يقع الآن في القاهرة وهو يغص بالزوار وعارفي فضله - رحمه الله - .

وقد اتهم الإمام الشافعي بالتشيع وموالاته العلويين بسبب أن نسبه يرجع إلى المطلب بن عبد مناف وهو أخ هاشم ، حيث كان بنو المطلب وبنو هاشم كتلة واحدة ضد بني عبد شمس في الجاهلية ، وكان لهذا التكتل اثره الواضح على ابنائهما في مطلع الإسلام وبعده ، ومما ينسب له من الشعر في التشيع وحب آل علي قوله :

يا راكباً قف بالمحصب من منى	واحتف بقاعد خيفها والناهض
سحراً إذا فاض الحجيج إلى منى	فيضاً كملتطم الفرات الفائض
اعلمهموا اني من النفر الذي	لواء أهل البيت لست بناقض
ان كان رفضاً حب آل محمد	فليشهد الثقلان اني رافضي

فذهبوا إلى رأي مخالف لزملائهم أصحاب الرأي الأول بخصوص لفظ القرآن ، حيث أعلنوا أن لفظ القرآن اسم غير مشتق جملة وتفصيلاً ، كما وأنه - القرآن - في نفس الوقت غير مهموز ولم يؤخذ من قراءة بل هو خاص بالكلام المنزل وحياً على الرسول (ص) أسوة بالتوراة والانجيل والزبور (٣) . . .

وإني هنا أن القول الأول هو المفضل والمقبول لأنه يلائم المنطق ويتفق والاستدلال الواقعي واللغوي وقواعد الاشتقاق ، لذا فقد كسب أصوات الغالبية العظمى من فقهاء وأدباء المسلمين في الحاضر والغابر .
نتقل بعد هذا مع القراء الكرام إلى موضوع أسماء القرآن الكريم ، فنشير إلى أن الله سبحانه قد سمى القرآن بأسماء عديدة بلغت في التعداد عن البعض إلى (٥٥) اسماً وغالبيتها هي صفات له (٤) أما الأسماء المجردة فهي حوالي النصف أي (٢٧) اسم منها القرآن والكتاب والفرقان والكلام والمثاني والبلاغ والذكر . . . الخ .
وسنستعرض فيما يلي من سطور أسماء القرآن وصفاته مع تبيان الأسباب والعلل التي حدت إلى تسميته بهذه الأسماء ووصفه بهذه الصفات . . .

فالقرآن يسمى أولاً بالمصحف ، وعلة وضع هذا الاسم عليه ترجع إلى صدر الإسلام حين جمع الخليفة أبو بكر (رض) القرآن - في الجمع الثاني كما سيرد تفصيله في فصل قادم - حيث ضمت الصحف إلى بعضها وشدت بخيط واحد حتى لا تضيع أو لا يفقد أو يقع منها شيء ثم قال لمن حوله : [التمسوا له اسماً نسميه به فقال بعض من حضر ندعوه بـ « السفر » فأجابهم بأن هذا الاسم متداول بين اليهود فصرف النظر

(٣) الاتقان في علوم القرآن - جلال الدين السيوطي .

(٤) الاتقان في علوم القرآن - جلال الدين السيوطي ، البرهان في علوم القرآن - بدر الدين الزركشي .

عنه ، كما واقترح غيرهم دعوته بـ « الانجيل » فصرف النظر عنه أيضاً لأن هذا الاسم يطلق على كتاب المسيحيين ، أما عبد الله بن مسعود والذي كان أحد من حضر اقترح ان يوضع له اسم « مصحف » لأنه شاهد في الحبشة أن أبنائها يطلقون على كل ما جمع من الصحف اسم « المصحف » فاستحسن الجميع الفكرة وقر رأيهم حينئذٍ على هذا الاسم ، ولا زال القرآن الكريم يحمل هذا الاسم حتى الآن رغم أنه قد قصد به في وقته الصحف المجموعة [٥] .

أما عن علة عدم تسمية هذه الصحف المجموعة بالقرآن فمرده هو أن القرآن الكريم ما هو موجود بين الدفتين . أما هذه الصحف المجموعة فهي مجموعة في مكان واحد ودون ان تجمعها الدفتين تباعاً ، لذا فلو كان قد اطلق عليها لفظ القرآن فإن هذه التسمية ستؤدي شبه المعنى وليس كل المعنى . .

لذا فقد اقترح لها لفظ جديد هو « المصحف » ليتمكن تمييزها عن القرآن والذي قد بجمع في وقت لاحق ما بين الدفتين تباعاً ، وهو ما حصل بالفعل في وقت لاحق .

والمراد بالمصحف العثماني هو مصحف عثمان بن عفان الذي طلب كتابته بعدة نسخ وقام بتوزيعها في حواضر العالم الإسلامي - وهو ما يدعى بالجمع الثالث كما سترى تفصيله في بحث قادم - وكانت نسخ هذا المصحف خالية من النقاط والحركات (الشكل) وارقام الآيات والأحزاب والأجزاء ، حيث أن بكافة هذه المحسنات والأمور قد وضعت فيما بعد وبمرور الزمن لتكون في الختام القرآن الكريم الذي هو الآن في أيدي المسلمين .

(٥) تاريخ القرآن - محمد طاهر الكردي ، الاتقان في علوم القرآن - جلال الدين السيوطي .

كما وكان المصحف العثماني يدعى بـ « المصحف الإمام » أيضاً
لسبب خاص سوف نتناوله في فصل الجمع الثالث للقرآن .

أما بصدد تسمية القرآن الكريم بالكتاب فهذا يرجع إلى جمعه
وكتابه في مكان واحد ، لأن الكتابة هي جمع للحروف ورسم للألفاظ ،
ولا يطلق الكتاب على المكتوب إذا كان مجزئاً أو غير مجموع أو محفوظ
في الصدور والقلوب ، وقيل أنه « روعي في تسميته كتاباً كونه مدوناً
بالأقلام »^(٦) ومجموعاً في السطور . .

أما بخصوص السبب الرئيسي في تسمية القرآن بالاسم الأكثر شيوعاً
والأغلب تداولاً بين الناس هو لفظ « الكريم » فيعود إلى أن القرآن - في
الحق - ينظم الحياة الإقتصادية والمعاشية لعموم أبناء البشر عن طريق
بيان مجالات التكسب والعمل المباحة والأخرى المحظورة ، فضلاً عن
تبيان الالتزامات والتكاليف والأعباء المالية التي تلتزم بها كل فئة ازاء
الأخرى ، فكل هذه التنظيمات والتشريعات التي حفلت بها سور القرآن
وآياته لو عمل بها بعد نقلها إلى عالم التطبيق والممارسة العملية ،
لأنبتق وتكون بسببها مجتمع خروستعيد يحقق على جنبااته لواء العدالة
والحق والمساواة ولساد أوساطه الشعبية روح التعاون والتضامن والتألف
ولزال منه وإلى الأبد كل ألوان الإستغلال والاستعباد والفساد . .

ان أي جهة أو فرد لو كان في امكانها صنع أو ترتيب هذا
الشيء أو شطراً منه لغدا كريمين ومحسنين ، وهكذا الحال في القرآن
الكريم فإنه لنفس السبب والعلة دعاه الله تعالى بالكريم ، وهو وصف
جاء في مكانه أو هو طبيعي بعد أن وجدنا شريعة القرآن كيف تولت
تنظيم المجتمع الانساني في صدر الإسلام وكفلت له سبيل الرقي
والنجاح بعيداً عن الإستغلال والاستعباد . .

(٦) النبأ العظيم - الدكتور محمد عبد الله دراز .

أما سبب تسميته بالفرقان فيعود إلى كون الكلمة هذه هي مصدر من فعل فرق ، والفرقان هو ما يفرق ويفصل بين الشيئين ، وإنما سمي القرآن به لأنه يفصل بين الحق والباطل والهدى والضلال . .

أما علة تسمية القرآن بالمجيد والعزیز فهو أن هذه الصفات مشتقة من المجد والعزة على التوالي وهذا وصف طبيعي وخلق أن يحمله القرآن إذا ما علمنا بأنه كلام الله تعالى وقد جعله أسمى الكتب السماوية منزلة وأوفرها علماً واعذبها نظاماً وفصاحة ، كما وادع فيه علم كل شيء وضمنه بكل رطب ويابس بقوله سبحانه ﴿ وكل صغير وكبير مستطر ﴾^(٧) وقوله : ﴿ ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين ﴾^(٨) هذا فضلاً عن أن القرآن هو الحبل الذي يربط الأرض بالسما والنور الذي يضيء دياجير الظلمات في الخافقين .

لذا كان حقاً أن يكون مجيداً وعزیزاً بل وفوق ذلك أن كان هناك فوق أو علو أو سمو . .

أما لفظ المبين الذي يلحق بالقرآن مراراً فهو مأخوذ من البينة أو البيان وذلك لأن حجة القرآن بيّنة ودليله ساطع وجلي ، أو هو يبين الحق من الباطل والرشاد من الغواية والضلال . .

وأما لفظ الذكر فسمي به القرآن لأنه ذكر الناس بأخترتهم وما كانوا غافلين عنه ، وقيل أيضاً أنه سمي بذلك لأنه ذكر أحوال الأمم السالفة والعصور البائدة ، إضافة إلى ذكره للأنبياء والمرسلين .

أما لفظ الحكيم فقليل أنه جاء من الحكمة لأن الحكمة والحكم من مادة واحدة كما يقول أهل اللغة ولما كان القرآن هو منبع الحكمة ومصدرها ، إليه يفرع الناس للإغتراف والإستزادة من فيض حكمته

(٧) القمر : ٥٣ .

(٨) الأنعام : ٥٩ .

وبيانه ، ومنه تنحدر الوصايا والحكم والأمثال والعظة والقصص ، لذا بات
حكيماً ان لم يكن أعلم منه واسمى . .

وبصدد السورة فإن معناها اللغوي هي المنزلة الرفيعة والمكانة
السامية ، وفي هذا المعنى أورد النابغة الذبياني للنعمان بن المنذر هذا
البيت من الشعر في قصيدته البائية المشهورة :

ألم تر أن الله أعطاك سورة ترى كل ملك دونها يتذبذب
وقيل في معنى السورة أيضاً أنها قد جاءت من سور البلدة وجدارها
بسبب احاطتها بآياتها كإحاطة الجدار والسور بالمدينة ، وقيل كذلك أنها
مأخوذة من السور وهو التصاعد والتركب بسبب أن تركيبها قد جاء بعضاً
على بعض . .

وبصدد تعريف السورة فإنها توصف بـ « قطعة من القرآن مستقلة
تشمل آيات ذات فاتحة وخاتمة وقلها ثلاث آيات بالإضافة إلى
البسمة » (٩).

والسورة يمكن اعتبارها أصغر الوحدات التي يتألف منها القرآن
الكريم . .

والحكمة في تقطيع القرآن سوراً هي الحكمة في تقطيع السور
آيات معدودة ، ونرى لكل سورة خاتمة ومطلعاً حيث تكون كل واحدة
منها - بل كل آية - فناً مستقلاً وقرآناً معتبراً . .

وقيل هنا أيضاً أن الحكمة في تسوير القرآن سوراً هو اثبات و
« دليل على كون السورة بمجرد معجزة وآية من آيات الله » (١٠) إضافة
إلى أن تقسيم القرآن إلى سور له أثر كبير في ميدان تعلّمه واستظهاره وانه

(٩) تفسير التبيان - أبو جعفر الطوسي ، تاريخ التشريع الإسلامي - الشيخ محمد
الخضري .

(١٠) الإتقان في علوم القرآن - جلال الدين السيوطي .

يسدد الأنظار ويلفتها إلى كل جزء من أجزائه . .

وسورت السور طوالاً وأوساطاً وقصاراً إشارة إلى أن الطول ليس من شرط الإعجاز فضلاً عن أن كل سورة لها نمط مستقل ويبحث خاص كبرت أو صغرت . .

والسورة مهما تعددت قضاياها وأهدافها فهي : « كلام يتعلق آخره بأوله وأوله بآخره وأنه لا غنى لمتفهم السورة ونظمها من استيفاء النظر في جميعها كما لا غنى عن ذلك في أجزائها » (١١) . .

والسورة قد تكون ذات موضوع واحد تبحث عنه ولا تتعداه إلى سواه مثل كثير من السور القصيرة كسورة الذهب والفيل . . الخ ، كما وقد تتناول السورة أغراضاً عديدة مثل معظم السور في القرآن الكريم ولا سيما السور الطويلة . .

ولن ينتقل القرآن بين الأغراض المختلفة في السور الأخيرة - الطويلة - اعتباطاً أو عفواً وإنما لصلات الوثيقة التي تربط بين هذه الأغراض بحيث تتضافر سائرهما للوصول إلى هدف السورة وحينما يستوفي الغرض الخاص تنتهي السورة ، فسورة التوبة تحدد علاقة المسلمين بالكافرين والمشركين وأهل الكتاب بينما تتجه سورة أخرى وهي الأعراف إلى الإنذار والإعطاء بقصص الأولين وأخبارهم ، وسورة الشعراء تشير إلى التخويف والإرهاب وإنذار قريش وبقية المشركين ، بينما توشك سورة طه أن تستغرق قصة النبي موسى ، وكذلك سورة يوسف توشك أن تقتصر على موضوع النبي يوسف الصديق وأبيه وأخوته وأحوالهم بالتفصيل . .

وسور القرآن بالنظر إلى اختلاف عدد آياتها تنقسم إلى ثلاثة أقسام هي (١٢) :

(١١) النبا العظيم - الدكتور محمد عبد الله دراز .

(١٢) تاريخ القرآن - إبراهيم الأبياري .

١ - قسم لم يختلف فيه إجمالاً ولا تفصيلاً

٢ - قسم اختلف فيه تفصيلاً لا إجمالاً

٣ - قسم اختلف فيه تفصيلاً وإجمالاً

واسم السورة جاء توقيفاً أي بإشارة وتعليم من الرسول (ص) في أشهر الأقوال وأصحها ، كما وان الضابط والقاعدة العامة في تسمية السور القرآنية . على ما يبدو من اسمائها - هو تسمية السورة بمطالعها أو بكلمة أو موضوع بارز فيها أو باشتقاق كلمة أو حادثة معينة واردة فيها كقصة تدور حولها أو حكم أو بما تحدثت عنه من حيوان أو انسان أو فاكهة ..

وقد يكون للسورة الواحدة اسم واحد فقط وعليه غالبية سور القرآن الكريم كما وقد يكون لها اسمان أو أكثر . . فمن السور التي لها أكثر من اسم واحد هي :

وتسمى سورة الحمد وام الكتاب والسبع المثاني

وتسمى سورة المؤمن

وتسمى سورة الملك

وتسمى سورة النبأ

وتسمى سورة السجدة

وتسمى سورة التوبة والفاضحة والحافرة والعذاب

وتسمى سورة بني إسرائيل

وتسمى سورة الملائكة

وتسمى سورة القتال

وتسمى المعوذتان

وتسمى الزهراوان

١ - سورة الفاتحة

٢ - سورة غافر

٣ - سورة تبارك

٤ - سورة عم

٥ - سورة فصلت

٦ - سورة براءة

٧ - سورة الإسراء

٨ - سورة فاطر

٩ - سورة محمد

١٠ - سورة الفلق والناس

١١ - سورة البقرة وآل عمران

كما وهناك أسماء خاصة لآية واحدة أو جملة آيات متتابعة ، وقد

تكون هذه الأسماء - كما هو الحال في السور - توقيفية أو غير توقيفية عن

طريق تسميتها باسم كلمة بارزة أو عبارة رئيسية موجودة في نفس الآية أو الآيات المتتالية .

ومن امثلة ذلك هي آية الكرسي في سورة البقرة وآية النجوى في سورة المجادلة وآية المباهلة في سورة آل عمران وآية التطهير في سورة الأحزاب وآية النور في سورة النور وغير ذلك . .

أما بشأن الآية فإن معناها هو العلامة والمعجزة والعبرة والدليل والبرهان ، وإنما سميت بذلك لأن كل آية هي دليل وعلامة على صحة النبوة ، فضلاً عن أن اجتماع والتقاء عدة آيات تكون منها معجزة قائمة بذاتها ويعجز الآخرون عن محاكاتها أو الإتيان بمثلها^(١٣) . .

أما في الإصطلاح فالآية هي طائفة من القرآن منقطعة عما قبلها وما بعدها وليس بينها شبه بما سواها . .

أن أطول آية في القرآن هي آية الدين وهي قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَانَيْتُمْ بِدِينٍ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ . . . وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾^(١٤) وتضم هذه الآية مائة وعشرون كلمة . . .

وأما الكلمة فهي اللفظة الواحدة وقد تتكون من حرفين مثل « ما » ، « لي » ، « له » و « لك » ، وقد تتكون من أكثر من ذلك ، وأكثر ما تكون الكلمة في القرآن عشرة أو أحد عشر حرف مثل « ليستخلفنهم » و « انزلهمكموها » و « فاسقيناكموه » و « أقترفتموها » . . .

(١٣) بصدد القدر المعجز من القرآن ، فقد قيل ان أقل ما يعجز عنه من القرآن هو السورة الواحدة قصيرة كانت أو طويلة ، كما جاء مصداق ذلك في عدة آيات من القرآن منها قوله تعالى في سورة البقرة / الآية ٢٣ « قل فاتوا بسورة من مثله » وقوله في سورة يونس / الآية ٣٨ « قل فاتوا بسورة مثله » . .

وقال آخرون أنه إذا كانت الآية أو الآيات بقدر حروف السورة وان كانت كسورة الكوثر - وهي أصغر سورة في تاريخ القرآن - فذلك معجز ، بينما اشترط البعض كون هذه الآيات كثيرة ليقوم الإعجاز بها (اعجاز القرآن - أبو بكر الباقلاني) . .

(١٤) البقرة : ٢٨٢ .

وقد تكون الكلمة آية مثل « والفجر » و « والعصر » و « طه » و « ياسين » و « حم » أو قد تكون دونها كما سبق بيانه (١٥) . . .

أما الفاصلة فهي تطلق على الكلمة التي تختتم بها الآية من القرآن كما وتطلق أيضاً على رأس الآية و « مكانتها من الآية مكان القافية من البيت اذ تصبح الآية لبنة متميزة في بناء هيكل السورة » (١٦) . .

ويقال عن معنى الفاصلة أنها جاءت من التفصيل وإنما سميت بذلك لأن بها يتم بيان المعنى ويزداد وضوحه جلاء وقوة ، كما قيل أنها سميت بذلك لأنه ينفصل عندها كلامان ، لأن آخر الآية فصل بينها وبين ما بعدها ، والسرف في عدم تسميتها اسجاعاً فيعود إلى خلق القرآن من السجع ولأن السجع نقص وعيب بينما القواصل بلاغة وبيان (١٧) . .

والفاصلة تكمل معنى الآية ويتم بها النغم الموسيقي لها فهي أكثر ما تنتهي بالنون والميم وحروف المد وهي كلها من الحروف الطبيعية في الموسيقى نفسها (١٨) . .

ويتعلق معنى الفاصلة بمعنى الآية كلها تعلقاً كبيراً بحيث أننا لو ابعدها لأختل المعنى أو اضطرب الفهم ، فهي تؤدي في محلها جزءاً من معنى الآية يتقص ويرتبك بطرحها واستبعادها وقد يتضاعف تمكن الفاصلة من مكانها حتى لتشير إليها قبل التفوه بها . .

(١٥) البرهان في علوم القرآن : بدر الدين الزركشي .

(١٦) من بلاغة القرآن - الدكتور أحمد أحمد بدوي .

(١٧) لقد ذهب البعض من الأدباء والبلغاء إلى اثبات ان السجع موجود في القرآن ، إلا أنه افصح مما قد اعتاده الناس من أسجاعهم ، وان سجع القرآن - عند هؤلاء - يتخذ منهجاً خاصاً به لا يشركه فيه سواه ، ذلك مما يبين به فضل الكلام وأنه من الأجناس التي يقع فيها التفاضل في البيان والفصاحة كالتجنيس والإلتفات الخ من الوجوه التي تعرف الفصاحة بها . .

(١٨) من بلاغة القرآن - الدكتور أحمد أحمد بدوي .

ويروى هنا إثباتاً لهذا القول ما نقل عن زيد بن ثابت^(١٩) أنه قال :
 « املئ عليّ رسول الله (ص) هذه الآية : ﴿ ولقد خلقنا الإنسان من
 سلاله من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقه
 فخلقنا العلقه مضغة فخلقنا المضغة عظاماً فكسونا العظام لحماً ثم
 أنشأناه خلقاً آخر ﴾^(٢٠) ، وهنا قال معاذ بن جبل ﴿ فتبارك الله أحسن
 الخالقين ﴾ فضحك رسول الله (ص) فقال له معاذ : لم ضحكك يا
 رسول الله . . ؟ قال : بها ختمت . وهناك أمثلة أخرى لا مجال لإيرادها
 ها هنا . .



(١٩) الاتقان في علوم القرآن - جلال الدين السيوطي .
 (٢٠) المؤمنون : ١٢ وما بعدها .

طبيعة المجتمع العربي

في عصر النبوة

مركز تحقيقات كميونيزم وعلوم إسلامي



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

كانت غالبية الناس في الديار الحجازية حين نزول القرآن الكريم على صدر الرسول (ص) كانت أمية وجاهلة ولا تجيد القراءة والكتابة ، وإنما قلنا هنا الغالبية فمن اجل أن نخرج منهم فئات قليلة كانت تتقن القراءة والكتابة وهي في مجموعها نسبة لا يستهان بها عند الحساب . .

وسنشير فيما يلي من سطور عن مدى انتشار التعليم (القراءة والكتابة) في المدن الحجازية أولاً ثم نخرج من بعد على شؤونها وأحوالها الأخرى ثانياً فأقول بعد الاتكال على الله :

بصدد نسبة المتعلمين وعندهم عند بدء نزول الوحي فقد ذهب معظم الرواة والمؤرخين السابقين واللاحقين إلى نفي واستبعاد وجود أي لون من ألوان التعليم والثقافة أو وجودهما ولكن بنسبة جد صغيرة حيث لا يتجاوز عدد المتعلمين - لدى هؤلاء - عن عدد اصابع اليد الواحدة في كل بلد من بلدان الحجاز وحواضره . .

أما القلة من الرواة والمؤرخين فتنحوا وتشير إلى « وجود فئات قليلة من المتعلمين وينسب لا يمكن تجاهلها في المدن الحجازية »^(١) . .

وهذه القلة من الرواة لم تطلق قولها هذا جزافاً أو على عواهنه وإنما تورد أدلة وإثباتات قاطعة في دعم قولها وتأنيده . .

(١) القرآن المجيد - محمد عزة دروزة .

وإني اذ أضمت صوتي إلى هذه الفئة القليلة من الرواة والمؤرخين لأورد في أدناه
وبتصرف بعض النقاط والأدلة الواردة في تعزيز هذا الرأي وتأييد هذا الإتجاه
فأقول :

ان البيئة الحجازية ولا سيما مكة المكرمة والمدينة المنورة كانت
بيئة تجارية قبل كل شيء (وفقاً لما أشار إليه القرآن الكريم في سورة
قريش) ، وكانت هذه البيئة بحكم عملها وطبيعتها على اتصال وثيق
ومستمر مادياً مع البلاد المجاورة وهي الشام واليمن والعراق والتي كانت
على جانب لا بأس به من العلم والثقافة . .

وكانت البيئة الحجازية أيضاً تضم فئات وجاليات كتابية مسيحية
ويهودية أصيلة ونازحة من البلاد المجاورة والتي كانت تتداول فيما بينها
الكتب الدينية أو غير الدينية قراءة وكتابة . .

فلا يتصور في كل هذه الحالات أن يبقى العرب في مكة والمدينة
جامدين وغافلين عن اقتباس أصول القراءة والكتابة من هؤلاء لاستعمالها
في معاملاتهم اليومية وحياتهم التجارية والتي لا يمكن تصور قيامها بدون
كتابة أو تدوين ، ولا استعمالها أيضاً في تسجيل معلقاتهم وأشعارهم
وأيامهم التي ملئت الخافقين وتحدث بها الركبان وسمعها القاصي
والداني . .

هذا من جهة ومن الجهة الأخرى فإن في القرآن آيات عديدة تشير
إلى فضل العلم ومنزلة العلماء ودرجتهم وتطلب من سائر الناس تسجيل
كافة المعاملات والتصرفات وكتابتها نقداً أو ديناً صغيرة أو كبيرة ، فكيف
تطلب هذه الآيات من الناس تحقيق كل ذلك دون وجود قسم من
المتعلمين بين صفوفهم ودون وجود كتاب يكتبون ويدونون لأنفسهم أو
عن الآخرين (٢) . .

(٢) القرآن المجيد - محمد عزة دروزة .

هذا بالإضافة إلى أن كتبة الوحي بين يدي الرسول (ص) بلغ عددهم أكثر من ٤٠ رجلاً - كما سنرى بعد قليل - وإن كثيراً منهم كانوا مكينين وهم الذين كتبوا القسم المكي من القرآن قبل هجرة الرسول (ص) إلى المدينة ، وهذا دليل ساطع على وجود المتعلمين في مكة وإن كانوا قليلين سواء من كتب وسجل الوحي كهؤلاء أو ممن لم يسلم بعد ويدخل في رحاب الإيمان والعقيدة .

كما ونشير هنا إلى أن الأسرى الفقراء من قريش الذين وقعوا في قبضة المسلمين في معركة بدر الكبرى عام ٢ للهجرة والذين لم يستطيعوا أن يقدموا فدية نقدية لإطلاق سراحهم كلف كل واحد منهم ممن يجيد القراءة والكتابة تعليم عشرة من أطفال المسلمين في المدينة القراءة والكتابة لقاء اطلاق سراحهم وعودتهم بالتالي إلى ديارهم وأهليهم (٣) . .

ويحدثنا التاريخ أن كثيراً من هؤلاء قد قاموا بما كلفوا به من تعليم كل واحد لعشرة من الأطفال في المدينة وأصبحوا بعدها أحراراً وعادوا إلى مكة المكرمة ، كما واسلم بعضهم عندما لمسوا بجلاء عدالة الشريعة وسماحتها ورحابة افقها .

فكيف يعقل هنا أن يجيد قسم من الفقراء ومعدمي القرشيين القراءة والكتابة ولا يتقنها اغنياؤهم وتجارهم وأرباب السلطان منهم . .

لذا نرى جازمين مما تقدم أن التعليم كان متشراً عند بدء الرسالة وانطلاق نداء الوحي في المدن الحجازية بأكثر مما يورده الرواة

(٣) يمكن هنا اعتبار هؤلاء الأسرى بتعليم أطفال المسلمين أو غيرهم من الأميين أول مدرسة قامت في العصر الإسلامي إن صح تسميتها مدرسة . . وهناك من عدّ الدار التي كان يختبئ فيها الرسول (ص) مع المسلمين في مكة المكرمة عند الصفا عند بدأ علنية الدعوة والتي حفظ فيها الصحابة الأوائل الكثير من الآيات الكريمة عد هذه الدار المدرسة الأولى للقرآن الكريم في الإسلام . .

والمؤرخين في كتبهم وتواريخهم وان نسبتهم العددية وان كانت قليلة بالنسبة إلى عموم الناس وسوادهم إلا أنها نسبة لا يستهان بها وأنها قد لا تكون بأقل من نسبة المتعلمين في هذا العهد في بعض الدول الأفريقية الاستوائية .

هذا وان زيادة وارتفاع نسبة المتعلمين بين الناس عند بعثة الرسول (ص) - كما تقدم - وخلافاً لما أورده غالبية الرواة والمؤرخين - لا يمكن أن يحمل على غير محمله فظن بأن هذا الأمر يخفف أو يقلل أو يصطدم مع معجزة الإسلام الخالدة - أو أي أصل أو فرع ديني آخر . بل أن العكس هو الصحيح ، حيث أرى - جازماً - بأن وجود هذه الفئة القليلة من المتعلمين عند نزول القرآن على الرسول (ص) يعزز من قوة هذه المعجزة التي تحدث القوم وجابتههم في الميدان الذي يصلون فيه ويجولون وفي نفس السلاح الذي يحملونه في أيديهم وفي اللسان والمنطق الذي يجيدونه . .

بل اضيف إلى كل هذا بالقول بأنه لو لم يكن هناك في البيئة الحجازية أي متعلم أو كاتب أو كان ولكن بقدر أصابع اليد الواحدة - كما يقول البعض - لكان وقع وصدي معجزة القرآن أقل وأدنى مما لو كانت أعداد المتعلمين كبيرة ونسبتهم العددية عالية . .

أما بصدد اجادة الرسول (ص) نفسه للقراءة والكتابة ، فقد ذهبت الغالبية العظمى من المؤرخين والرواة وكتاب السير من تقدم منهم أو تأخر ، ذهب كل هؤلاء إلى أن النبي محمد (ص) كان أمياً لا يعرف أن يكتب ولا اشتغل بمدارسه ولا بمثاقبه ولم يدخل مدرسة ولم يمارس تعلماً^(٤) . .

(٤) المعجزة الخالدة - هبة الدين الشهرستاني ، اعجاز القرآن - أبو بكر الباقلاني ، آلاء الرحمن في تفسير القرآن - محمد جواد البلاغي ، تاريخ القرآن - ابراهيم الابياري ، تفسير شبر - السيد عبد الله شبر ، تاريخ التشريع الإسلامي - محمد =

وإني إذ أضمت صوتي إلى أصواتهم لأورد مختصراً بعض النقاط والملاحظات المتعلقة بذلك فأقول :

ان النبي (ص) كان أمياً بسبب اتخاذه بعد بعثته كتاباً للوحي يسجلون كلما أوحى إليها - على التفصيل الذي سنشير إليه في فصل قادم - كما ولم نسمع بأن الرسول (ص) كتب شيئاً أو دُون رسالة أو خطأ طيلة مدة حياته ، بل أن هذا العمل كان منوطاً ومفوضاً إلى الكتاب الذين كانوا يدُونون عنه كلما يطلب الرسول (ص) منهم ثم يوشحه من بعد بختمه (مهره) إذا ما كانت هذه رسالة موجهة إلى جهة معلومة أو خطاباً لفئة معينة . .

كما وننقل هنا حادثتين طريفتين يتداولها المؤرخون في بطون كتبهم تخصان هذا الموضوع هما :

الأولى وملخصها هو أن العباس بن عبد المطلب عم النبي (ص) وهو بمكة كان قد كتب إلى النبي كتاباً يخبره فيه بتجمع ذيول وفئات قريش وخروجهم لمنازلته (في معركة أحد) ، وان العباس كان قد أرسل هذا الكتاب رفقة فتى من غفار ، وان النبي (ص) حين ورده هذا الغفاري استدعى على الفور أبي كعب - وكان أحد كتّابه - ودفع إليه الكتاب ليقرأه عليه ، وحين فرغ - أبي - من قراءة الكتاب استكتمه النبي ، ولو كان النبي (ص) غير أمي لكتفى نفسه مؤونة دعوة أبي لقراءة كتاب العباس ولقرأه بنفسه^(٥) . .

أما الحادثة الثانية فمفادها ان الإمام علي بن أبي طالب - ع - كان

= الخضري ، تاريخ القرآن - ابي عبد الله الزنجاني ، التعبير الفني في القرآن - الدكتور بكري شيخ أمين ، الدين والإسلام - الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء ، دراسات في علوم القرآن - الدكتور عبد القهار العاني ، مباحث في علوم القرآن - مناع القطان ، موجز علوم القرآن - ابراهيم الأبياري . .

(٥) تاريخ القرآن - ابراهيم الأبياري .

كاتباً لرسول الله (ص) في عقد صلح الحديبية الذي تم عام ٦ للهجرة ، فكتب الإمام : « هذا ما صالح عليه محمد رسول الله » ولكن سهيل رسول القرشيين في مكة أجاب : أنه لو علم بأنه رسول الله لما قاتلناه فطلب محوها ، فقال رسول الله لعلي : أمحها فأمتنع علي عن محو جملة « رسول الله » فقال (ص) لعلي : ارينيه ، فمسها النبي (ص) بيده وهذا العمل يدل على أنه (ص) كان لا يقرأ ولا يكتب . .

هذا علماً بأن هناك فئة من الذين يذهبون إلى أمية الرسول (ص) تقصر وتصرف هذه الأمية على الفترة التي سبقت نزول الوحي والقرآن ، لأن هذه الفترة في نظرهم هي الموجبة لبقاء النبي امياً وهي التي ترفع الشك والشبهة في نسبة القرآن إلى غير منزله ، أما بعد هذه الفترة فلا وجوب ولا حكمة لبقاء النبي امياً ، فضلاً عن أنه ليس هناك شك أو شبهة حول القرآن بعد ان نزل إلى الأرض وقرأه الناس . . وتحتج هذه الفئة بأن لفظ « من قبله » في الآية الكريمة « وما كنت تتلو من قبله . . . » يقصد به من قبل نزول الوحي والقرآن . كما وتحتج بأدلة ووقائع لا مجال لإيرادها في هذا الموجز .

وبعد فلا يمكن هنا ويحال من الأحوال أن يتصور بأن الأمية هي اساءة للرسول (ص) أو منقصة له ، بل هي في الحق « من وجوه اعجازه والإعجاب به صدوره من قبل النبي - الأمي - ربيب البادية البعيد عن حظائر الفنون النائي عن حواضر الحكماء ومحاضر العلماء » (٧) . .

ولو كان النبي (ص) غير أمي (جدلاً) فلربما ستثور بوجهه التفتولات والأراجيف بأن هذا القرآن أو بعضه من صنع يده وأن كافة ما جاء فيه من قصص الماضين وأحوال الغابرين هي مما تعلمها وسجلها

(٦) مجمع البيان في تفسير القرآن - ابي علي الفضل الطبرسي .

(٧) المعجزة الخالدة - هبة الدين الشهرستاني .

وأخذها من أبناء اليهود والمسيحيين. في خلال سفراته العديدة إلى ديار الشام وإلى المدينة المنورة ، ومما اطلع عليه من كتب اليهود القديمة ومخلفات القرون الأولى ومن دون أن يبعثه الله تعالى إلى العالمين رسولاً ونبياً . .

لذا جاء حكم الله الصارم في القرآن بنفي اجادة الرسول (ص) للقراءة والكتابة ، وقد جاء حكم الله هذا فلأجل أن يقطع الطريق على كل ما قد يتصور أو يشك أو يثار بصدد القرآن ونسبته إلى غير خالقه اجل جاء حكم الله تعالى هذا القول : ﴿ وما كنت تتلو من قبله ولا تخطه يمينك إذا لارتاب المبطلون ﴾ ^(٨) ليؤكد كل ما قلناه آنفاً من أمية الرسول وعدم اجادته للقراءة والكتابة . .

هذا وقد كان في وسع أي شخص في عصر النبوة أن يتعلم القراءة والكتابة في بحر فترة قصيرة من الزمن ، وقد كان - من باب أولى - في مكنة الرسول (ص) ان يتقنها في فترة قياسية إذا رغب في ذلك ولكن الله سبحانه أثر له البقاء بعيداً عن عالم القراءة ودنيا الحروف والأرقام ليكون وقع معجزة القرآن على الناس شديداً وأثرها عليهم كبيراً ، فضلاً عن كشف كافة التقولات والتخرصات التي قد تثار بشأن مصدر القرآن إلى غير منزله ، وموجده وهو الله تعالى . .

ورغم كل البراهين والحجج الأنفة الذكر الخاصة بأمية الرسول وعدم إجادته القراءة والكتابة نجد هناك قلائل يذهبون إلى أن النبي (ص) كان يقرأ ويكتب بدعوى أن الأمية هي نقص للفرد العادي فكيف الحال بالنسبة للرسول الكريم والذي يلزم - بنظرهم - أن يكون ممن يقرأ ويكتب .

وقد قام هؤلاء بتأويل الآيات الكريمة الخاصة بأمية الرسول (ص) تأويلاً يتفق ووجهة نظرهم كما أشاروا إلى ما حصل له (ص) عند قرب

(٨) العنكبوت : ٤٨ .

وفاته حينما قال (ص) « لو آتوني بدواة وقلم اكتب لكم شيئاً لن تضلوا بعدي أبداً » حيث أن هذا القول يوحى بإجادة الرسول للكتابة . .

والحقيقة هنا هو ان لفظ - اكتب - هو أمر بالكتابة أي يطلب من أحد الحاضرين كتابة ما يمليه عليه (ص) لا أن يكتب (ص) بنفسه وهو مسجى على فراش الخلود في انتظار لقاء ربه تعالى . .

هذا وقد حاولت فئة ثالثة - برزت هنا - التوفيق بين الرأيين المتضاربين الأنفين بخصوص امية أو عدم امية الرسول (ص) حيث خلصت للقول بأن الرسول (ص) كان في الحق امياً لا يقرأ ولا يكتب ولكن كان في مكتته ان شاء ان يقرأ ويكتب ، أو يقول آخر قريب منه هو : ان الرسول (ص) كان يعرف أن يقرأ ويكتب ولكنه لم يباشر ذلك أبداً طيلة مدة حياته . . .

وليس لدينا ما نقوله تعقياً على الرأيين الأخيرين غير توجيه القارىء الكريم إلى الأدلة والحجج الواردة آنفاً والخاصة بأمية الرسول (ص) لكونها دلائل وبراهين تتلقى مع المنطق وتتجاوب مع الواقع لذا فقد اعتمدتها الغالبية الساحقة من المؤرخين وكتاب السير والرواة وعلى اختلاف طوائفهم ومشاربهم .

وقبل أن نترك هذا البحث نشير إلى أن ما ورد في القرآن الكريم من وصف للنبي (ص) بالأمي أو بعثه في الأميين فهو إما ان النبي كان أمياً - كما تقدم - وإما أن الغالبية من أهل مكة كانوا اميين فنسب النبي إليهم أو أن مكة المكرمة كانت أم القرى فنسب النبي لها ، كما وقيل هنا أيضاً أنه يراد بالأمي : « ما يقابل أهل الكتاب الذين يحوزون الكتب المقدسة ويعرفونها ، فالرسول (ص) لم يكن له علم بهذه الكتب المقدسة ولم يتلق منها وإنما جاءه العلم من عند الله تعالى وعن طريق الوحي » (٩) . .

(٩) نظرة عامة في تاريخ الفقه الإسلامي - الدكتور علي حسن عبد القادر .

أما في اللغة فإن اللفظ الأمي « فاصله المنسوب لأمه وأريد به من لا يقرأ من كتاب ولا يكتب لأنه كيوم ولدته أمه »^(١٠) . .

أما عن الأحوال الإجتماعية والشؤون الأخرى التي كان يعيشها الإنسان العربي في أرض الحجاز عند بدء الرسالة ومطلع النور فنشير إلى أن الحالة التي كانت سائدة عند العرب حينذاك لا يمكن أن نعتبرها بسيطة ساذجة كما يقول الكثير من الرواة والمؤرخين حيث « لم يكن في الحقيقة ساذجاً وفطرياً سوى أحوال البدو في الصحراء »^(١١) لأن ارتباط كل من مكة والمدينة بسوريا الرومانية وبالعراق الساساني وباليمن في الجنوب وباليهود في أطراف المدينة بل في قلب المدينة نفسها جعلتهما - مكة والمدينة - « متأثرين بالقانون الروماني والقانون الساساني الفارسي والقانون اليهودي فيما كان معمولاً به المعاملات المدنية في البلدان »^(١٢) فضلاً عن تأثرهم قبل ذلك أو بعده ببعض العادات والطبائع والأعراف الأخرى . .

كما وكان هناك في كل من مكة والمدينة بعض النظم الإجتماعية التي تعود إلى النظام العربي الخالص والنظام القبلي الفح وهي الأنظمة والروابط والمواثيق المتعلقة بالأسرة والموارث والجنایات والقصاص فضلاً عن القواعد التي كانت تطبق على العقود وبعض أشكال معينة للشركات والمعاملات المالية والزراعية في المدينة والطائف ، وكل هذه « كانت تنمو وتزدهر وتتطور بالعلاقات التجارية التي كانت تغذيها وتنعشها الأشهر الحرم^(١٣) والأسواق الكبرى^(١٤) ورحلات الشتاء والصيف إلى

(١٠) المصحف الميسر - الشيخ عبد الجليل عيسى .

(١١) ، (١٢) نظرة عامة في تاريخ الفقه الإسلامي - الدكتور علي حسن عبد القادر .

(١٣) الأشهر الحرم هي أربعة : ثلاث منها متواليات هي ذو القعدة وذو الحجة

ومحرم ، والرابع هو شهر رجب الذي يقع بين جمادى وشعبان . .

(١٤) أهم الأسواق عند العرب هي : سوق عكاظ ، المربد ، ذي المجاز ، هجر ،

اليمن والشام» (١٥) . .

وإلى جانب كل هذه كانت هناك أيضاً « عادات وتقاليد ظالمة وجائرة لا تتلاءم مع أبسط قواعد العدل والإنصاف ولا تتفق مع أدنى وأبسط حقوق الإنسان » (١٦) وهذه العادات البالية وإن لم تكن شائعة بين صفوف أبناء كافة القبائل وسكان المدن إلا أنها كانت منتشرة بين بعض أمهات هذه القبائل ، ومن هذه التقاليد الغابرة الربا وشرب الخمر والميسر والدعارة وواد البنات وتمليكها كجزء من تركة المتوفى واشعال نيران الحروب لسبب بسيط أو بدونه كحرب الفجار وداحس والغبراء والبسوس والتي قامت بين قبيلتي تغلب وبكر وامتدت إلى أربعين عاماً هلك فيها الآلاف من أبناء القبيلتين ، هذا بالإضافة إلى انتشار عبادة الأوثان والأصنام (١٧) بين كثرتهم الكاثرة إلا من بعض الأفراد ممن يدعى بالحنفاء حيث كانوا يعبدون الله سبحانه ويكفرون بما سواه مثل ورقة بن نوفل وغيره من القرشيين .

هذه هي حالة المجتمع العربي وهذا هو تاريخه واضحاً وساطعاً وموجزاً عند بدء نزول الوحي الأمين على صدر الرسول (ص) وبدء ساعة الصفر في الثورة الإسلامية المباركة . .

مجنة ، دومة الجندل وهذه كلها أسواق سنوية « حولية » كما وهناك أسواق أسبوعية مثل « سوق الخميس والإثنين والثلاثاء » .

وكانت الأسواق تزخر بالناس من تجار وصناع وادباء وخطباء وشعراء وساسة وأشرف للبحث والتداول في الشؤون التجارية والاقتصادية والخطابية والسياسية . . . الخ .

(١٥) ، (١٦) نظرة عامة في تاريخ الفقه الإسلامي - الدكتور علي حسن عبد القادر . .

(١٧) قيل في التفريق بين الأصنام والأوثان ان الصنم هو ما عمل من خشب أو ذهب أو فضة على صورة انسان وإذا عمل هذا من حجارة فيصبح وثن . .

وهناك من لا يفرق بينهما : انه إذا كان ما يعبد حجراً على غير صورة فهو نصب وان كان تمثالاً سمي صنماً ووثناً . .

فكيف - يا ترى - سيكون وقع صوت الوحي ونداء الحق على
سماع أفراد هذا المجتمع وكيف سيغدو اثره وانعكاساته على أفكارهم
وأحلامهم وكيف ستكون استجابتهم له . .

ان كل الإجابات على التساؤلات الأنفة ستكون مواضيع الفصول
التالية بإذن الله . .





مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

القرآن
في طريقه إلى الأرض

مركز تحقيقات علوم إسلامي



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

نزل القرآن الكريم على الرسول (ص) نجوماً « نجماً » في مدة ٢٣ سنة وهي « الفترة التي تكامل فيه الكتاب العظيم نزولاً وترتيباً بين سورته وآياته »^(١) وذلك استناداً إلى بقاء واقامة الرسول (ص) في مكة المكرمة قبل الهجرة مدة ١٣ سنة^(٢) واقامته في المدينة المنورة من بعدها مدة ١٠ سنوات حتى لحق برحاب ربه راضياً مرضياً .

وقيل إنه نزل في أقل من ذلك وعلى وجه التحديد والمحصّر في مدة ٢٢ سنة و ٣ شهر و ٢٢ يوم^(٣) وكان أول ما نزل من القرآن هو ما جاء في دعوته سبحانه لرسوله وابناء الأمة كافة للقراءة والتعليم وتذكيرهم بخلقتهم الأولى وأصل نشأتهم اضافة للإشارة إلى وحدانيته وعظمته على الخلق بقوله تعالى : ﴿ اقرأ باسم ربك الذي خلق ، خلق الإنسان من علق ، اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم ﴾^(٤) .

لقد كان نزول هذه الآيات الكريمة يوم الإثنين ١٧ رمضان للسنة

(١) التعبير الفني في القرآن - الدكتور بكري شيخ أمين .

(٢) وفي هذا المعنى قال الشاعر :

ثوى في قريش بضع عشرة حجة يذكر لو يلقى صديقاً موالياً

(٣) الاتقان في علوم القرآن - جلال الدين السيوطي .

(٤) سورة العلق - الآية الأولى وما بعدها .

٤٠ من ميلاد الرسول (ص) المصادف ١ شباط أو ٦ آب (بقول آخر) من سنة ٦١٠ ميلادية ، وفي غار حراء في أعلى جبل النور الذي يقع على بعد ٥ كيلومتر من مكة وعلى يسار الشخص المتجه إلى منى وعرفات من مكة ، والذي كان الرسول (ص) يتعبد فيه ويخلو به قبل أن يبعثه الله بالرسالة ويصطفيه بالنبوة . .

كانت ساعة الصفر في قيام الثورة الإسلامية قد دقت عندما دوى جنبات غار حراء صوت عالٍ متسم بالوضوح والجلاء وقاضياً على سكون الغار وصمته مخاطباً الرسول (ص) ب : اقرأ فيجيبه ما أنا بقارئ . . . ؟ وهكذا يتكرر النداء ثلاثاً حتى يعود الصوت لينشد البيان الأول لقيام الثورة وبدء مرحلة القضاء على أوكار الوثنية وقلاع الكفر وتصفية جيوب الانحراف والمقاومة ، وهذا البيان التاريخي كان : ﴿ اقرأ باسم ربك الذي خلق ﴾ . . . الخ

وما كان على الرسول (ص) بعد أن أصبح الثائر الأول على الأرض العربية إلا أن يردد في تودة وهدوء كلمات هذا البيان الذي سمعه لتوه مرة ومرة ومرات بعد أن يكون الطارق الجديد قد أنهى مهمته الأولى في نقل البيان الأول وانصرف عائداً لا يلوي على شيء . .

وما هي إلا لحظات قليلة حتى يغادر الرسول (ص) موقع الغار مسرعاً تلقاء داره ليخفف عن كاهله وطأة هذا الحدث الجبار الذي ألم به ، وليرى فيه من يفسر له حقيقة ما سمعه لتوه ، وما أن يتوسط الجبل وإذا به (ص) يسمع من أعالي السماء نداءً مماثلاً للذي سمعه قبل قليل يقول له : « يا محمد أنت رسول الله إلى الناس كافة وأنا الأمين جبرائيل » وينقطع الصوت ويغيب الوحي ليخيم على جنبات المنطقة والوديان التي تتخللها صمت رهيب كصمت القبور . .

لقد عرف الرسول (ص) اثر هذا وذاك أن الأمر لم يكن إلا حقيقة وواقعاً وأنه غدا من هذه اللحظة رسول الثورة إلى الناس كافة . وان عليه

الآن أن يكون في مستوى المهمة التي أوكلت له ، وأن كل الذي حصل له في سواد يومه لم يكن من خيالات النفس وأوهام اليقظة بل الحقيقة الواضحة والواقع الجلي وضوح الشمس وجلاء النور لذي عينين . . .

جاء النبي (ص) بعد كل هذه الأحداث المتتابعة إلى داره من أقصر الطرق ، ومن دون أن يعرج أو يمر بأحد وحال وصوله إلى أرض الدار يلقي بنفسه إلى حجر زوجته خديجة بنت خويلد^(٥) طالباً منها أن تدثره على الفور ، فما عتمت هذه الزوجة البارة أن لمست من خلال قسَمات جبين زوجها أن شيئاً جديداً قد حدث له في يومه هذا ، فقادها تفكيرها إلى أن أمراً خطيراً قد كلف زوجها (ص) به ، ولكن - يا ترى - ما هو حقيقة كل ذلك حيث لا أحد يعرف سر ذلك إلا شخص واحد فقط على وجه البسيطة وهو زوجها (ص) . .

لذا استجمعت قواها وصممت على الوقوف على حقيقة الأمر ، فاقتربت منه (ص) وسألته عما شاهد أو سمع في سحابة يومه ، ولكنه (ص) طلب منها التريث قليلاً ليَقْصُصَ عليها بعد حين حقيقة الوحي الذي نزل عليه والرسالة التي كلف القيام بها والبيان الأول الذي سمعه لتوه . . وبعد صمت مطبق خيم على أرجاء الغرفة اثر نقل حركة الدعوة الإسلامية إلى أسماع المرأة التي أصبحت المسلمة الأولى في التاريخ ، فإذا بها تجيب زوجها بكلام يطمئن قلبه ويبعث فيه السكينة والهدوء بقولها : « كلا والله ما يخزيك الله أبداً ، انك لتصل الرحم وتحمل الكل

(٥) خديجة بنت خويلد (الكبرى) هي الزوجة الأولى للرسول (ص) حيث تزوجها بعد وفاة زوجها وعمرها (٤٠) سنة بينما كان عمر الرسول (٢٥) سنة ، ولم يتزوج الرسول عليها حتى انتقلها إلى جوار الله تعالى ، ولأموالها - رحمها الله - دخل كبير في انتصار الإسلام ونشر رسالته حتى قيل في الأمثال : لم يقم للإسلام قائمة إلا بكفاح النبي (ص) وأموال خديجة وسيف علي - ع - وكانت أول مسلمة في الإسلام ، توفيت في السنة التي توفي فيها أبو طالب عم النبي فكان عاماً للأحزان ونكسة للمسلمين وهي السنة الثالثة قبل الهجرة . .

وتكسب المعدوم وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق ، فابشر يا بن العم واثبت فوالذي نفس خديجة بيده اني لأرجو أن تكون نبي هذه الأمة ..

فوضعت يدها في يده (ص) لتصبح أول من يلبي دعوة السماء ونداء الثورة من النساء ، ثم يدخل بعد فترة صهرها امام الهدى علي بن أبي طالب - ع - ليضع هو الآخر يده في يد ابن عمه (ص) ليكون أول من يسلم من الرجال ، ثم يليها بعد ذلك أبو بكر الصديق (رض) ليصبح المسلم الثالث على وجه الأرض ..

لم يهدأ روع خديجة من كل الذي سمعته ولم يقر لها قرار وباتت في انتظار من يطمئن لها قلبها ويزيد في يقينها وما آمنت به ، فلم تجد بداً من الإسراع لتلقاء الدار التي كانت تقيم فيها سابقاً حيث يقطنها قريبها ورقة بن نوفل بن عبد العزى^(٦) ففاتحته بالقصة كاملة في انتظار ما سيجيب عليها من أجل أن يطمئن قلبها وتزداد قوة ومضاء في دعم الرسالة الجديدة ..

فما كاد ورقة يفرغ من سماع حديث خديجة حتى انتفض قائماً وكأنه عثر على ما كان يبحث عنه وأجاب خديجة بقولته الشهيرة التي تحدث بها الركبان والتي جاء فيها : « لئن كنت قد صدقتيني يا خديجة فيما قلتيه لي - وما أظنك إلا صادقة - فقد جاء زوجك أمين الوحي (الناموس) الذي اتى موسى من قبل وأنه لنبي هذه الأمة ، فقولي له

(٦) ورقة بن نوفل يتنسب إلى قريش وهو حكيم جاهلي ، اعتزل الأصنام والأوثان وتنصر قبل الإسلام وكان شيخاً كبيراً قد كف بصره ، وقد قرأ كتب الأديان واطلع على ما ورد فيها بصدد النبي الموعود والرسول المنتظر ، وكان يكتب اللغة العربية بالحروف اللاتينية ، أدرك عصر النبوة ولم يدرك الدعوة ، وهناك من يعده من الصحابة وله شعر جميل سلك فيه مسلك الحكماء ، توفي - رحمه الله - نحو سنة ١٢ قبل الهجرة ..

فليثبت فإنه ذائق من قومه ما ذاقه اخوانه موسى وعيسى من قبله ، فطوبى لمن يؤمن به ومن يصدّقه» (٧) . .

وعادت خديجة وهي مثقلة بالأقوال التي سمعتها آنفاً إلى زوجها لتروي له كل ذلك من أجل مضاعفة عزمته وتصميمه على النضال والكفاح ، فحكّت له (ص) كل ما سمعته ، فما كان منه (ص) إلا أن حمد الله تعالى على ما اصفاه لأداء الرسالة وآثره لتبليغها إلى الناس كافة رغم ما سينتظره في سبيل ذلك من عقبات ومكاره وهو أمر طبيعي عند طرح أية فكرة جديدة ونشرها بين صفوف أناس يؤمنون بسواها . .

هذا وأن الوحي الذي جاء الرسول (ص) كان قد انقطع عن النزول عليه مدة قيل أنها (٤٠) يوم وقيل ثلاث سنوات وهي المدة التي تدعى بـ « فترة انقطاع الوحي » وهي الفترة التي اتخذت الدعوة والثورة فيها جانب السرية والتكتم ولم تصل أنباؤها وأخبارها إلى صفوف قريش وأقطابها ، لذا لم تلق الدعوة في طريقها أية عقبة أو معارضة من قبل طواغيت مكة وطغاتها . .

مركز تحقيق مكتبة نور محمد رسول

ثم يعود الوحي بعد مضي هذه الفترة - وهي ثلاث سنوات على أصح الأقوال - وبعد أن « تركه خلالها في حيرة يزرع دروب الصحراء الملتهبة يكاد يجزع من أمر هذا الصوت الذي نزل عليه ثم انقطع عنه » (٨) يعود ليستأنف نزوله كرة أخرى لمتابعة تبليغ البيانات والإعلانات التالية للثورة حيث كان البلاغ والبيان الثاني والثالث هو : ﴿ يا أيها المدثر قم فأأنذر وربك فكبر وثيابك فطهر والرجس فأهجر ولا تمنن تستكثر ﴾ (٩) .

وعند الفراغ من اذاعة هذا البيان شعر الرسول (ص) بمبدء أو

٢

(٧) القرآن - محمد صبيح .

(٨) القرآن - محاولة لفهم عصري - مصطفى محمود .

(٩) المدثر : ١٠ وما بعدها .

انتقال الدعوة والثورة من عهد السكون والتخفي إلى عهد الحركة والمجاهدة ، لذا فقد توجه الرسول (ص) إلى جبل الصفا بمكة ووقف على قمته ثم هتف برفيع صوته : « يا معشر قريش . . يا معشر قريش . . » فاجتمعت جموع البلد وفرسان قريش من كل حدب وصوب ، ثم استأنف الرسول (ص) قوله : « يا معشر قريش أرايتم لو أخبرتكم أن خيلاً بسفح هذا الجبل تريد أن تغير عليكم اكنتم تصدقوني . . ؟ » فأجابت جموع قريش المحتشدة : « نعم أنت عندنا غير متهم وما جربنا عليك كذباً قط » فقال النبي (ص) : « إذن فاسمعوا أني نذيركم بين يدي عذاب شديد ، إن الله أمرني أن أنذركم وعشيرتي الأقربين واني لا أملك من الدنيا منفعة ولا من الآخرة إلا أن تقولوا لا إله إلا الله » . .

وكان عمه أبو لهب^(١٠) من الحاضرين فأجاب غاضباً : « ألهذا جمعتنا هذا اليوم تباً لك ، تفرقوا أيها الناس عن هذا الضال ولا تعيروا لقوله اذناً واعية أو كبير أهمية » فتفرق القوم هنا وهناك . .

ومرة ثانية يدعو (ص) عشيرته وأقاربه لمأدبة اعدّها الإمام علي - ع - في بيت أبيه أبي طالب وبعد اكتمال نصابهم وانتظام جمعهم الذي بلغ الأربعين فرداً خطبهم الرسول (ص) فقال : « ألا وإن الرائد لا يكذب أهله ، والله لتموتن كما تنامون ولتبعثن كما تستيقظون ولتحاسبن كما تعملون ولتعجزون بالإحسان أحساناً وبالسوء سوءاً وأنها لجنة أبدأ أو ناراً أبدأ . . » ثم أضاف (ص) : « يا بني عبد المطلب إني والله ما أعلم

(١٠) رغم ان أبا لهب هو عم الرسول (ص) إلا أن هذه القرابة لا تغني عن اسلامه شيئاً ، فالإسلام هو المعمول عليه في الإكرام والقرابة وهو الحجر الأساس في رفعة الفرد وعزته لا أي اعتبار آخر وفي هذا المعنى قال الشاعر :

لقد رفع الإسلام سلمان فارس وقد وضع الشرك الشريف أبا لهب
كما وقال شاعر آخر في هذا المعنى :
كانت مودة سلمان لهم رحماً ولم يكن بين نوح وابنه رحم

أنساناً في العرب جاء قومه بأفضل مما جثتكم به ، لقد جثتكم بخير الدنيا والآخرة وقد أمرني ربي ان أدعوكم إليه فأياكم يؤمن به ويؤازرني على هذا الأمر على أن يكون أخي ووصي ووزير خليفتي فيكم » .

فسكت الجميع ثم ضحك البعض ساخرين من هذه القولة ، بينما نهض من بينهم الإمام علي - ع - وقال : « أنا يا نبي الله أكون وزيرك على ما بعثك الله به وحرب على من حاربت وسلم لمن سالمته » . . فقال الرسول (ص) بعد أن أخذ برقبة الإمام علي - ع - : « هذا أخي ووصي ووزير خليفتي من بعدي فيكم فاسمعوا له واطيعوا » (١١) . .

وبعد هذه الواقعة اخذت الآيات الكريمة تأخذ طريقها تباعاً إلى صدر الرسول (ص) من دونما انقطاع أو تأخير حيث مضى إلى غير رجعة عهد سرية الدعوة وانقلبت هذه إلى معركة علنية ، وأخذ أفراد المسلمين يزدادون ويتضاعفون بمرور الوقت شيئاً فشيئاً ، كما أخذت في نفس الوقت مقاومة قريش وعدوانها هو الآخر يزداد وينمو من أجل الحد من اندفاع حركة الدين الجديد وإيقاف زخم تقدمه وتفشيته وبالتالي محاولة القضاء عليه وهو عقرداره . .

ولكن حكم الله تعالى وأمره كان قد تقرر وصدر ومفاده هو أن يكون النصر والفلاح في النهاية حليفاً لهذا الدين الجديد وثواره البواسل ، وأن تكون جهود ومسابعي أعدائه من القرشيين وطواغيت الكفر ومن شايعهم إلى بوار وفشل ، فكان كما أراد الله تعالى إذ انتصرت الدعوة الجديدة وعم الدين الحنيف بطاح الأرض وتمزق أعدائه بين مشهر لإسلامه وبين صريع تحت سنايك خيول المسلمين وسيوفهم تلاحقهم لعنة التاريخ والبشرية . .

أما عن آخر ما نزل من القرآن الكريم فهو قوله تعالى : ﴿ اليوم

(١١) حياة محمد - الدكتور محمد حسين هيكل (الطبعة الأولى) ، الإسلام على ضوء التشيع - الشيخ حسين الخراساني ، بحار الأنوار - محمد باقر المجلسي .

أكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً ﴿١٢﴾ ولم ينزل على النبي (ص) بعد هذه الآية شيء من الفرائض ولا تحليل ولا تحريم شيء . .

وقد هبطت هذه الآية في غدير خم بين مكة والمدينة بعد الخطبة الشهيرة التي ألقاها الرسول (ص) على جموع المسلمين الذين تجاوز عددهم على المائة ألف نسمة ، وحين الفراغ من حجة الوداع عام ١٠ هجرية وقبل أن يتفرق هؤلاء المسلمون وينطلقوا إلى أمصارهم وديارهم وهي الخطبة المسماة بـ « خطبة الوداع » حيث أحاط بها الرسول (ص) المسلمين علماً بأحكام دينهم وشؤون دنياهم فخوفهم من عذاب الله ورغبهم في رضوانه وعبد لهم السبيل . وصل للوحدة والحرية والعدالة الاجتماعية ، كما وحذرهم منها من ارتياد وسلوك الطرق المفضية للخلاف والشقاق والنزاع مؤكداً فيها بلزوم التمسك بالثقلين كتاب الله وعترته الطاهرة حيث انهما لن يفترقا حتى يردا عليه الحوض يوم القيامة ، وقد حرص (ص) بعد كل أمر أو نهي على ترديد العبارة الخالدة : « ألا هل بلغت اللهم اشهد » (١٣)

وقد كان تاريخ إلقاء هذه الخطبة على وجه الحصر في ١٨ ذي الحجة من السنة العاشرة للهجرة حيث كان عمره الشريف (ص) حينذاك ٦٣ سنة وقبل ارتحاله إلى رحاب الله بفترة قصيرة . .

كما وقد قيل هنا أن آخر ما نزل من القرآن هو قوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا إن كنتم مؤمنين ﴾ (١٤)، وقيل كذلك هو قوله تعالى : ﴿ يستفتونك قل الله يفتيكم

(١٢) المائدة : ٣ .

(١٣) الغدير في الكتاب والسنة - الشيخ عبد الحسين الأميني .

(١٤) البقرة : ٢٧٨ .

(١٥) النساء : ١٧٦ .

في الكلاله ﴿١٥﴾ ، كما وقيل أن آخر ما نزل هو قوله سبحانه : ﴿ واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون ﴾ ﴿١٦﴾ .

والسر في اختلاف الروايات في آخر ما نزل من القرآن هو غلبة ظن الرواة واجتهاداتهم ، فكل واحد يروي ما سمعه من الرسول (ص) قبل مرضه ثم فارقته . .

هذا ما كان من حال آخر آية نزلت من القرآن ، أما بشأن نزول آخر سورة كاملة على الرسول (ص) فقد قيل ﴿١٧﴾ هي سورة براءة كما وقال آخرون أنها سورة الأنعام والتي ذكر أنه « قد شيعها سبعون ألف ملك لهم زجل بالتسبيح والتحميد حتى نزلت على الرسول (ص) ﴾ ﴿١٨﴾ . .

أما عن أول سورة نزلت بتعامها على الرسول (ص) فقد قيل أنها سورة الفاتحة ﴿١٩﴾ وقيل غيرها . .

ونشير بعد ذلك إلى أنه سبق أن قلنا في مطلع هذا الفصل إلى أن القرآن الكريم كان قد نزل نجوماً أي متفرقاً ودفعة دفعة ، فكيف - يا ترى - يمكن أن نوفق بين قولنا هذا وبين ما جاء في قوله تعالى : ﴿ شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان ﴾ ﴿٢٠﴾ وقوله سبحانه : ﴿ إنا أنزلناه في ليلة القدر ﴾ . .

أن الجواب على هذا التساؤل يتلخص في أن المقصود من الآيات الكريمة الأنفة الذكر هو أن الله تعالى كان قد أنزل القرآن الكريم جملة واحدة في ليلة القدر من شهر رمضان المبارك أنزله إلى اللوح المحفوظ ثم إلى بيت العزة من السماء الدنيا ، ثم تولى سبحانه إنزال الآيات تباعاً

(١٦) البقرة : ٢٨١ ، التعبير الفني في القرآن - الدكتور بكرى شيخ أمين .

(١٧) البرهان في تفسير القرآن - السيد هاشم البحراني .

(١٨) مقدمتان في علوم القرآن - ارثر جفري .

(١٩) مجلة منبر الإسلام - العدد العاشر تفسير سورة الفاتحة .

(٢٠) البقرة : ١٨٥ .

ومتفرقة من المكان الأخير إلى صدر الرسول (ص) مدة بعثته وبحسب الحاجة والطلب ، وهذا يعنى « أن هناك ثلاثة تنزلات للقرآن الكريم » (٢١) . .

ويرتب البعض (٢٢) على تعدد التنزلات هذه هو « ان الرسول (ص) حين تنزل عليه الآيات والصور كان على علم سابق بمحكم القرآن لنزوله عليه جملة دفعة واحدة وهو ما يلوح من قوله تعالى : ﴿ ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يلقى إليك وحيه ﴾ (٢٣) . .

لقد أشرنا آنفاً إلى أن القرآن الكريم لم ينزل على الرسول (ص) من السماء الدنيا جملة واحدة ودفعة واحدة لأنه لو فرضنا - جدلاً - أنه نزل بهذه الكيفية - جملة واحدة - لتحول عاجلاً إلى كلمة مقدسة ساكنة وفكرة هادئة ومجرد وثيقة دينية ، وليس مصدر وسبب لبعث الأمل والحياة في الفكرة الناشئة والدعوة الجديدة ، إضافة إلى ذلك فإن نزوله جملة واحدة سيكون « للكافرين وجه من العذر يلبس الحق بالباطل وينفّس عليهم أمر الإعجاز ويهتّون في أنفسهم من الجملة بعض ما لا يهون من التفصيل » (٢٤) . .

أجل لم ينزل القرآن جملة واحدة على صدر الرسول (ص) وإنما نزوله هذا كان مفرقاً كل بضع آيات معاً ودفعة دفعة وذلك لأسباب عديدة منها تسهيل حفظه وضبطه وليكون أقرب للفهم والقبول وأبعد عن النسيان ، وكان « نزوله نجوماً حسب مقتضيات حوادث المجتمع الإسلامي ، لذا سميت هذه الحوادث بأسباب النزول » (٢٥) نحو جواب

(٢١) دراسات في علوم القرآن - عبد القهار العاني .

(٢٢) موجز علوم القرآن - داود العطار .

(٢٣) طه : ١١٤ .

(٢٤) اعجاز القرآن والبلاغة النبوية - مصطفى صادق الرافعي .

(٢٥) تاريخ التشريع الإسلامي - الشيخ محمد الخضري ، فلسفة التشريع في

على بعض الأسئلة والإستفسارات التي يُسأل عنها الرسول الأمين أو بيان لأنواع التكاليف الدينية والأخبار عن الحوادث والأحداث السابقة والإشعار عن المغيبات والوقائع القادمة ، إضافة إلى ذلك فإن نزوله بهذه الطريقة كان يراعى فيه « الحاجات المتجددة ووفق النمو المطرد في الأفكار والتصورات والنمو المطرد في المجتمع والحياة ووفق المشكلات العملية التي تواجهها الجماعة المسلمة في حياتها الواقعية » (٢٦) . .

كما أن نزوله بهذه الكيفية كان يبتغى منه العزاء العاجل لكل ألم أو مصيبة تلم بالرسول وآله وأصحابه والجزاء لكل تضحية والأمل لكل هزيمة والدرس لكل نصر والجهد لكل عقبة وأسباب التشجيع لكل خطر أو عقبة ، فضلاً عن أن نزوله بهذا السبيل كان يراعى فيه أيضاً تقبل العرب لاستبدال عاداتهم القديمة بالأحكام الجديدة . .

هذا ويمكن هنا اجمال وحصر كافة الأسباب الحقيقية في نزول القرآن منجماً على الرسول (ص) والتي أشرنا إليها آنفاً ، يمكن اجمالها في نقاط عدة لیتاح للقارئ حفظها عند اللزوم وهي .

١ - أن نزول القرآن منجماً هو من أجل أن يقوي قلب الرسول (ص) عند محاجة قومه وتحديثهم بأن يأتوا بمثله ، لأن الوحي إذا كان يتجدد في كل حادثة وفي كل واقعة كان أقوى وأثبت للقلب واشد عناية ورعاية بالرسول . .

٢ - أن نزوله مفرقاً وشيئاً فشيئاً هو أقرب وأسهل للحفظ والإستظهار والتدوين فيما إذا هبط جملة واحدة ، ولا سيما وأنه ليس لدى غالبية العرب من الوسائل الكتابية ما يضبط أو يحفظ كل ما ينزل من الوحي إلا وسيلة التكرار والحفظ . .

الإسلام - الدكتور صبحي المحمصاني لقد تم اعداد فصل خاص بأسباب النزول في نهاية الكتاب .

(٢٦) معالم في الطريق - سيد قطب .

٣ - أثر الله سبحانه أن يكون هناك ناسخ ومنسوخ في الآيات المنزلّة فربما حكم كانت المصلحة والرحمة بالناس تتطلب اخذهم به على مراحل كتحریم الخمر مثلاً ، ولا يمكن أن يتصور حصول هذا الأمر بدون أن ينزل القرآن متفرقاً . .

٤ - تطلّبت الحكمة وأساليب الدعوة بأن يكون من القرآن أجوبة لإستفسارات وحلّ لمشكلات واقعة وبيان الحوادث ووقائع وانكار على قول ليكون أقرب للقبول وأبعث لليقين ولا يكون ذلك إلا إذا جاء القرآن دفعة دفعة وأثر كل استفسار وبعد كل قول أو طلب . .

علماً بأن قليلاً ما كانت تنزل الأحكام مبتدئة بغير سؤال من أحد الناس ، أما الأحكام التي أنزلت بدون حادث أو سؤال فهي آيات نقل كثيراً جداً عما جاء اجابات على أسئلة متصلة بأحداث معينة . .

٥ - لو أن القرآن الكريم نزل كله جملة واحدة لكان لانقطاع الوحي عنه (ص) بعد ذلك اثر كبير في استشعاره الوحشة والغربة ، ومهما يكن الرسول قد اتى من العزيمة والصبر فإن لبشريته أيضاً أثراً بيناً في حياته ما دام بشر^(٢٧) . .

٦ - أن في التفريق رحمة ولطفاً للعباد ، فلو نزل القرآن دفعة واحدة لثقلت التكاليف والأعباء فتتفر لذلک قلوبهم وترفض نفوسهم عن قبول كافة الأوامر والنواهي في آن واحد ودفعة واحدة . .

لذا جاء التشريع متدرجاً مع الوقائع الفردية والأحداث الإجتماعية تبعاً لنزول القرآن وهبوطه متفرقاً ونجوماً لأن التدرج مع التنظيم خير من العجلة والسرعة مع الفوضى والإرتباك . .

هذا ولولا أن الحكمة الإلهية والرغبة الربانية قد أثرت نزول القرآن إلى الأرض منجماً بحسب الوقائع والمناسبات لأهبطه الله على الرسول

(٢٧) التعبير الفني في القرآن - الدكتور بكرى شيخ أمين .

(ص) جملة واحدة كأغلب الكتب الدينية المنزلة من قبل ، ولكن الله تعالى اختصّ وميز القرآن عنها فجعل لها الحسينين ، في إنزاله جملة واحدة إلى سماء الدنيا ثم إنزاله من المحل الأخير إلى الأرض مفرقاً ، وهذا هو تشریفاً وتكريماً من الله تعالى للمنزل عليه والمنزل به وتعظيماً لهما . .

وبصدد عدد وكمية الآيات التي كانت تنزل في كل دفعة على الرسول (ص) فالحق أنها كانت تنزل نجوماً الواحدة والإثنان والأكثر ، كما وقيل^(٢٨) أنه صح نزول بعض آية على الرسول (ص) كما في قوله تعالى : « غير أولي الضرر »^(٢٩) وكذلك في قوله سبحانه : « وإن خفتهم عيلة »^(٣٠) . .

كما وقد كانت تنزل تارة سورة بجملتها كما في الفاتحة والمدثر ويوسف والأنعام ، ويقال عن السورة الأخيرة أنها نزلت كلا في مكة المكرمة دفعة واحدة عدا ثلاث آيات منها نزلت في المدينة المنورة . « كانت هذه الآيات والصور تنزل عليه (ص) بين وقت تتابع أحياناً وتبطل أحياناً أخرى »^(٣١) . .

والقاعدة العامة بخصوص نزول السور كاملة هو أن كل سورة يتحد موضوعها أو تتداعى مواضيعها تداعياً كبيراً ويلتزم فيها نسق معين فيرجح أنها نزلت جملة واحدة بينما نجد أن السور التي تختلف مواضيعها وتتباع ولا تتداعى ولا تلتزم بآياتها نسق معين فيرجح نزولها متفرقة . .

وهكذا وعلى الترتيب والسبيل المتقدم كان نزول الآيات على الرسول «ص» حتى أكملت الشريعة الإسلامية الغراء بتمام نزول القرآن .

(٢٨) مباحث في علوم القرآن - الدكتور صبحي الصالح ، تاريخ القرآن - أبي عبد الله الزنجاني .

(٢٩) النساء : ٩٥ .

(٣٠) التوبة : ٢٨ .

(٣١) المصحف الشريف - الدكتور محمد عبد العزيز مرزوق .

أما أساس هذه الشريعة في القرآن فقد روعي فيه الأمور الثلاثة التالية وهي (٣٢) :

١ - عدم الحرج : وهو عدم تكليف الإنسان فوق طاقته ، إضافة إلى التسهيلات التي يجدها عند الضرورات .

٢ - تقليل التكاليف : وذلك إلى أدنى حد ممكن لقوله (ص) : « جئتمكم بالشريعة السهلة السمحاء » . .

٣ - التدرج في التشريع : وذلك حتى تتقبل للأحكام البدائية والأولية وتعتاد على ممارستها ليتمكن استجابتهم بعد ذلك وبسهولة لأحكام رئيسية أخرى ، فضلاً عن أن عملية تغيير الإنسانية وبنائها - والذي جاء القرآن من أجلها - يستدعي ويتطلب هذا التدرج . .

هذا وقد استعمل القرآن الكريم في أسلوبه وبيانه الحقيقة والمجاز والعموم والخصوص والإطلاق والتقييد والتصريح والكناية والإيجاز والإسهاب على نمط العرب في لغتهم وكلامهم مع علوه وسموه على اللغة العربية بفنونه وعلومه وقصصه وتعاييره على النحو الذي سنراه مفصلاً في الفصول القادمة . .

أما عن كيفية مجيء الوحي إلى الرسول (ص) أو بتعبير آخر كيف كان الرسول أو غيره من الأنبياء والمرسلين يتلقون آيات الله البينات المنزلة عليهم ، فأشير إلى أن هذا الأمر كان يتم على واحد أو أكثر من الوسائل والطرق التالية :

١ - أن يسمع الرسول أو النبي كلام الملك (الوحي) من وراء حاجز دون أن يشاهده أو يراه بعينه . .

٢ - أن يسمع الرسول كلام الملك كما يراه أمامه جلياً ، وهذا

الوضع هو الذي يفرّق ويميز بين درجة الرسول ودرجة النبوة (الرسالة والنبوة) فالرسول وحده هو الذي في استطاعته ومكنته مشاهدة الملك وسماع قوله فضلاً عن أن دعوته تكون عامة وشاملة ، بينما النبي الذي تكون دعوته محدودة ومحصورة ببلده أو قومه أو ربما بأهل بيته يكون اتصاله وارتباطه بالملك محدوداً أيضاً وفي إطار وحدود السماع فقط دون الرؤية والمشاهدة . .

٣ - أن يأتي الملك للرسول أو النبي في النوم (اليقظة) فيكلمه حول الآيات المنزلّة ، علماً بأن رؤيا الرسول أو النبي لا تأتي إلا كمثّل فلق الصبح أو الشمس في رابعة النهار وضوحاً وجلاء وكما هو الحال في رؤيا الخليل إبراهيم ومشاهدته وهو يذبح ولده إسماعيل ورؤيا الرسول محمد (ص) حول دخوله البيت الحرام أمناً . .

وقيل أن هناك علاوة على ما تقدم طرق وسبل أخرى للاتصال والتلقي من الوحي منها أن ينفث الوحي في روع الرسول الكلام المنزل نفثاً ومنها أن يأتيه كصلصلة الجرس أو أن يكلمه من وراء حجاب (٣٣) . . كما ونود أن نشير هنا أيضاً إلى أمر آخر وهو هل سبق وان نزلت سور أو آيات لأكثر من مرة واحدة على صدر الرسول (ص) عند تجدد نفس الحادثة أو السبب الذي نزلت من أجله السورة أو الآية ، وهو المعبر عنه بـ « تعدد النازل والسبب واحد » أو عند عدم تجدده . .

لقد قيل بصدد هذه الحالة أنه لا يمنع من ذلك ، فهناك آيات وسور عديدة في القرآن الكريم نزلت مرتين فيقال بأن « سورة الفاتحة نزلت على الرسول مرتين » (٣٤) وأنها مكية مدنية معاً ، فقد « نزلت بمكة حين فرضت الصلاة ثم نزلت بالمدينة حين حوّلت القبلة إلى الكعبة » (٣٥) . .

(٣٣) روح الدين الإسلامي - عفيف عبد الفتاح طيارة .

(٣٤) البرهان في علوم القرآن - بدر الدين الزركشي .

(٣٥) تفسير النسفي - عبد الله النسفي .

وقيل أيضاً أن الآية ﴿ ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً ﴾^(٣٦) هي الأخرى نزلت مرتين في مكة والمدينة^(٣٧) . .

أما علة نزول السور أو الآيات لمرتين أو أكثر فيقال أنها لأجل التعظيم والتذكير و « لحكمة أرادها الله »^(٣٨) . .

هذا ومثلما هناك سور أو آيات نزلت مرتين فهناك أيضاً آية أو آيات تتشابه فيما بينها باللفظ أو مع وجود فرق بسيط بينهما في بعض الكلمات أو التراكيب . .

ومن هذا النوع هو قوله تعالى : ﴿ وأتقوا يوماً لا تجزي نفس عن نفس شيئاً ولا يقبل منها شفاعاة ولا يؤخذ منها عدل ولا هم ينصرون ﴾^(٣٩) وقوله سبحانه : ﴿ وأتقوا يوماً لا تجزي نفس عن نفس شيئاً ولا يقبل منها عدل ولا تنفعها شفاعاة ولا هم ينصرون ﴾^(٤٠) وهكذا في آيات أخرى^(٤١) . .

وقيل هنا بصدد هذا التشابه النسبي في الآيات هو أن نزول الآية الثانية المماثلة للأولى نسبياً إلا في بعض الكلمات والألفاظ هو بسبب تجدد نفس الواقعة السابقة التي نزلت من أجلها الآية الأولى عدا تغيير

(٣٦) الإسراء : ٨٥ .

(٣٧) البرهان في علوم القرآن - بدر الدين الزركشي .

(٣٨) دراسات في علوم القرآن - عبد القهار العاني .

(٣٩) البقرة : ٤٨ .

(٤٠) البقرة : ١٢٣ .

(٤١) مثل قوله تعالى في سورة التوبة الآية : ٥٥ « فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم

إنما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا وتزهق أنفسهم وهم كافرون » وقوله

سبحانه في نفس السورة الآية : ٨٥ « ولا تعجبك أموالهم وأولادهم إنما يريد الله

أن يعذبهم بها في الدنيا وتزهق أنفسهم وهم كافرون » . .

بسيط في بعض ظروفها ووقائعها مما تطلب الحال تغيير بعض الألفاظ في الآية الثانية بما يناسب ويلئم الواقع الجديد .

كما وهناك اضافة لما تقدم آيات صغيرة في القرآن الكريم مكررة لعدة مرات مثل قوله تعالى : ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾^(٤٢) وقوله تعالى : ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾^(٤٣) وقوله سبحانه : ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنَذَرِ﴾^(٤٤) .

وهذه الآيات المكررة هي - دون شك - نوع طريف من الإبداع لم يكن معروفاً من قبل وقد شاع استعمال هذه الطريقة « التكرار » في اللغة العربية بعد نزول القرآن الكريم . فنجد في المخمسات تكرر بيت واحد كما ونلاحظ ذلك في « الأناشيد القومية والوطنية والتي تتكرر فيها بعض المقاطع الحماسية المثيرة »^(٤٥) لمرات عديدة فضلاً عن أن « تكرر هذه الآيات ما يشير في نفس سامعيه اليقين بأنه ليس من الصواب نكران نعم تكررت وآلاء توالى »^(٤٦) ثم « أنه في ذاته قد يكون اسلوباً من الأساليب البليغة في كلام العرب حينما يكون مظهراً من مظاهر الإطناب البليغ »^(٤٧) .

وفي ختام هذا الفصل أشير إلى موضوع قد يكون خارج محيطه إلا أن بحثه قد يكون ذا منفعة لمن أحب الإستزادة من معارف القرآن ومعالمه ، وهو أن القرآن الحكيم ينقل إلى البشر في خلال وعبر آياته وسوره - فيما ينقل - كلمات وأقوال ومحادثات سبق أن نطقت من قبل

(٤٢) المرسلات .

(٤٣) الرحمن .

(٤٤) القمر .

(٤٥) القرآن والعلم الحديث - عبد الرزاق نوفل .

(٤٦) من بلاغة القرآن - أحمد أحمد بدوي .

(٤٧) التفسير العلمي للآيات الكونية في القرآن - حنفي أحمد .

الأنبياء والملائكة أو الجن أو الحيوانات أو جهنم الخ وثابت هنا أن لسان ولغة كثير من هؤلاء لم يكن عربياً فقد كان اغريقياً أو رومياً أو مسمارياً أو عبرية أو هيروغلوفاً أو لغة خاصة لم تكشف أسرارها بعد . .

فياليت شعري ما هي علاقة وارتباط تلك الأقوال التي نطقت في وقتها وبغير العربية بما جاء في القرآن من إشارة لها تفصيلاً أو إيجازاً وبلسان عربي مبين هو في منتهى البلاغة والبيان . .

الظاهر أن من تكلم عن حقيقة ذلك انقسم إلى مذهبين :

١ - أن ما جاء في القرآن الكريم على لسان كل هؤلاء إنما هو الترجمة الكاملة الأمانة لها من دونما زيادة أو نقص . .

٢ - أن ما جاء على لسان هؤلاء لا يتعدى أن يخرج عن معانيه الحقيقية ، وقد يكون هذا المعنى موجزاً كما وقد يكون مسهباً تبعاً لما يتطلبه المقام عند نزول الآيات على الرسول (ص) . .

فقد تكون هذه المعاني مفصلة ومسبهة إذا كان الحال يتطلب مزيداً من الموعظة والهداية والإرشاد ، كما وقد تكون مختصرة وموجزة إذا لم يتطلب المقام الاطناب كرد مفحم قصير على ادعاء أو جواب على سؤال عابر أو نحو ذلك . .

وأخيراً أود أن أعقب على كل ما أكتبه آنفاً حول نزول القرآن الكريم فأقول هل ذهبت - يا ترى - الآيات النازلة يمناً ويسرة وتفرقت هنا وهناك وحفظ ودون قسم منها دون الآخر ، أم أن أمرها كان على عكس ذلك حيث التقت الآيات الكريمة برمتها في مكان واحد وانتظمت تباعاً وحفظت ودونت جميعها من دون فقدان حرف أو سقوط نقطة . .

إن الجواب الشافي على كل هذه التساؤلات سيكون مادة الفصول الثلاثة القادمة ، فلنبداً مسيرتنا الهادئة شطرها بعد الإتكال على الله والاستعانة به . .

الجمع الأول للقرآن

مركز تحقيقات الكمبيوتر علوم إيس دي



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

يُؤثر عن النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال^(١) : « لا تكتبوا عني شيئاً غير القرآن ، ومن كتب فليمححه وحدثوا عني ولا حرج ، ومن كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار »^(٢) .

وقوله (ص) هذا ما جاء إلا لكي يحفظ للقرآن صفته وارتباطه المباشر بالله تعالى وليحول دون اختلاطه بشيء له هذه الرابطة وهذه الصفة والسمة القدسية ودون أن تلتبس أقواله وشروحه وسيرته (ص) بآيات القرآن الكريم^(٣) . .



(١) يروى بهذا الصدد أن الرسول (ص) قد أذن في السنوات الأخيرة من حياته في كتابة الحديث وذلك بعد أن نزل أكثر القرآن وحفظه الكثير واشربوا حبه وذاقوا حلاوته وبلاغته وبعد أن سمعوا كلام الرسول (ص) وعرفوا مرتبته من القرآن . . وهناك من قال بأن هذا الإذن كان خاصاً ومن قال بأنه كان عاماً . .

واستناداً إلى كل هذا فقد كتب الأصحاب ودون الحديث في عهد النبي (ص) ومنهم من كانت له مجموعة خاصة اشتهر بها ، فقد كان للإمام علي - ع - صحيفة وكان لأنس بن مالك صحيفة ، فضلاً عن صحائف حبر الأمة عبد الله بن عباس وعبد الله بن مسعود وجابر بن عبد الله الأنصاري ، ولم تكن هذه الصحائف تأليفاً جامعاً بل كان تدويناً لأبواب متفرقة غير مجمعة ، علماً بأن التجميع والتدوين الرسمي للأحاديث النبوية كان في مطلع القرن الثاني الهجري وفي عهد الخليفة الزاهد عمر بن عبد العزيز كما مر الإشارة إليه من قبل . .

(٢) صحيح مسلم ، فضائل القرآن - اسماعيل بن كثير القرشي .

(٣) ان عدم اختلاط السنة بالقرآن هذا لا يعني البتة عدم حفظ السنة ، بل إن السنة النبوية حفظت في الصدور في صدر الإسلام كآيات القرآن . .

لذا فعندما كان الوحي ينزل على النبي (ص) والذي - كان يترقب نزوله بشوق عارم - عندما كان ينزل عليه بشيء من الآيات الكريمة كان يستدعي على الفور بعض من كان يكتب له بالخط المقرر حينذاك وهو (الخط المكي) وهم كتاب وامناء الوحي « الذين كانوا يلزمون النبي حيثما ذهب وانى قام لكي يؤدوا هذا العمل الذي تفرغوا له لا يشغلهم عنه شاعل »^(٤) فيملي عليهم كل ما كان ينزل عليه وذلك « مبالغة في تسجيله وتقييده وزيادة في التوثق والضبط والإحتياط الشديد »^(٥) . .

وإذا فرغ (ص) من ذلك طلب من الكاتب إعادة ما كتبه ، فإن كان فيه سقط أو زيادة أو نقصان صلّحه وأقامه لهم ، وكان « كثير من المؤمنين بعد ذلك ينقلون الآيات من الألواح المكتوبة بيد كتاب الوحي »^(٦) فيجمعونها بعد أن يحفظوها . .

كما وكان (ص) يقرئ الفائزين بشرف الصحبة ويحفظهم كل ما كان ينزل عليه من الآيات أولاً بأول « ويوماً فيوماً حتى لا تضيع ، واعفي هؤلاء من الحضور في جهات القتال »^(٧) لما في الآية الكريمة « وما كان المؤمنون لينفروا كافة »^(٨) . .

هذا فضلاً عن أنه (ص) كان يبعث إلى من كان بعيد الدار منهم من يعلمه ويقرؤه ، وكان « يحرض أمته على أن يبلغ الشاهد منهم الغائب ولو آية من القرآن فقال : بلغوا عني ولو آية من القرآن »^(٩) ، وأنه (ص) قد خصص سيدة لتعليم النساء القرآن ، إضافة إلى « أن النبي كان

(٤) المصحف الشريف - الدكتور محمد عبد العزيز مرزوق .

(٥) التعبير الفني في القرآن - الدكتور بكرى شيخ أمين .

(٦) الإعتذار (محمد والقرآن) جان ديون بورت ، ترجمة عباس الخليلي .

(٧) القرآن في الإسلام - السيد محمد حسين الطباطبائي .

(٨) التوبة : ١٢٢ .

(٩) التعريف بالقرآن والحديث - محمد الزفزاف .

يحتفظ بنسخة مما كتب في داره»^(١٠) وأنه (ص) كان يؤم الصحابة والمصلين خلال الصلوات فيقرأ القرآن وهم ورائه يسمعون فيحفظ القرآن في صدورهم^(١١) . . .

كما وإن العرب عشاق الفصاحة والبلاغة كانوا ينجذبون لآيات الله لما فيها من البيان والأدب فيأتون من بلاد بعيدة لاستماع بعض هذه الآيات من فم الرسول (ص)^(١٢) ، وكانوا يأتون في الليالي الظلماء خفية إلى قرب دار النبي ويستمعون إلى الآيات التي كان يقرأها النبي (ص) . . .

أما الأصحاب فكانوا يتنافسون في استظهار آيات الله وحفظها ومدارستها لأجل قرائتها في الصلوات والنوافل ويتسابقون إلى فهمها وهضمها ، وكانوا كلما نزل شيء من الآيات تهفو قلوبهم إليها وتنشرح صدورهم وتلقوها بالغبطة والفرحة الغامرة حيث كان « شعار الإسلام وسمة المسلم حينئذ هو التجميل والتكامل بحفظ ما ينزل من القرآن الكريم لكي يتبصر بحججه ويتنور بمعارفه وشرائعه »^(١٣) لأنه النبي نبع الأول للتشريع والحبل المتين والدستور الشامل ، على النحو الذي نجده حالياً عند حملة المبادئ المختلفة حيث نراهم يحفظون نظرياتها وفلسفتها ونشراتها لغرض الثقف بها ووعيتها والإحتجاج بها والذود عن حياضها . . .

ويفتات حفظ هؤلاء الأصحاب للآيات الكريمة تبعاً لمدى حضورهم ووجودهم عند الرسول (ص) حال املاء الآيات على كتاب الوحي حيث « ان كثيراً منهم كان يخرج في السرايا التي يبعث بها

(١٠) روح الدين الإسلامي - عفيف عبد الفتاح طيارة .

(١١) المصحف الشريف - الدكتور محمد عبد العزيز مرزوق .

(١٢) القرآن في الإسلام - السيد محمد حسين الطباطبائي .

(١٣) آلاء الرحمن في تفسير القرآن - الشيخ محمد جواد البلاغي .

الرسول لجهاد أعدائه فيشغلون بهذا عن بعض ما ينزل»^(١٤) وعلى درجة فطنتهم وملكتهم في الحفظ والإستظهار في لوح القلب وسعة خبرتهم بأساليب اللغة وطرق البيان والبديع . .

وكان هؤلاء أيضاً إذا حفظوا شيئاً أو عشرأ من الآيات لم يتجاوزوها إلى غيرها أو إلى العشر الأخرى حتى يعلموا ما فيها من العلم والعمل . .

وبالنظر لعدم وجود المشاغل وانتفاء المتاعب لدى هؤلاء لبساطة الحياة الإجتماعية التي كانوا يحيوها وسهولتها وذلك على خلاف ما هي عليها الحياة الآن من التعقيد والتطور والمشقة ، نرى أنه شذ أن نجد أحداً منهم أو من بقية رجالات المسلمين أو نسائهم يخلو من حفظ قسم كبير أو صغير من آيات القرآن ، وهذا وضع طبيعي إذا ما أضفنا إلى بساطة الحياة ما امتازت به العرب وعرفوا به من خصائص العروبة الكاملة وفيها قوة الحافظة الفطرية - والتي قد تصل عند البعض منهم إلى درجة النقش في الحجر - وسيلان الأذهان وقوة الذاكرة وصفاء الذهن ، وهذه نتيجة طبيعية للامية التي كانت تحياها غالبية العرب ، حيث أن هذه الامية قد وجهتهم للإهتمام بالحفظ فقويت لديهم الذاكرة قوة خارقة على النحو الذي نجده في الأعمى ، فالأخير أقوى حفظاً من البصير إذ جعل كل اعتماده على الحفظ ، أما البصير فإن ركونه إلى الكتابة واعتماده عليه يضعف ذاكرته عن غيره ، لذا نرى من ذلك « أنه كانت عناية الصحابة بحفظ القرآن أكثر منهم من عنايته بكتابته »^(١٥) . .

وكتاب الوحي موضوعي البحث والذين كانوا يكتبون للرسول (ص) الآيات المنزلة « لا يحصون »^(١٦) وقيل يصل عددهم إلى ٤٣ نفر^(١٧) ،

(١٤) التعريف بالقرآن والحديث - محمد الزفزاف .

(١٥) التعريف بالقرآن والحديث - محمد الزفزاف .

(١٦) التعبير الفني في القرآن - الدكتور بكري شيخ أمين .

واشهرهم وأقدمهم إمام الهدى علي - ع - ومنهم الخلفاء أبو بكر وعمر وعثمان (رض) وكذلك زيد بن ثابت أبي بن كعب وثابت بن قيس والزبير ابن العوام وحذيفة بن اليمان وعبد الله بن رواحة وسعيد بن العاص ومعاذ ابن جبل . .

وكان ألزم كتاب الوحي للنبي (ص) وأكثرهم كتابة وتدويناً هو الإمام علي - ع - ويأتي من بعده زيد بن ثابت . .

نخلص هنا مما تقدم بيانه أن حفظ القرآن وجمعه الأول (ويطلق الجمع على حفظ القرآن وعلى كتبه) قد تم في عهد الرسول (ص) بصورتين وطريقتين هما^(١٨) :

١ - الصورة الصوتية :

وهو حفظه في صدور المسلمين حفظاً لم يهمل حرفاً^(١٩) ولا حركة ولا سكوناً ولا اثباتاً ولا حذفاً ولا دخل عليهم في شيء منه شك ولا وهم ، وقد كان البعض يحفظه كله والبعض الآخر شطراً منه قل أو كثر وسواء أكانت سور كاملة أم آيات عديدة من مختلف السور . .

وكان شغف المسلمين بحفظه وتلاوته حينئذ عظيماً ، فقد كانوا يتداولون ما استجد منه في نواديهم ومجتمعاتهم لأنه بات يملك عليهم سويداء قلوبهم وغدا همهم الأوحاد قراءة وكتابة الكتاب أو الإستماع إليه لأنه قاعدة الدين والدنيا وبه تتأيد السلطة والحكم ، حتى أن منازلهم كانت تدوي ليلاً من أصواتهم بالقرآن كدوي النحل حيث كانوا يهجرون لذة النوم وراحة الهجود إشاراً للذة القيام به في الليل متفرقين أو مجتمعين . .

(١٧) الإتقان في علوم القرآن - جلال الدين السيوطي ، تاريخ القرآن - أبي عبد الله الزنجاني .

(١٨) كان « لزماً » ان يتطابق القرآن عن هذين المصدرين والصورتين حيث كان كل

كما وكان يسمع لمسجد رسول الله (ص) ضجة بتلاوة القرآن حتى امرهم الرسول (ص) أن يخفضوا ويخففوا من أصواتهم لئلا يتغالطوا ما بينهم . .

كما وكانت سور القتال تتلى أحياناً في نشيد جماعي تهدر به الكتائب الغازية فتملاً نفوسها روعة وقلوبها إيماناً مما يدفعها لأن تفعل الأعاجيب وتقوم بالمستحيلات وتحقق المعجزات على النحو الذي نجده في عصرنا هذا « من هتاف بالنشيد القومي والوطني خلال فترات الحماسة والشجاعة والمناسبات الأخرى »^(٢٠) خصوصاً عند بدء هجوم القوات لتزيد من حماسة الجند وتفانيهم في القتال . .

هذا فضلاً عن أن المرأة قد تجعل مهرها سورة من القرآن^(٢١) أو أكثر وذلك من أجل العناية به والحث على تعهده ، وهذا عكس ما نلمسه

خلاف فيه يذكر يرجع فيه إلى الرسول (ص) كي يزيله « علوم القرآن - أحمد عادل كمال .

(١٩) نشير إلى أن زيادة أو نقصان أي حرف كان أمراً مهماً به ولو مثل حرف « واو » مع أن ذلك قد لا يغير المعنى كثيراً .

(٢٠) نظرات في القرآن - محمد الغزالي .

(٢١) يروى أن امرأة أدت إلى النبي (ص) فقالت : انها قد وهبت نفسها لله ولرسوله فقال (ص) ما لي في النساء من حاجة ، فقال رجل زوجنيها ، قال (ص) : اعطها ثوباً ، قال : لا أبجد ، قال : اعطها ولو خاتماً من حديد ، فاعتل له فقال (ص) : ما معك من القرآن ، قال : كذا وكذا ، قال (ص) : زوجتكها بما معك من القرآن . .

ولقد ذهب البعض إلى كراهية أخذ الأجرة على تعليم القرآن فيقول العلامة الحلي في الحقائق : « الأقرب لإباحته على كراهية ، الأصل الإباحة لأن فيه منفعة تعليم القرآن وتعميم اشاعة معجزة النبي (ص) ولأنه يجوز جعله مهراً فيجوز اخذ الأجرة عليه اذ لو حرمت الأجرة لحرم جعله مهراً » وقال الشيخ الطوسي في النهاية : « نكره أخذ الأجرة على تعليم شيء من القرآن وكذلك على نسخ المصاحف وليس بمحظور وانما يكره إذا كان هناك شرط فان لم يكن شرط لم يكن به بأس » . .

الآن من المشاكل والعقبات التي توضع في طريق الزواج بمضاعفة مهور الفتيات أو اشتراط أشياء من غير الممكن تنفيذها بسهولة ويسر خلافاً لحديث الرسول (ص) حين قال : « إذا أتاكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه ، إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد كبير » . .

وطبيعي أن انتشار الفكر الإسلامي النير سيزيل هذه العقبات من الطريق وسيبعد العادات والأعراف العشائرية والضالة والتي تقف في طريق بناء الأعشاش الزوجية واقامة مجتمع العدل والكفاية . .

هذا وإن أشهر من حفظ القرآن كله أو قسم كبير منه من آل وأصحاب رسول الله (ص) هو الإمام علي - ع - والخلفاء أبو بكر وعمر وعثمان (رض) وحبر الأمة وترجمان القرآن عبد الله بن عباس^(٢٢) وأبي بن

(٢٢) هو عبد الله بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف ولد في مكة المكرمة قبل الهجرة بثلاث سنين وفي خلال حصار بني هاشم في شعبهم ، وكان له منزلة مميزة بين الصحابة بعلمه وفهمه على صغر سنه ، حيث دعا له الرسول (ص) : بقوله « اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل » . .
وينقل عن لسان ابن عباس - قوله : « ما أخذت من تفسير القرآن فعن علي بن أبي طالب » وقد قيل له مرة : « ابن علمك من علم ابن عمك - ؟ » فأجاب : « نقطة من بحر » . .

وقد روي عنه ما لا يحصى كثرة فلا تكاد تخلو آية من آيات القرآن إلا وله فيها قوله أو أقوال ، كما وكثر الرواة عنه كثرة جاوز الحد والمعقول . .
توفي - رحمه الله - في مدينة الطائف عام ٦٨ من الهجرة عن عمر ٧١ سنة وقبره هناك يزار ، وحين سوى عليه التراب قام ابن الحنفية وقال قولته المشهورة :
« مات والله هذا اليوم حبر هذه الأمة » . .

لابن عباس عدة اخوة هم قثم الذي توفي ودفن في سمرقند بالصين والفضل الذي توفي ودفن باليمن وعبيد الله ومن الأمثال أو الطرائف التي تروى عند ذكر عبد الله وعبيد الله ابنا العباس هو أن الرسول (ص) كان قد أشعر عمه العباس بالويلات والمصائب التي سيدوقها ابناؤه من أبنائه بقوله : « ويل لابنائي من أبنائك » فأجاب العباس : « وهل اترك الزواج » فقال النبي : « أبعد عبد الله وعبيد الله » . .

كعب وزيد بن ثابت وعبد الله بن مسعود وأبو الدرداء وأبو موسى الأشعري ومعاذ بن جبل وحذيفة بن اليمان وسالم بن معقل وأبو زيد (قيس) بن السكن وأبو هريرة وطلحة وسعد وعبد الله بن عمر وعبيد الله بن السائب وعبادة بن الصامت . . . الخ .

وطبيعي أن هؤلاء ليسوا هم كل الحفاظ للقرآن الكريم وإنما هناك آخرون من المسلمين ممن حفظ من القرآن كثيراً أو قليلاً مما لا يسع المقام لا يراد أسمائهم جميعاً . .

ويكفي أن نشير هنا إلى (٧٠) صحابياً من حفاظ القرآن ورواته قد استشهدوا في واقعة اليمامة ومثلهم في العدد قد قتلوا في عصر النبي (ص) عند بئر مؤته وغيرهم قد قتل بعد وفاة الرسول (ص) في الوقائع المختلفة وكلهم كانوا ممن استوعب القرآن حفظاً واستظهاراً . .

ويروى بهذا الصدد أن القائل في صدر الإسلام كانت تفاخر فيما بينها على كثرة ما بين أفرادها من حفاظ القرآن كله ، فيقال أن الخزرج كانت تفاخر الأوس بوجود أربعة أشخاص من قبيلتها ممن حفظ القرآن كله وهم زيد بن ثابت ومعاذ بن جبل وأبي بن كعب وأبو زيد ، بينما لا تملك الأوس هنا إلا أن تفاخر بأفراد منها لهم مناقب أخرى مثل ذو الشهادتين وغيره (٢٣) . .

ونحب أن نورد هنا إلى أنه قد حفظ القرآن عند فجر النبوة الإسلامية أيضاً جملة وزمرة من أقطاب الكفر وفرسان الشرك بأمل الرد عليه ومعارضته ، فمن أشهر إسلامه منهم فيما بعد - وفعلاً قد أسلم معظمهم - كان ما حفظوه من الآيات في عهد شركهم عوناً ومدداً لهم في تفهم أصول الشريعة ومبادئ العقيدة بعد أن وضح لهم النبي (ص) المعنى الحقيقي والغرض الصحيح للآيات المحفوظة في صدورهم . .

(٢٣) تاريخ القرآن - محمد طاهر الكردي .

أما القلة القليلة التي أخذتها العزة بالإثم ولم توفق للدخول في رحاب الدعوة الجديدة ثم ماتت وهي بعيدة عن أنوار الحق والهداية فقد كانت الآيات المحفوظة في صدورهم حجة عليهم عند الحساب . .

٢ - الصورة المكتوبة :

وهي الطريقة الثانية التي تم بواسطتها حفظ وجمع القرآن الكريم وهذا الأمر جرى عن طريق تدوينه وتسجيله^(٢٤) بواسطة الكتابة والتسجيل على الوسائل المتيسرة والموجودة في ذلك العهد وهي^(٢٥) :

أ - العسب : « جمع عسيب وهي اضلاع وجريد النخل حيث كانوا يكشفون عنه الخوص ويكتبون في الطرف العريض ، وقيل أنه ما لم ينبت عليه الخوص من جريد النخل » .

ب - اللخاف : « جمع لخفة وهي صفائح الحجارة الرقاق » .

ج - الرقاق : « جمع رقعة وهي القطعة من الجلد أو الورق » .

د - الأقتاب : « جمع قتب وهو الخشب الذي يوضع على ظهر البعير ليركب عليه » ويستعمل لنقش الكتابة عليه .

هـ - الأكتاف : « جمع كتف وهو العظم بالبعير أو الشاة وإذا جف كتب عليه » .

و - الكرائيف : « جمع كرنافة وهي أصول سعف النخل الغلاظ »

ز - اضافة إلى العظام المختلفة والحريير والكتان وقطع الأديم والقراطيس والأوراق الأولية والرقوق الناعمة المسواة . .

فقد حرص كثير من الصحابة في حياة الرسول (ص) وبإشراف مباشر منه واستجابة لقوله (ص) : « قِيدُوا العلم بالكتاب » على الإحتفاظ وجمع كل أو قسم من الآيات الكريمة والتي دونوها على الوسائل

(٢٤) إن الفرق بين الجمع والتدوين هو أن الأول عبارة عن تأليف مصحف

وترتيبه بينما الثاني فلا يخرج عن التسجيل دون السير أو الإلتزام بنظام ثابت . .

(٢٥) الإقتان في علوم القرآن - جلال الدين السيوطي .

المتقدمة جمعها في مكان واحد « وليس في مصحف واحد » بسبب أن الوحي لم ينقطع نزوله على الأرض طيلة حياة الرسول (ص) ، وقبل هذا الإنقطاع لا يمكن إتمام جمع المصحف ، فضلاً عن ترقب ورود ناسخ لبعض الأحكام والآيات . .

والمقصود من حفظ وجمع الآيات في مكان واحد هنا هو أن يسجل ويحرر الحافظ أو الصحابي الآيات تبعاً ثم يدعها في غرفة واحدة أو صندوق خاص أو مكان أمين متفرقة وليست على هيئة الكتب المجلدة ، كما وكان هناك من أكمل منهم هذا الجمع عقب وفاة الرسول (ص) مباشرة . .

ويؤكد قولنا هذا ما يروى من أن أكثر الصحابة كان معتاداً على الختم ، ومعنى ختمه هو أن يقرأه من أوله إلى آخره « فلو لم يكن القرآن مسجلاً ومجموعاً ومرتباً من الأول إلى الآخر ومحفوظاً في مكان خاص لما اطلق على قرائته عنوان الختم » (٣٦) . . .

كما ويؤكد هذا القول أيضاً ما يروى عن زيد بن ثابت بقوله : « بأننا كنا نجمع آيات القرآن الكريم بحضور النبي (ص) من قصاصات من الورق . . . الخ » . .

أما بصدد ترتيب آيات السور فإن الرسول (ص) لم يكن ينتظر في ترتيب الآيات المنزلة نجوماً حتى يكمل نزولها ، ولم يترث في تأليف سورة واحدة حتى تتم كافة فصولها ، بل كان كلما القيت عليه آية أو أكثر يأمر حالاً بوضعها في مكان يحدده لهم من سورة معينة ، كما ويعين موضعها من بعضها طبقاً لما أخبر به الوحي الأمين فيقول (ص) : ضعوا آية كذا في موضع كذا أو في سورة كذا . . .

وفي بعض الأحيان كان يحدث أن تنزل آيتان لسورتين مختلفتين

(٢٦) مجلة الإيمان النجفية - مقال السيد جمال الهاشمي حول جمع القرآن .

في آن واحد فيطلب الرسول (ص) تدوينهما منفصلتين تفادياً لأي لبس أو خلط بينهما « ثم يدلهم (ص) على موضع كل آية من سورتهما المطلوبة »^(٢٧) وعلى مكانهما المقرر . .

فالتتابع الخاص بين الآيات في كل سورة اذن هو تصميم رباني لا يجوز تغييره أو استبداله بترتيب مغاير آخر الآيات ، كما وان الصحابة (رض) لم يرتبوا الآيات ترتيباً سمعوا النبي (ص) يقرأ على خلافه . .

وعلى هذا يمكن التأكيد والجزم بأن جميع الآيات قد نسقت ووضعت في أماكنها المطلوبة والثانية ضمن السورة كما وتم ترتيب السور^(٢٨) في المصحف قبيل وفاة الرسول (ص) وسميت السور بإذنه وتوجيهه . .

علماً بأن هذه الآيات وهذه السور في القرآن الكريم لم تتخذ في ورودها التنزيلي سبيلها التي اتبعته في وضعها الترتيبي ، فما أكثر السور التي نزلت جميعاً أو اشتاتاً في الفترات التي نزلت بها سور أخرى ، وكم آية في السورة الواحدة تقدمت فيها نزولاً وتأخرت ترتيباً ، وكم آية هي على عكس ذلك . .

ولهذه الطريقة كما يرى البعض^(٢٩) سر خاص مفاده أن جميع القرآن وآياته وأحكامه وتشريعاته وان اختلفت أماكنها وتعددت مواقعها فهي وحدة كاملة لا يجوز التفريق بينهما في العمل أو التمسك ببعضها دون البعض فهي إما أن تؤخذ كلها أو تترك كلها ولا وسط بين ذلك قط . .

هذا وعندما كان الوحي ينزل بالبسملة في أول سورة كان يعرف

(٢٧) روح الدين الإسلامي - عفيف عبد الفتاح طيارة .

(٢٨) نشير إلى أن هناك من يذهب إلى أن ترتيب السور كان باجتهاد من الصحابة وان غيرهم يذهب إلى أن ترتيب بعض السور توقيفي وبعضه باجتهاد من الصحابة كما سيلي تفصيله في فصل الجمع الثالث للقرآن .

(٢٩) نظرات في القرآن - محمد الغزالي .

الجميع أنها سورة جديدة فتوضع في محلها ، فضلاً عن أن الرسول (ص) أو المسلمين بقول آخر لا يعلم ختم السورة حتى تنزل البسملة فإذا نزلت علم بان السورة قد انتهت ، لذا اعتبرت البسملة - في الحق - « آية أصيلة وجزءاً من كل سورة لا تتجزأ » (٣٠) عدا سورة براءة ، ودليل ذلك هو أن الرسول (ص) كان يقرأها ولو لم تكن جزءاً من القرآن لوجب عليه (ص) ان يصرّح بذلك ، فان قراءته لها - وهو في مقام البيان - دليل على أنها من القرآن ، فضلاً عن أن السلف الصالح قد جرى على اثباتها في المصحف مع استقرار السيرة واستمرارها على قراءتها في أول كل سورة ، فضلاً عن اشتغال جميع المصاحف منذ صدر الإسلام حتى الآن على ذكرها في أول كل سورة مع حرصهم الشديد - المسلمين - على عدم ادخال ما ليس في القرآن فيه « حتى أن بعض الصحابة عارض في تنقيط المصحف وتشكيله لكي لا يدخل في المصحف أي عنصر جديد » (٣١) . .



أما سورة براءة فقد قيل في سبب حذف البسملة منها أن هذه قد جاءت تقريعاً وعذاباً أليماً على الكافرين والمشرّكين فلا تتفق والحالة هذه مع فحوى البسملة وفلسفتها والتي سداها الأمان ولحمتها الرحمة والرضوان . .

وقد قيل في سبب حذفها من سورة التوبة أيضاً أنه قد جاء عن طريق الشك الذي نجم عند جمع القرآن - الجمع الثالث - وهو ما إذا كانت كل سورة الأنفال التي تسبق سورة التوبة وسورة التوبة هما سورة واحدة أو سورتان لأنه ورد في الأثر أن النبي (ص) كان قد قرأهما بدون الإتيان بالبسملة بينهما ، لذا حذفت البسملة عند الجمع من سورة التوبة أولاً ووضعت الأخيرة - التوبة - مستقلة بعد الأنفال ليصدق عليها

(٣٠) تفسير المنار - محمد رشيد رضا ، تفسير الرازي - فخر الدين الرازي .

(٣١) محاضرات في تفسير القرآن - السيد اسماعيل الصدر .

الوجهان والإحتمالان ، وجه أنها سورة مستقلة ووجه آخر هو أنها من سورة الأنفال (٣٢) . . .

علماً بأن التعليل الأول هو المأخوذ به والمقبول لدى الكثيرين من المؤرخين والرواة (٣٣) . . .

لقد ذهبنا آنفاً إلى « أن البسملة آية من الفاتحة ومن كل سورة عدا سورة براءة » (٣٤) وقد أوردنا الأخبار المتضافرة الماثورة عن النبي (ص) وأهل البيت والأصحاب ، ولكن رغم هذا فلا نعدم من يقول بأن البسملة ليست أصيلة في السورة بسبب أن « اثبات السلف لها في المصاحف - كما تقدم - كان لأجل التبرك » (٣٥) فيكون الإفتتاح بها في الصلاة أو في كل عمل ذي شأن هو ثواب وخير وبركة . . .

أما سورة الفاتحة فإن بسملتها - لدى الجميع - هي جزء من الفاتحة لا تتجزأ ولا يعد من قرأ سورة الفاتحة بدون الإتيان بها سرّاً أو جهراً أنه قد قرأ سورة كاملة من القرآن الكريم . . .

هذا ولم نعدم أيضاً وجود فئة صغيرة أخرى تذهب في البسملة مذهباً جديداً وهو أنها مستقلة بنفسها وليست جزءاً من أي سورة وإن رجع - لديها - هنا قراءتها في مطلع كل سورة . . .

ونشير بعد ذلك إلى أن الرسول (ص) كان يعرض ما نزل عليه من الآيات في كل شهر رمضان من كل عام هجري على الوحي الأمين ،

(٣٢) الإتقان في علوم القرآن - جلال الدين السيوطي .

(٣٣) من الطريف أن نذكر هنا أن الصبيان في مكاتب جمهورية مصر العربية يتنادرون فيما بينهم بأن النمل من عادته سرقة ما يجده ، ومن أجل ذلك فقد تولّى سرقة بسملة براءة ووضعها في قلب سورتها - سورة النمل - عند ذكر حوادث النبي سليمان وزوجته الملكة بلقيس . . .

(٣٤) منهج البيان في تفسير القرآن - السيد ابن الحسن الرضوي .

(٣٥) البيان في آداب حملة القرآن - يحيى شرف الدين .

وان الوحي طلب منه في السنة العاشرة من الهجرة عرضها عليه مرتين وهي التي تسمى بـ - العرضة الأخيرة - فعرف الرسول بأن هذا الأمر قرينة وإشارة إلى أن أجله قد حان وان الله سبحانه قد آثره لجواره واختار له دار كرامته (٣٦) .

وكان الرسول (ص) بدوره أيضاً يستعيد قراءة - كتاب الوحي - وغيرهم من الحفاظ في كل فرصة ومناسبة سانحة من أجل التثبت من سلامة كتابتهم واستظهارهم ولتصحح الأغلاط والسقطات التي قد تشوب بعض ما حفظوه في صدورهم أو ما كتبوه في أوراقهم . .

وقد فعل الرسول (ص) هذا وأكد عليه حتى لا يضيع الإسلام بضياع دستوره وكتابه الخالد ولأن « القرآن أمانة في عنق الرسول (ص) عليه حتماً أن يؤديه كاملاً ويسلمه مجموعاً لثلاث تناله أيدي العابثين » (٣٧) وتتطاوله ألسنة المغرضين في كل زمان . .

والاستعادة الأخيرة هذه تختلف عن الأولى - والمماثلة لها في الطريقة - تختلف عنها في الوقت فقط حيث كانت الأولى تتم حال الفراغ من كتابة الآية التي أنزلها الوحي الأمين على النبي (ص) أو بعد حفظها في الصدور مباشرة ، إما الثانية - موضوعة البحث - فتتم في المناسبات والفرص والأوقات المؤاتية تقاربت أو تباعدت . .

أما بصدد وسائل التدوين التي كانت مستعملة في عصر النبوة والتي تم بواسطتها تحرير وتسجيل الآيات القرآنية المنزل ، فلنا تعقيب موجز حولها ، وكان المؤمل أن اشير إليها في فصل سابق هو - طبيعة المجتمع العربي في عصر النبوة - إلا اني آثرت إرجائها إلى هذا المكان لأنناولها مفصلاً بعد أن أكون قد فرغت من الإشارة إليها وتعريفها عند

(٣٦) صحيح البخاري - محمد بن إسماعيل البخاري .

(٣٧) الإمام الصادق - عبد الله السيبي .

البحث في السورة الثانية لكتابة القرآن وهي (الصورة المكتوبة) ، لیتاح
للقارئ أن يأخذ صورة عامة عنها قبل اللوج إلى سويدائها . .

فبصدد هذه الوسائل أقول أن الغالبية من الرواة والمؤرخين ذهبت
إلى أن التدوين في عهد النبوة كان قد تم على الوسائل البدائية المشار
إليها قبل قليل وهي الأكتاف والعظام ورقاق الحجارة والخشب
والكرانيف . . . الخ .

وطبيعي أن ما ذهب إليه هؤلاء ليس هو كل الحقيقة والواقع عن
وسائل التدوين ، بل أرى مع نفر قليل من المؤرخين والرواة أن التدوين
في عصر النبوة تم بالإضافة إلى كل ذلك على الوسائل المتطورة
كالقراطيس والأوراق البدائية والرقوق الناعمة المسواة بدليل هو أن
الرسول (ص) حرصاً منه على حفظ اعظم مظاهر النبوة ومعجزته الخالدة
« كان يكتب كل ما ينزل عليه في رقائق منفردة ثم تنقل هذه الرقائق إلى
صحف معدة لها كالسجل^(٣٨) فتلحق فصولها ببعضها وفق ما كان يشير
إليه النبي (ص) ويطلبه^(٣٩) .

وقد تكتب الآيات المنزلة على الصحف مباشرة إلا في الحالات
القليلة التي لم تيسر فيها الصحف فتكتب على الأكتاف والعظام ودليل
ذلك هو « ان القرآن الذي هبط في مكة يكون ثلثي آيات المصحف قد سجل
ودون كله ، فلو أن هذا القدر من القرآن كان قد كتب على الوسائل
البدائية كرقاق الحجارة والخشب . . . ونحوه لاحتاج إلى ٢٠ بعير
لحملة ، ولم نسمع من أخبار الهجرة أن قافلة من الأحجار قد هربت إلى

(٣٨) وفي هذا المعنى قال الشاعر في الشطر الأول من بيته :

كل علم ليس في القراطيس ضاع كل سر جاوز الأئين شاع

(٣٩) القرآن المجيد - محمد عزة دروزة .

المدينة قبل النبي أو بعده وهي تحمل هذه الحملات الكبيرة والغريبة» (٤٠) .

كما وأن وجود القراطيس والصحف في عهد النبوة ليس مستبعداً بعد أن جاء ذكرها مراراً عديدة في القرآن الكريم في قوله تعالى : ﴿ ولو نزلنا عليك كتاباً في قرطاس فلمسوه بأيديهم ﴾ (٣١) وقوله سبحانه : ﴿ قل من نزل الكتاب الذي جاء به موسى نورا وهدى تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيراً ﴾ (٣٢) وقوله تعالى : ﴿ في صحف مكرمة مرفوعة مطهرة ﴾ (٣٣) وقوله عز من قائل : ﴿ إن هذا لفي الصحف الأولى صحف إبراهيم وموسى ﴾ (٣٤) .

ان القراطيس والصحف المشار إليها في القرآن الكريم لا يمكن - في الحق - ان تدل أو تنصرف لتلك الوسائل الأولية والبدائية المعروفة ، بل تطلق عادة على ما كان شائعاً حينئذ من وسائل الكتابة وموادها التي تبسط وتطوى وتحمل ويكتب عليها بسهولة ويسر والتي قد يكون لها شبه كبير أو صغير بالورق المستعمل حالياً في الكتابة وان كان دونه - طبعا - في الإتقان والجودة (٤٥)

هذا من جهة ومن الجهة الأخرى فقد سبق ان نوّهنا في فصل سابق بانتشار التعليم بصورة محدودة بين صفوف الناس داخل المدن الحجازية ، فلا يمكن والحالة هذه ان تقتصر كتابات هؤلاء ومراسلاتهم على الوسائل البدائية في الكتابة وإلى جوارهم وبقرتهم الدول والجاليات

(٤٠) القرآن - محمد صبيح .

(٤١) الأنعام : ٧ .

(٤٢) الأنعام : ٩١ .

(٤٣) عبس : ١٣ ، ١٤ .

(٤٤) الأعلى : ١٨ ، ١٩ .

(٤٥) القرآن المجيد - محمد عزة دروزة .

التي عرفت واستعملت القراطيس والأوراق وسجلت عليها بعض مقاطع وأجزاء من التوراة والإنجيل إضافة إلى فصول قليلة من التواريخ والأخبار والقوانين والمعلقات . .

فطبيعي كان العرب سباقين في اقتباس هذه القراطيس والأوراق من أجل أن يدونوا عليها كتاباتهم ومعاملاتهم التجارية ليسهل عليهم حفظها وحملها معهم في رحلاتهم الصيفية والشتوية إلى ديار الشام وأرض اليمن السعيدة لأجل التكسب والإرتزاق والتجارة . .

كما ولا يمكن هنا أن نتصور أو نعتقد بأن إحراق عثمان بن عفان للآيات القرآنية بعد جمعه القرآن - الجمع الثالث - وإحراق مروان بن الحكم بعد ذلك للآيات التي استنسخت في خلال الجمع الثاني في عهد أبي بكر الصديق والتي كانت محفوظة لدى أم المؤمنين حفصة بنت عمر بعد ارتحالها إلى جوار ربها . كما سيرد بيانه بعد قليل - لا يمكن أن نتصور ان كل هذا الإحراق كان على الأحجار واللخاف والأكتاف والعظام وهذه كلها لا يمكن أن ينالها لهيب النار بطبيعتها ، وإنما جاء الحرق على القراطيس والصحف والرقاع التي دوت عليها الآيات القرآنية في حياة الرسول (ص) وبعده . .

كما ولا يمكن أن نعقل قيام أبو بكر الصديق بشد الصحف ببعضها بخيط واحد بعد ثقبها أو بدونه - كما تقدم - لا يمكن أن نعقل هذا إلا أن الأمر والفعل كان قد تم على القراطيس والصحف والرقوق الناعمة المسواة والتي لا يمكن جمعها إلى بعض وشدها بخيط بعد ثقبها أو بدونه . .

هذا وأضيف إلى كل هذا أنه لا يمكن أن نتصور ان تكون الصحيفة التي وضعها القرشيون في أصل الكعبة عند منطلق الوحي وبدء الرسالة الإسلامية بصورتها العلنية والتي امتد مكوئها داخل الكعبة لما يقرب من ثلاث سنوات والتي سودوها بالقرارات الجائرة والأحكام

الظالمة المتعلقة بمقاطعة أهل البيت وحصرهم في شعب أبي طالب وعدم السماح لأحد من الناس بالإتصال بهم أو اعانتهم أو تزويجهم أو أخذ شيء منهم أو إعطائهم أي شيء ، لا يمكن أن نتصور ان هذه الصحيفة قد كتبت على الرقاع أو العظام أو الأكتاف ، بل أنها سطرت في الحقيقة - كما يفيد اسمها أيضاً - على صحيفة منتظمة الأطراف أو على قرطاس أو جلد غزال ناصع ومنتظم والذي مزقته الأرضة بعد ذلك كل ممزق ولم تترك منه سالماً إلا ما ورد فيه من أسماء الله تعالى أو صفات له ، مما حد بقريش عقب ذلك إلى رفعها وشقها وإبطال احكامها وهم يجرون أذيال الخيبة والفشل الذريع غير مأسوف عليهم . .

وأخيراً وليس آخرأ نشير هنا إلى ما ورد ذكره قبل قليل من قول ينسب إلى كتاب الوحي زيد بن ثابت ومفاده هو أنه مع السلف الصالح كانوا يجمعون آيات القرآن الكريم بحضور الرسول (ص) من قصاصات من الورق ، ولفظ الورق هذا وإن لم يشبه الورق الذي نستعمله الآن إلا أنه لا يقل عنه إلا في الجودة والإتقان والتطور (٤٦) . . .

(٤٦) إن الورق الذي نستعمله الآن كان قد أكتشفه الصينيون ، ولكنه لم يدخل الغرب ولم تعرفه أوربا إلا عن طريق المسلمين ، وذلك أن زياد بن صالح حاكم سمرقند من قبل العباسيين (عام ٧٥١ م) لاحظ ان القبائل التركستانية على الحدود الشرقية للدولة الإسلامية كانت تهاجم هذه الحدود بدعم من الصين وتأييد منها .

وبصدد تأديب هذه القبائل بعث حملة قوية عليها بقيادة خالد بن إبراهيم حيث دخلت بلادها ومزقت جموعها وأخذ أعداداً كبيرة منها كأسرى حرب كان منهم كثير من الصينيين وجاء بهم إلى حواضر البلاد الإسلامية وهؤلاء هم الذين بدأوا يصنعون الورق الصيني وادخلوا الورق وصناعته في الوطن الإسلامي . .

وقد ازدهرت وأنتعشت هذه الصناعة بشكل خاص في خراسان في عهد الفضل ابن يحيى البرمكي عامل الرشيد على خراسان ، وقد عني الرشيد نفسه بصناعة الورق وطلب تدوين المصاحف على هذا الورق بدلاً من الورق والقراطيس =

وبعد هذا نلتمس من القاريء الكريم أن يستعد وينتهي لنقله إلى الفصل التالي لذى كيف أمكن جمع القرآن في مصحف واحد ، وان هذا المصحف لم ينقص منه حرفاً واحداً ولم يزد فيه حرفاً ، وما علة ذلك إلا لأن الله تعالى آثر حفظ كتابه الكريم من الزيادة والنقصان ، ولأن المسلمين عامة والعرب خاصة عندما تمسكوا بالعقيدة بقوة وجعلوها أساس حياتهم ومدار تفكيرهم فإن هذا قد منعهم من نسيان آية أو إقحام ما ليس من القرآن فيه وان كان هذا حرفاً واحداً ونقطة واحدة . .

ومن استعد من القراء الكرام للرحلة فليشرع في قراءة والفصل القادم حيث سيجد مصداق كل ما أشرنا إليه آنفاً بشكل ساطع وجلي سطوع الشمس وجلاء القمر لذي عينين . .



مركز تحقيق وتطوير علوم إسلامي

= والصحف لنصاعته وجودته على تلك « دور العرب في تكوين الفكر الأوروبي - الدكتور عبد الرحمن بدوي » . .

هذا وقد انتشرت صناعة الورق انتشاراً كبيراً في طول العالم الإسلامي منذ القرن الثاني للهجرة (الثاني للميلاد) وعن طريق المسلمين العرب في الاندلس هذا الورق إلى أوروبا ، وكان قد دخلها قبل ذلك وبعده عن هذا الطريق وعن طريق جزيرة صقلية والحروب الصليبية مختلف الصناعات والعلوم والفنون والآداب التي كانت عند المسلمين العرب ، فأوروبا إذن مدينة للمسلمين في حضارتها الراهنة ومدنيتها المعاصرة التي تعيشها بقدر ما مدين به المسلمون للإسلام ورسوله الكريم الكريم (ص) . .



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

الجمع الثاني للقرآن

مركز تحقیقات کتب و تاریخ علوم اسلامی



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

لا يخفى على القارئ العزيز مما مر ذكره بان القرآن الكريم كان « مؤلفاً في زمن النبي (ص) على ما هو عليه في المصاحف اليوم ولكن لم يكن مجموعاً في مصحف واحد »^(١) وكتاب واحد ولم تربط آياته خيط أو بين دفتين ولم يلزم القراء توالي سورة ، لأن الوحي كان لا ينقطع نزوله ما دام النبي (ص) حياً ، وكان ما أوحى به إليه (ص) مجموعاً - كما تقدم - في قلوب المسلمين وكتاباتهم له ، وذلك على خلاف ما يذهب إليه البعض من المستشرقين ممن تصدوا للكتابة عن القرآن أو الإشارة إليه^(٢) وخصوصاً في موضوع جمعه ، حيث ذهب هذا البعض إلى ان سور القرآن وآياته ظلت مبعثرة ومفككة في حياة الرسول ثم جمعت بعد وفاته تحت رحمة الأسانيد الشفوية للصحابة مما جعل اصل القرآن - برأيهم - مثاراً للقليل والقال والتساؤل والاستفسار^(٣) . .

-
- (١) التبيان في آداب حملة القرآن - يحيى بن شرف .
 (٢) بصدد مصدر القرآن يذهب قسم من المستشرقين وغيرهم إلى أن القرآن هو من تأليف محمد (ص) وطبيعي أن هذا القول مخالف للحق ومجانِب للواقع ، وهو أن القرآن الكريم كلام الله تعالى وأنه وحي أنزله على رسوله ولا يمكن أن يكون له أصل من البشر . حيث لو أن محمداً « هو الذي وضع القرآن لبث فيه أشجانه وحالاته النفسية وأزماته واحزانه ، والقرآن هو غير هذا تماماً فهو يبدو من البدء حتى النهاية معزولاً عن النفس المحمدية بما فيها من مشاغل وهموم بل أن الآية لتنزل مناقضة للإدارة المحمدية ، القرآن - محاولة لفهم عصري - مصطفى محمود .

كما وذهب الآخرون من هؤلاء إلى ان قسماً من القرآن قد ضاع ونسي بعضه وان القرآن غير كامل الأجزاء الخ

وهذا الزعم - ان صح - فلا يصلح إلا لاطهار مدى جهل الذين ابتدعوه وخلقوه ، فليس ابعد عن الحقيقة والواقع من ان يقال ان آيات القرآن وسوره جمعت بعد وفاة الرسول (ص) لأن هناك الف دليل ودليل يشير إلى أن آيات القرآن قد جمعت كلها في عهد الرسول (ص) حفظاً في الصدور وتلاوة على الألسن وكتابة في الرقاع والصحف ، كما ان السور القرآنية قد سميت كلها تحت إشرافه ونظره^(٤)، فضلاً عن ان « العلم بصحة نقل القرآن كالعلم بالبلدان والحوادث الكبار والوقائع العظام والكتب المشهورة وأشعار العرب المسطورة ، حيث ان العناية اشتدت والدواعي توفرت على نقله وحراسته وبلغت إلى حد لم يبلغه ما ذكرناه ، لأنه معجزة النبوة ومأخذ العلوم الشرعية والاحكام الدينية . . . الخ »^(٥).

ولما اختار الله تعالى لرسوله دار الكرامة والسعادة وانقطع اثر ذلك نزول الوحي إلى الأرض فلا يرجى بعد ذلك للقرآن نزول تنمة له ، رأى المسلمون حينئذ وفاء بوعده الله بضمان حفظه على الأمة أن يسجلوه في مصحف جامع واحد^(٦).

أما قبل ذلك - أي قبل وفاته (ص) - فإن عدم جمع القرآن في مصحف واحد يعود إلى الأسباب التالية^(٧):

١ - لم يوجد من دواعي كتابته في مصحف واحد مثل ما وجد في عهد الخلفاء الراشدين حيث المسلمون بخير والقراء كثيرون والفتنة مأمونة الجانب . .

(٣) ، (٤) التاريخ الجغرافي للقرآن - مظفر نادفي .

(٥) المسائل الطرابلسيات - الشريف المرتضى .

(٦) آلاء الرحمن في تفسير القرآن - الشيخ محمد جواد البلاغي .

(٧) التعبير الفني في القرآن - الدكتور بكري شيخ أمين .

٢ - ان النبي (ص) كان بصدد استمرار نزول الوحي عليه واحتمال نزول ناسخ لآية أو آيات . .

٣ - ان القرآن لم ينزل مرة واحدة وإنما نزل منجماً وأنه لم يكن بين نزول آخر آية ووفاته (ص) إلا مدة قصيرة . .

٤ - ان ترتيب آيات القرآن وسوره ليس على ترتيب نزوله حيث ان نزوله كان حسب الأسباب ، بينما ترتيبه فلغير ذلك من الإعتبارات والأسباب . .

هذا وقيل ان الدافع الرئيسي في جمع القرآن - بعد وفاته (ص) - قد جاء بعد ان أشد القتل باصحاب الرسول (ص) من القراء وحفظه القرآن في واقعة اليمامة والتي حدثت في أواخر سنة ١١ هجرية وأوائل عام ١٢ هـ تقريباً ، وهي الواقعة التي جرت مع مسيلمة بن ثمامة الكذاب الذي قتل عام ١٢ هـ والذي ادعى النبوة بعد وفاة الرسول - وقيل قبل وفاته (ص) في قومه بني حنيفة ، كما وكانت ساحة المعركة في أرض نجد وفيها استشهد سبعون نفرًا من الحفاظ وما يقرب من خمسمائة من القراء^(٨) وقيل « قتل فيها وحدها ١٢٠ شخص من المسلمين فيهم ٧٠٠ شخص من القراء »^(٩) من الذين صحبوا رسول الله (ص) وسمعوا حديثه وقوله . .

وقيل أيضاً ان الخليفة عمر بن الخطاب (رض) سأل عن آية من الكتاب ف قيل له كانت مع فلان الذي قتل في يوم اليمامة ، فقال انا لله وراجع اثرها ابا بكر الصديق (رض) بصدد جمع القرآن في مكان واحد . .

(٨) كان يطلق لفظ القاريء قديماً على الذين يحفظون القرآن عن ظهر قلب ويساويه الآن لفظ الحافظ ، أما لفظ المقرئ المتداول بيننا الآن فهو يطلق على من يقرأ القرآن بالمصحف ، وسيمر شرح كل ذلك في فصل قادم هو - العناية بالقرآن . .

(٩) منهج البيان في تفسير القرآن - السيد ابن الحسن الرضوي .

والظاهر هنا من قول عمر ومخاطبه هو ان غير فلان - في الحق - كان يحفظ الآية المطلوبة ، بل كان هناك من يحفظ سائر القرآن - كما تقدم شرحه - ولكن الخليفة عمر عندما نما إلى سماعه قتل فلان خاف من قتل بقية الحفاظ والقراء لكلام الله تعالى في المعارك التي استعمر لظاها بعد وفاة الرسول (ص) مباشرة والتي كان القراء والحفاظ يشكلون قسماً كبيراً من جنودها فيضيع بفقدهم واستشهادهم القرآن الكريم أو على الأقل شطر منه قد يصعب بعد ذلك تلافيه بسهولة .

لذا فقد راجع عمر أبا بكر (رض) - وقد أصبح الأخير خليفة للمسلمين - بصدد جمع القرآن « في صحف توضع بين دفتين وتكون أصلاً مكتوباً للقرآن يحفظ النص من دون أن ينقص أو يزيد منه شيء »^(١٠) ومشيراً عليه من مغبة ان تذهب كل الملاحم والمعارك التالية بالبقية الباقية من القراء فيذهب كثير من القرآن بذهابهم واستشهادهم في سبيل الله أو « يتسرب إليه - القرآن - ما يغير في الصورة الصادقة التي نقلها الوحي عن الله ونقلها الرسول عن الوحي ونقلها الصحابة عن النبي بدقة وامانة »^(١١) .

ولكن أبا بكر لم يوافق عمر على رأيه مبدئياً كما ولم يفكر أو يبحث فيه بل اجابه بقوله : كيف افعل شيئاً لم يفعله رسول الله من قبل ولم يعهد الينا عهداً^(١٢) متصوراً بأن جمع القرآن في مكان واحد قد تكون سابقة خطيرة قد تقترب أو تصل إلى حدود البدعة التي نهى الرسول (ص) عنها وحاربها بكل هوادة وشدة . .

اضافة إلى انه « ليس هناك من نص صريح يحله ولا سابقة تعين على معالجته »^(١٣) .

(١٠) ، (١١) المصحف الشريف - الدكتور محمد عبد العزيز مرزوق .

(١٢) الإتقان في علوم القرآن - جلال الدين السيوطي - فضائل القرآن - إسماعيل بن كثير القرشي .

(١٣) تاريخ القرآن - الدكتور عبد الصبور شاهين .

وقد دأب عمر بن الخطاب (رض) على مراجعة أبي بكر (رض) بهذا الشأن مراراً كما ودار حول الموضوع حوار طويل بينهما « لا سيما فيما يتعلق بتهافت أصحاب الرسول في المعارك تهافت الفراش في النار وخشية ألا يشهدوا موطناً إلا فعلوا ذلك حتى يقتلوا »^(١٤) حتى انتهى الحال أخيراً إلى انتزاع الموافقة على جمع القرآن ، حيث أدرك أبو بكر - في الأخير - الفوائد المترتبة من ذلك فضلاً عما ثبت لديه من ان مثل هذه الخطوة ليست ببدعة في كثير أو قليل ان لم تكن حسنة يثاب عليها المرء ويجزى عنها أحسن الثواب في يوم الحساب ، وانها أيضاً تتفق مع روح التشريع الاسلامي والمصالح العامة ولا تعارض نصاً شرعياً أو حكماً دينياً ..

علماً بأن هذه الموافقة كانت - كما يرى البعض - هي « اخطر قرار اتخذته أبو بكر في حياته وأعظم الخطرات التي تمت في تاريخ هذه الأمة »^(١٥) لأنها ستحفظ القرآن من التحريف وتبعده عن الزيادة والنقصان .

وفي سبيل تحقيق هذا الأمر الذي تم المصادقة عليه ، استدعى أبو بكر الصديق إليه زيد بن ثابت وكان الأخير من أبرز كتاب الوحي وقال له : « باني قد عزمت على أمر خطير وجسيم آمل ان تعينني عليه فإنك : »
« رجل شاب عاقل لا نتهمك في شيء وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله (ص) فتتبع القرآن واجمعه »^(١٦) في مكان واحد ..

وقد كان وقوع هذا القول على رأس زيد كوقوع الصاعقة ، حيث استثقل الأمر في البداية واستبعده وشعر بجسامة التبعة التي كلف بحملها لأسباب مختلفة ، منها انه لم يسبق له ان تلقى طلباً كهذا في عهد رسول

(١٤) إعجاز القرآن والبلاغة المحمدية - مصطفى صادق الرافعي .

(١٥) تاريخ القرآن - الدكتور عبد الصبور شاهين .

(١٦) البرهان في علوم القرآن - بدر الدين الزركشي .

الله (ص) فضلاً إلى ما يكلفه هذا العمل من الأتعاب والمشاكل التي هو في غنى عنها ، إضافة إلى أنه صحابي عاصر رسول الله وسمع حديثه لا يحب أن يقوم بعمل أو محاولة لم يفعلها النبي ولم يأمر بها - وأنه كمسلم يتحاشى مثل هذا العمل خشية أن يقع - عند تنفيذه له - في بعض الأخطاء وما قد يترتب على هذه الأخطاء من المحاذير الدينية والأدبية التي قد تهدد مكانته الدينية وتعصف بها .

وحسب زيد حينئذ أنه لو كلف بنقل جبل - كجبل أبي قبيس المطل على قلب مكة - بصخوره وحصاه وترايه ما كان أثقل عليه من تنفيذ هذا الطلب وإتمام هذا العمل المكلف به . . .

ولكن لم تمضي إلا فترة قصيرة من الوقت إلا وشرح الله صدر زيد لقبوله تنفيذ هذا العمل كما شرح الله تعالى صدر أبي بكر بصدده من قبل ، فوافق على القيام بأعباء العمل طواعية وابتدأ في تنفيذه وتحقيقه في الحال بعد أن توسل إلى الله تعالى في أن يختم مهمته بالنجاح والخير . .

لقد قام زيد بالأمر - بعد أن أمر أبو بكر منادياً لينادي في الناس ، بأن كل من عنده شيء من القرآن فليجيء به إلى زيد - قام على خير وجه حيث سار وفق خطه حكيمة وسليمة فهو لم يعتمد فقط على ملكة الحفظ عند العرب بل اشترط إضافة إليها أن تعززها وتدعمها الكتابة ، كما قرر أن لا يقبل أية آية مكتوبة من آيات القرآن « إلا من بعد شهادة شاهدين عادلين يفيدان على أنها كتبت وحررت في حضرة الرسول (ص) وأنها سمعت من فمه » (١٧) .

والحقيقة أن كل هذه الإجراءات والتعقيدات إنما وضعت أو اتخذت بنظر الاعتبار فلأجل المبالغة في الاحتياط والأمانة في الجمع والحرص على صحة وسلامة نقل الآيات الكريمة . .

(١٧) الإتقان في علوم القرآن - جلال الدين السيوطي .

وهكذا تتبع زيد بن ثابت القرآن باجمعه يجمعه من العسف
واللخاف والصحف والقراطيس وصدور الرجال ، فوجد قرب الفراغ من
العمل ان آخر سورة التوبة^(١٨) كانت لدى أبي خزيمة الانصاري أو خزيمة
بن ثابت الانصاري في رواية أخرى وهي قوله تعالى : ﴿ لقد جاءكم
رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف
رحيم ﴾ فوافق على كتابتها دون تأخير أو ابطاء^(١٩) ذلك لأن رسول الله
(ص) كان قد جعل شهادته مساوية لشهادة رجلين من المسلمين^(٢٠) . .
كما ان عمر بن الخطاب (رض) كان قد جاء زيد بن ثابت بآية

(١٨) في الحقيقة أن زيد بن ثابت لم يجد هذه الآية مسجلة عند غير المسلمين
ممن راجعهم ، لا انه لم يكن يحفظها غيره بل كان يحفظها الكثيرون ويتلونونها
في الصلوات وفي غيرها . .

كما وأن الروايات والمصادر التي تروى أو تأتي على هذه الواقعة قد وقعت في
الخلط والالتباس بين خزيمة بن ثابت وأبي خزيمة الانصاري فمنها من تعد
الاول هو ذو الشهادتين وغيرها تعد الثانية . .
إن علة هذا الخلط ما بينهما يرجع إلى تكرار لفظ خزيمة في الاسمين وان
الأثنين هما من الأنصار . .

(١٩) فضائل القرآن - إسماعيل بن كثير القرشي ، الإتيقان في علوم القرآن - جلال
الدين السيوطي .

(٢٠) إن سبب جعل شهادة خزيمة أو أبي خزيمة معادلة لشهادة رجلين هو ان النبي
(ص) كان قد اشترى يوماً فرساً من سواد بن الحارث فاستبغعه لاعطائه ثمن
الفرس ، فاسرع النبي (ص) لمشي وأبطأ البائع المذكور ، فاعترضه بعض
الرجال وسأموه على الفرس باكثر من الثمن الذي باعه وهم لا يعلمون ان النبي
(ص) قد اشتراه منه ، ثم انكر الاعرابي عند جلب النبي للثمن ببعه الفرس له ،
فشهد للنبي (ص) ابي خزيمة أو خزيمة فقال له الرسول : بم تشهد ولم تكن
حاضراً فأجاب بتصديقك وإنك لا تقول إلا حقاً ، فقال (ص) : « من شهد له أبي
خزيمة أو خزيمة أو عليه فحسبه » . .

وأبي خزيمة هو صحابي جليل ومن اشراف الأوس وشجعانهم وقد حمل
رايتهم يوم فتح مكة وشهد معركة صفين مع الإمام علي بن أبي طالب - ع -
وفي هذه المعركة استشهد وكان في عام ٣٧ هـ .

الرجم وهي : ﴿ الشيخ والشيخة إذا زنيا فأرجمهما البتة نكالا من الله والله عزيز حكيم ﴾ فلم يكتبها زيد بسبب أن نقل هذه الآية - أو العبارة على وجه الدقة - كان منحصراً به فقط ولم يشهد له على صحتها أحد من المسلمين^(٢١) . .

وينقل عن لسان عمر بن الخطاب بصدد ما جاء به من آية الرجم قوله : « لولا أن يقول الناس أن عمر قد اضاف إلى كتاب الله شيئاً لاضفت هذه الآية إلى القرآن » . . .

وقيل بعد هذا أن أبا بكر (رض) حرصاً منه على سرعة وسهولة اتمام جمع القرآن طلب من عمر بن الخطاب وزيد بن ثابت أن « يجلسا عند باب المسجد النبوي فمن جاءهم بشاهدين على شيء من كتاب الله فليكتبوه »^(٢٢) .

والمقصود من الشاهدين هنا هو الحفظ والكتابة أو بأن يشهدا بأن ما اتوا به كان مما عرض على النبي (ص) عام وفاته في العرصة الأخيرة ، وأنه كذلك قد سمع منه وكتب بين يديه وجهاً لوجه . .

وطبيعي أن هذا السبيل الذي مورس في جمع القرآن كان هو السبيل المثالي الذي لم يشوبه شيء من شبهة أو مثلية ، وقد ثمن أحد الكتاب المتأخرين هذا السبيل في الحفظ والجمع فقال : « تستطيع أن تقول من غير تردد أنه اتبع طريقة التحقيق العلمي المألوفة في عهدنا الحاضر ، وقد اتبع هذه الطريقة بدقة دونها كل دقة »^(٢٣) .

وقد تم لأبي بكر الصديق جمع القرآن كله في مكان واحد مرتب الآيات والسور في بحر سنة كاملة بسبب أن طلبه من زيد بن ثابت كان

(٢١) الإتقان في علوم القرآن - جلال الدين السيوطي .

(٢٢) تاريخ القرآن - إبراهيم الأبياري ، تاريخ القرآن - محمد طاهر الكردي .

(٢٣) الصديق أبو بكر - الدكتور محمد حسين هيكل .

عقب واقعة اليمامة » والمدة الفاصلة بين هذه الواقعة وبين ارتحاله لجوار ربه أو قرب هذا الارتحال هي سنة واحدة تقريباً « (٢٤) .

وهناك من قال بأن عملية الجمع هذه استغرقت حوالي السنتين أو الثلاث (٢٥) . .

هذا وقد كتب زيد القرآن كله بجميع أجزائه وأوجهه المعبر عنها بالأحرف السبعة (٢٦) . كما « ولم يسجل في المصحف إلا ما ثبت عدم نسخ تلاوته » (٢٧) وقد كتبه كما صرح هو به على قطع الأديم وكسر الاكتاف والسعف والقراطيس الخ .

ويمكن هنا تلخيص مهمة زيد بن ثابت التي تولي القيام بها في مهد أبي بكر فنقول انها « لا تعدو عن ضم ما تفرق هنا وهناك على نسق معهود له ولغيره من جمهور الحفظة » (٢٨) من الصحابة والقراء . .

والسؤال الذي يفرض نفسه هنا هو عن السبب الذي من أجله اختير زيد بن ثابت للقيام بالمهمة التي اضطلع بها بجمع القرآن دون غيره من كتاب الوحي والصحابة *منزلة تحقيق علوم رسول*

ان الجواب على هذا التساؤل قد كفاني مؤونة الإجابة عليه أحد الكتاب المتأخرين حيث يقول : « لما كان زيد شاباً فهو أقدر على العمل من غيره ، وهو لشبابه أقل تعصباً لرأيه واعتزازاً بعمله وذلك يدعو للاستماع لكبار الصحابة من القراء والحفاظ والتدقيق في الجمع دون ايشار لما حفظه هو ، وانه كذلك حضر العرضة الأخيرة للقرآن » (٢٩) .

(٢٤) مباحث في علوم القرآن - الدكتور صبحي الصالح .

(٢٥) دراسات في علوم القرآن - عبد القهار العاني

(٢٦) سيرد شرح الحروف السبعة في القرآن في نهاية هذا الكتاب .

(٢٧) التعبير الفني في القرآن - الدكتور بكري شيخ أمين .

(٢٨) نظرات في القرآن - محمد الغزالي .

(٢٩) الصديق أبو بكر - الدكتور محمد حسين هيكل .

هذا وسنلقي بعض الضوء على شخصية هذا الصحابي الجليل في
الفصل القادم . .

أما عن السبب الرئيسي الذي حدا بأبي بكر أو عمر (رض) إلى
عدم نسخ صور كثيرة مما كتب زيد بن ثابت فهو ان الصحف التي
اضطلع بكتابتها زيد اريد منها ان تكون وثيقة للتسجيل ليتمكن بعد ذلك
وحين الفراغ من حروب الردة وحرب الروم والفرس - أو عند الضرورة -
من نسخها بأكثر من صورة ، وقد تم ذلك بالفعل في عهد عثمان بن
عفان ، اضافة إلى عدم وجود خلاف يذكر في القراءات في ذلك الوقت
يتطلب العجلة في النسخ أو الإسراع في الجمع . .

ان الصحف التي جمعت فيها آيات القرآن الكريم قد وضعت لدى
أبي بكر الصديق انتظاراً لحلول وقتها وساعتها بعد أن شدت بخيط خشية
سقوط أو فقدان شيء منها ، وبعد وفاته (رض) سنة ١٣ هـ انتقلت هذه
الصحف إلى خلفه عمر بن الخطاب وظلت لديه حتى قرب انتقاله إلى
جوار ربه حيث ودعها حينذاك عند ابنته حفصة زوجة الرسول (ص) ولم
تحفظ لدى الخليفة الثالث عثمان بن عفان (ذي النورين) . .

والحقيقة بصدد الفقرة الأخيرة هو أن عمر بن الخطاب كان قد
وضع الصحف في أواخر حياته لدى ابنته حفصة وليس لدى خلفه عثمان
بسبب ان انتخاب هذا الخلف لم يتم بعد لأنه أثر ان يجعل أمر الخلافة
شورى من بعده ، ولاعتقاده كذلك بأن هذا الخلف - كائناً من كان - في
وسعه ان يستردها ويطلبها منها إذا تطلبت الحاجة اليها لأن الصحف هي
ملك لكل المسلمين وليس في وسع أحد أن يستأثر بها دونهم ، ولو
كانت ملكاً لأبي بكر - كما يقول البعض - لورثها ابناؤه من بعده ولم تصل
إلى عمر بن الخطاب أو تحفظ لديه ، فضلاً عن ان حفصة بنت عمر هي
زوجة رسول الله (ص) وانها كانت تعرف القراءة والكتابة (٣٠) . .

(٣٠) القرآن - محمد صبيح .

هذا وان إمام الهدى على بن أبي طالب - ع - قال بصدد جمعه للقرآن : بان حبيبي رسول الله (ص) كان قد « أوصاني انه إذا ما واريته في حضرة ان لا أخرج من بيتي حتى أولف كتاب الله فإنه في جرائد النخل واكتاف الإبل . . »^(٣١) وانه أقسم ألا يضع رداءه على ظهره حتى يجمع القرآن . .

وفي رواية أخرى ورد ان رسول الله (ص) قال لعلي : « يا علي ان القرآن خلق فراشي في الصحف والحريز والقراطيس فخذوه واجمعوه ولا تضيعوه كما ضيقت اليهود للتوراة »^(٣٢) . .

كما وينسب للإمام على قوله انه لو ثبت له الوسادة وعرف حقه لأخرج مصحفاً كتبه بيديه واملاه عليه رسول الله (ص) . .
لذا فما ان اكمل الامام مواراة ابن عمه (ص) والناس منصرفون إلى شؤون البيعة والخلافة حتى آلى على نفسه « ألا يرتدي برداء إلا للصلاة حتى يجمع القرآن في مصحف واحد ففعل »^(٣٣) وكان الرجل لباتيه فيخرج من غير رداء حتى يجمعه في مصحف واحد من الرقاع المتنوعة غير المنتظمة . .

وقد تم جمعه في ثلاثة أيام - وربما كان أكثر - وبأوراق مترابطة تشكل كتاباً بترابطها وتتابعها المنظم ، وقد وضعه - ع - في ثوب أصفر ثم ختم عليه فكان بذلك « أول مصحف في دنيا الاسلام جمع فيه القرآن من قلبه »^(٣٤) ومن تدوينه أيضاً ، بينما كان أبوبكر (رض) أول من جمع القرآن من الصحف والخشب والعسب والاكتاف . .

(٣١) تاريخ القرآن - أبي عبد الله الزنجاني ، تفسير العياشي - محمد بن مسعود العياشي ..

(٣٢) تاريخ القرآن - أبي عبد الله الزنجاني .

(٣٣) آلاء الرحمن في تفسير القرآن - الشيخ محمد جواد البلاغي ، الإتقان في علوم القرآن - جلال الدين السيوطي .

(٣٤) الفهرست - ابن النديم .

ولم يحفظ الامام علي بهذا المصحف في بيته أو يستأثره لنفسه دون جمهور المسلمين بل « أتى به علي جمل فقال لجماعة المسلمين هذا القرآن قد جمعته »^(٣٥) وكان - ع - قد « جزأ المصحف سبعة أجزاء »^(٣٦) ووضعه (جمعه) على ترتيب نزوله وتقدم منسوخه على ناسخه كما وقد كتب فيه تأويل بعض الآيات وتفسيرها بالتفصيل فضلاً عن الإشارة إلى عامه وخاصه ومطلقه ومقيده ومجمله وبينه ومحكمه ومتشابهه ورخصه وعزائمه وآدابه وسننه وأسباب نزوله . .

لذا فمصحف الامام علي - ع - لم يكن في الحق والحقيقة « أول مصحف جمع فيه القرآن »^(٣٧) في عالم الاسلام فقط بل هو أول تفسير له ، وليس هذا بمستكثر على الامام إذا ما علمنا بأنه - ع - كان قد « آمن بالاسلام ولما يمضي على نزول الوحي ٢٤ ساعة وانه شارك النبي (ص) في أول صلاة صلاها الله ، وكان معه في حله وترحاله عدا غزوة تبوك التي استخلفه فيها على المدينة »^(٣٨).

فليس غريباً ولا عجباً ان نرى الرسول (ص) يثمن كل هذه الجهود ويشكر كافة هذه المساعي فيوشح صدر الامام بوسام رفيع وكبير وهو وسام العلم والعمل خاتماً عليه وباحرف من نور مقولته الشهيرة التي تحدث بها الركبان وحفظها القاصي والداني وهي « انا مدينة العلم وعلي بابها » ناهيك عن الأوسمة والأنواط المختلفة الأخرى والتي يتعذر احصائها ويشق استقصائها . . لذا لم يعد بعيداً ولا مستغرباً ان نسمع الامام يخطب جماهير المسلمين وهو ملء الثقة واليقين والاعتزاز يخطبهم بقوله : « اني لاعرف ناسخه من منسوخه - يقصد القرآن - ومحكمه من

(٣٥) البحار - محمد باقر المجلسي .

(٣٦) تاريخ القرآن - أبي عبد الله الزنجاني .

(٣٧) موجز علوم القرآن - داود العطار .

(٣٨) علي والقرآن - محمد جواد مغنية .

متشابهه وفصله من فصاله وحروفه من معانيه والله ما من حروف نزل على محمد (ص) إلا واني اعرف فيمن نزل وفي أي يوم وفي أي موضع .

كما وليس عجباً أن نسمع حبر الأمة عبد الله بن عباس يقول : اعطي علي تسعة اعشار العلم وشارك الناس في العشر العاشر . .

أو ما جاء عن عبد الله بن مسعود من ان الرسول (ص) استدعى علياً - ع - فخلا به فلما خرج الينا سألناه ما الذي عهد به اليك يا علي فقال : علمني الف باب فتح لي من كل باب الف باب . .

وما روي عن أبي الطفيل انه قال : شاهدت علياً يخطب وهو يقول : سلوني قبل ان تفقدوني فوالله لا تسألوني عن شيء إلا أخبرتكم وسلوني عن كتاب الله فوالله ما من آية إلا وأنا أعلم بليل نزلت ام بنهار ام سهل ام في جبل . .

وما نقل عن غيره من انه سمع الامام علي يخطب في مكان آخر ويقول : « انه لو تكلم في الفاتحة من القرآن لحمل منها سبعين وقرا » .

وقد سألته مرة بعض الأصحاب بعدما لمس منه - ع - من نبوات صادقة ومن فنون الأدب والبلاغة والوان العلم والفقه ما اطاح بلبه وأخذ بمجامع قلبه سألته : لقد اعطيت يا أمير المؤمنين علم الغيب فضحك الامام وقال : ليس هو علم غيب وانما هو تعلم من ذي علم . .

هذا علماً بأن الصحابة كانوا « متفقين على ان علم القرآن مخصوص لأهل البيت ، إذ كانوا يسألون علي بن أبي طالب - ع - هل خصصتم أهل البيت دوننا بشيء سوى القرآن ، فاستثناء القرآن بالتخصيص دليل على اجماعهم بأن القرآن وعلمه وتنزيله وتأويله وتفسيره مخصوص بهم » (٣٩) .

(٣٩) مقدمة في تفسير الشهرستاني - هبة الدين الشهرستاني .

اضافة إلى ان « التفسير بالأثر والحديث النبوي من العلوم التي
تفرد بها البيت النبوي وعرف بها الأئمة قبل غيرهم » (٤٠).

لذا فكل « أحد من الناس ادعى انه جمع القرآن كله كما انزل إلا
كذب ، وما جمعه وحفظه كما نزله الله تعالى إلا علي بن أبي طالب -
ع - والأئمة من بعده » (٤١).

ومما تقدم يظهر بان مصحف الامام علي كان أول مصحف في
عالم الاسلام وقد طالما تأسف الأصحاب بعد ذلك علي عدم اطلاعهم
عليه أو تقبلهم له بعد ان عرض عليهم ووضع امامهم وجهاً لوجه . .

فهذا عبد الرحمن بن عوف يقول : « سألت عكرمة عن ذلك
الكتاب فلم يعرف » (٤٢).

وبعده قال محمد بن سيرين : « لو اصبحت ذلك الكتاب كان فيه
العلم » . .

فرحمك الله يا أبا الحسن وطبت حياً وميتاً واليك مني ومن ملايين
المسلمين الذين تمنوا بلوغ العصر الذي عشت ليغترفوا من فيض علمك
وبلاغتك وسيرتك الف تحية اكرام واعجاب وتقدير . .

هذا وكان هناك آخرون أيضاً بالاضافة إلى الامام علي قد نجحوا
ووفقوا في جمع القرآن في مصحف واحد ومكان واحد بعد وفاة الرسول
(ص) منهم أبي بن كعب وعبد الله بن مسعود وعبد الله بن عباس وأبو
موسى الاشعري والمقداد بن الأسود ومعاذ بن جبل وسالم بن معقل مولى
أبي حذيفة . . . وسنشير إلى بعضها بعد الفصل القادم .

ان المصاحف الأنفة الذكر كانت موزعة في الامصار والمدن

(٤٠) مقدمة تفسير شبر - للدكتور حامد حقني داود .

(٤١) الكافي - محمد بن يعقوب الكليني .

(٤٢) آلاء الرحمن في تفسير القرآن - الشيخ محمد جواد البلاغي .

الإسلامية « فأهل الكوفة كانوا يقرأون على مصحف عبد الله بن مسعود وأهل البصرة على مصحف أبي موسى الأشعري وأهل الشام بما فيهم أهل حمص على مصحف أبي بن كعب وأهل دمشق على مصحف المقداد ابن الأسود » (٤٣) . .

كما وقد كان ثمة خلاف بين هذه المصاحف « من جهة الأسلوب والترتيب والقراءة » (٤٤) وذلك لاجازة النبي (ص) لأصحابه تلاوة القرآن باللهجات التي درجوا عليها وأقراهم بهذه اللهجات أو بعبارة أخرى بهذه القراءات وفقاً لما تستطيعه السنتهم ، وكان (ص) يطمئن خواطرهم عند الاستفسار منه عن حقيقة قراءة غيرهم بقوله : « كلكم على صواب » (٤٥) ، فضلاً عن أن أهل كل قطر ومصر كان يشعر لمصاحفهم بقوة على حساب المصاحف الأخرى ويؤيد قراءاتهم على ما عداها . .

وهذا الخلاف الذي استفحل ونما بمرور الأيام هو الذي أدركه الصحابي الجليل والقائد المشهور حذيفة بن اليمان (٤٦) حين كان يجاهد في سبيل الله بين صفوف القوات الإسلامية في جبهة أذربايجان (شمال غرب إيران) وأرمينيا، فعند أوبة هذا الصحابي - رحمه الله - إلى الكوفة احاط أميرها وكان حينئذ هو سعيد بن العاص احاطه بالخطر الذي سيلحق ببيضة الاسلام من جراء اختلاف المسلمين في المصاحف وقراءاتها . .

(٤٣) الكامل في التاريخ - ابن الأثير .

(٤٤) تاريخ المصاحف العثمانية - محمد هادي معرفة .

(٤٥) المصحف الشريف - الدكتور محمد عبد العزيز مرزوق .

(٤٦) كان حذيفة بن اليمان العنسي صاحب سر رسول الله ومن أزهد الناس في الدنيا ، ويروى أن الرسول (ص) كان قد اجتريه بما كان وما يكون إلى أن تقوم الساعة بما في ذلك واقع وحقيقة كل صحابي وعاقبته المنتظرة . .

توفي - رحمه الله - في العراق عام ٣٦ هـ ودفن إلى جوار قبر الصحابي الجليل سلمان الفارسي في المدائن قرب بغداد وقبره هناك عامر ومفتوح للزوار . .

ثم توجه بعدها إلى المدينة المنورة ليفتح الخليفة عثمان بن عفان واقع الأمر ، فنهض الخليفة لهذا السبب ولغيره من الأسباب - كما سنشير إليه في الفصل القادم - نهض بجمع القرآن (وهو الجمع الثالث) ، كما وقام بعدها بتوزيع نسخ متشابهة منه على الامصار الاسلامية لتحل محل المصاحف المتداولة بهدف وضع حد لكل خصومة قد تطرأ أو خلاف قد يثار من جراء اختلاف المصاحف ، هذا الخلاف^(٤٧) الذي برز بسبب طول عهد الناس بالرسول (ص) والوحي والتنزيل وادى إلى ظهور ناشئة جديدة سببت الاختلاف في حروف الأداء ووجوه القراءة . .

فلنرى في الفصل التالي كيف قام عثمان بن عفان بهذه المهمة وكيف كان موقف المسلمين منها وكيف تقبلها الناس برحابة صدر وبسرور بالغ . .



(٤٧) نشير هنا إلى أن البعض يرى أن اختلاف المصاحف يعود إلى اجازة عثمان بن عفان لإعلام قريش من المهاجرين والانصار بالخروج إلى الامصار والبلدان بعد أن حظر عليهم عمر بن الخطاب هذا الخروج في حياته حيث « تفرق الصحابة في الامصار واشتدوا في ذلك ، فقرأ أهل كل مصر بقراءة من نزل بينهم من الصحابة والقراء » تاريخ الطبري - محمد بن جرير الطبري .

الجمع الثالث للقرآن

مركز تحقيقات الكمبيوتر علوم إيس دي



مرکز تحقیقات تکنولوژی علوم رایانه‌ای

قلنا في الفصل السابق ان حذيفة بن اليمان عندما عاد من حرب ارمينيا واذربايجان دخل على عثمان بن عفان قبل دخوله لبيته ليخبره بمخاوفه من اختلاف المسلمين في قراءة القرآن لأنه سمع أهل الشام الذين كانوا يقاتلون معه في صفوف الجيش الاسلامي سمعهم يقرأون بقراءة أبي بن كعب بينما كان يقرأ أهل العراق بقراءة عبد الله بن مسعود وغيرهم ممن كان معه يقرأون بقراءة أبي موسى الأشعري فتقرأ كل فئة بما لا تسمع به الأخرى من جهة حروف الأداء ووجوه القراءات حتى ان الرجل ليقول لصاحبه : إن قراءتي خير من قراءتك وأفضل من قراءتك مما سبب ودعا إلى ان يكفر بعضهم البعض ويلعن أحدهم الآخر . .

وطلب حذيفة من عثمان - بعد ان وصل الحال إلى هذه الدرجة من الحراجة والخطورة أن يدرك الأمة قبل أن تختلف في القرآن وتشتت بسببه أيدي سبأ وعلى غرار اختلاف اليهود والنصارى^(١) من قبلهم في كتبهم الدينية المنزلة عليهم^(٢) . .

(١) صحيح البخاري - محمد بن إسماعيل البخاري ، الفهرست - ابن النديم .

(٢) بصدد كتب اليهود والمسيحيين الدينية وأنواعها نقول :

« أ - المعروف عن أسفار العهد القديم عند اليهود إنها تنقسم إلى أربعة أقسام هي :

١ - القسم الأول : وهي كتب موسى (الاسفار الخمسة) وهي سفر التكوين أو الخلق وفيه ذكر خلق العالم وقصة آدم وحواء وأولادهما ونوح والطوفان وإبراهيم وإسحق ويعقوب ويوسف . . . وسفر الخروج أي خروج اليهود من

وبعد مضي فترة وجيزة على طلب حذيفة والتماسه هذا تسربت إلى عثمان أخبار مقلقة ومفزعة مفادها ان أهل حمص يزعمون ان قراءتهم خير من قراءة غيرهم وان أهل دمشق بدورهم يصوبون قراءتهم على ما سواها وهكذا الحال مع أهل الكوفة والبصرة حيث كان الرجل من أهل

مصر وفيه قصة موسى منذ ولادته وبعثته وفرعون وخروج اليهود من مصر وصعود موسى إلى الجبل وإرسال الألواح وسفر الاحبار (اللاويين) وفيه أحكام الفرائض والحدود وسفر العدد وبعضه في الشرائع والبعض في أخبار موسى وبني إسرائيل في القبة وقصته البقرة وسفر تثنية الاشتراع أي إعادة الناموس . .
٢ - القسم الثاني : وتسمى الأسفار التاريخية وعددها (١٢) سفر وهي أسفار يوشع والقضاة وراعوث وصموئيل (اثنان) والملوك (اثنان) وأخبار الأيام (اثنان) وعزرا وتحميا واستير . .

٣ - القسم الثالث : وتسمى أسفار الأناشيد (الشعرية) وعددها (٥) وهي سفر أيوب ومزامير داود وأمثال سليمان والجامعة من كلام سليمان ونشيد الأناشيد لسليمان . .

٤ - القسم الرابع : وتسمى أسفار الأنبياء وعددها (١٧) وهي أسفار اشعيا وأرميا ومراثي أرميا وحذقيال ودانيال ويوشع ويوثيل وعاموس وعويديا ويونس وميخا وناحوم وحبقوق وصفيا وحجي وزكريا وملاحي .

أما التلموذ فهو مجموعة من المناقشات الدينية وتاريخ لبعض رجال الدين ويضم أيضاً كثيراً من القوانين المدنية والعقوبات لفترة تمتد إلى ألف سنة ويقسم إلى قسمين :

- ١ - المشنا وكتبت باللغة العبرية .
- ٢ - الجيمارا وكتبت باللغة الارامية .
- ب - أما الاناجيل المعتمدة لدى المسيحية فهي (٤) : إنجيل متى وإنجيل مرقس وإنجيل لوقا وإنجيل يوحنا .

أما الاناجيل التي لا تعتمد الاكثرية ويوثقها البعض فهي : إنجيل برنابا وإنجيل الحوارى يعقوب وإنجيل الحوارى توماس وإنجيل القديس نيكوديم وإنجيل نلامس (السبعين) وإنجيل الاثني عشر وإنجيل التذكرة وإنجيل العبريين (الناصريين) وإنجيل ديسان وإنجيل ماني وإنجيل مرقيون (مرسيون) وإنجيل الابيونيين ، الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام - الدكتور عبد الواحد وافي .

هذه المدن يقرأ القرآن الكريم فيقول له الآخر : كفرت بما تقول وتقرأ . .

فكر عثمان بن عفان في الأمر ملياً وقلبه على كافة وجوهه ، ولما يمضي إلا أيام وليالي وهو في غمرة دراسة الموضوع وما يمكن اتخاذه من حلول جذرية لقطع دابر الفتنة والحفاظ على القرآن دون ان يتطرق إليه شيء من التحريف أو الزيادة أو النقصان « لا سيما وانه ادرك ان العرب لا يستمرون عرباً على الاختلاط والفتوح وان اللسان تتقل واللغات تختلف فان أمن في عصره لم يدر ما يكون بعد عصره »^(٣).

أجل إذ هو في غمرة دراسة الموضوع وإذا بمعلومات وأنباء جديدة ومفزة ترده وتطرق اسماعه وخلاصتها هو اختلاف المعلمين مع طلابهم من قلب المدينة المنورة نفسها وتطور هذا الاختلاف إلى نزاع وقاتل مسلح شهرت فيه المدى واستعملت السكاكين .

وعند البحث والتحقيق في الأمر ظهر له واضحاً وتجلي « ان الدافع الرئيسي والأوحد في هذا النزاع هو قراءة القرآن وحرص كل فئة من اطراف النزاع على تصويب قرائتها وترجيحها على الأخرى »^(٤).

وبعد كل هذه الوقائع والأحداث المتتالية والتي استأثرت من عثمان ابن عفان كل تفكيره ووقته وطد العزم على أمر هام - وقبل ان يستفحل الداء ويعز الدواء - وهو جمع الناس على مصحف واحد بلغة قريش وهي التي نزل بها القرآن مفصلاً عن هذا بقولته الشهيرة : « انتم عندي في المدينة مختلفون فيه فتلحنون فمن نأى عني من الامصار كان أشد اختلافاً وأكثر لحناً يا أصحاب محمد اجتمعوا فآكتبوا للناس اماماً » . .

ولهذا السبب سمي مصحف عثمان بعد نسخه بـ « المصحف

الامام » . .

(٣) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية - مصطفى صادق الرافعي .

(٤) تاريخ القرآن - محمد طاهر الكردي .

هذا ولم يكن عثمان لينفرد بجمع القرآن أو يتخذ بشأنه هذا القرار الخطير من دون استشارة أو مشاركة كبار الصحابة وأصحاب الحل والعقد ممن عاصر الرسول (ص) وسمع حديثه وخصوصاً امام الهدى علي بن أبي طالب والذي سبق لسلفه - أي عمر - ان كان يفزع إليه ويشاوره في كل أمر خطير فكان يجد في الامام الاستجابة الكاملة والنصح والعون التامين ..

لذا فقد دعا عثمان جمهوراً من أصحاب رسول الله وفي طليعتهم الامام علي وتدارس الموضوع معهم ومن كافة اطرافه وطلب منهم الحل والمشورة ازاء توحيد القرآن الكريم ليكون اصلاً للقراءة والكتابة يرجع إليه عند الحاجة ولقطع دابر كل خلاف أو نزاع قد يحدث بين المسلمين في اقطار الأرض بشأن قراءته ..

ولم يكن جواب الأصحاب إلا الاستحسان والتأييد المطلق لهذه الفكرة ومشيرين عليه بفكرة الرجوع إلى الصحف الأولى التي جمعت في عهد أبي بكر الصديق (رض) وانتقلت أخيراً إلى يد حفصة بنت عمر لاعتمادها عند النسخ وان يأخذ الناس بها ويجمعها عليها ، فضلاً عما اظهره الأصحاب من استعدادهم الكامل لوضع كل امكانياتهم من أجل تحقيق هذه الفكرة وبراها إلى عالم النور والواقع ..

لذا فقد عدّ جمهور من الرواة والمؤرخين « ان جمع القرآن هذا - الجمع الثالث - واستنساخه في المصاحف والذي تولاه عثمان كان بتشجيع من الامام علي - ع - وبموافقته »^(٥) و « باتفاق منه »^(٦) حتى ان قسماً من هؤلاء الرواة قد نقلوا عن لسان الامام علي قوله : « لو لم يفعل عثمان هذا الشيء لفعلته انا ، فوالله ما فعل الذي فعل (عثمان) في المصاحف إلا عن ملأ منا »^(٧).

(٥) تاريخ القرآن - أبي عبد الله الزنجاني .

(٦) التبيان في آداب حملة القرآن - يحيى شرف الدين النووي .

(٧) المصاحف - السجستاني .

فموقف الامام علي هذا ما هو في الحقيقة والواقع إلا « حرص منه - ع - على الالتزام بالمقرر وفق الرسم العثماني تحفظاً وابقاء على الترابط الإسلامي المتوحد في ظل وحدة الكتاب الأمر الذي ينبىء عن بعد نظر الامام علي وغور فكره عند دروس القضايا العامة ليختار الوجه الأصح مهما كلف الأمر من توضيحات »^(٨).

بعد ارفضاض المشاورات والمداولات الأنفة الذكر والتي انتهت بدعم فكرة توحيد المصاحف ، بادر عثمان بن عفان بطلب الصحف المحفوظة لدى حفصة بنت عمر لغرض استنساخها في المصاحف وقطع لها عهداً باعادتها إليها حال الفراغ منها ومن دونما ابطاء أو تأخير . .

لبت حفصة الأمر وارسلت الصحف برمتها إلى الخليفة عثمان ، فأمر الخليفة بتأليف لجنة رباعية برئاسة زيد بن ثابت (من الأنصار) وعضوية كل من عبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام (الثلاثة من قريش - المهاجرين) وخولها صلاحية ممارسة كافة الحقوق والصلاحيات من أجل « اخراج نص مكتوب - للقرآن الكريم - من الصحف المحفوظة لدى حفصة أم المؤمنين »^(٩) وبعده نسخ . . .

بدأت اللجنة مهمتها على الفور مستعينة بالله تعالى ومستمدة العزم والدعم من جموع المسلمين وعلى الخصوص أهل الحل والعقد منهم . .

وقيل هنا أن عثمان بن عفان سأل عن اكتب أعضاء اللجنة واعربهم فقليل له : ان اكتبهم هو زيد واعربهم سعيد ، فقال ليكتب زيد وليملى سعيد . .

(٨) تاريخ المصاحف العثمانية - محمد هادي معرفة .

(٩) المصحف الشريف - الدكتور محمد عبد العزيز مرزوق .

والمقصود من الكتابة هنا هو معرفة قواعد الكتابة وحسن الخط ،
كما وان المقصود من الاعراب هو الفصاحة والبلاغة ..

كما وكان عثمان بن عفان قد أشعر القرشيين الثلاثة من أعضاء
اللجنة عند بدأ النسخ بانه اذا ما اختلفوا وزيد بن ثابت في شيء من
رسم كتابة القرآن فليكتبوه بلسان قريش لأن القرآن نزل بلسانهم ففعلوا
ذلك .

ويروى هنا - انه خلال عملية النسخ - « لم يختلف زيد بن ثابت
وسعيد بن العاص في شيء من القرآن إلا في حرف واحد من سورة
البقرة عند قوله « ان آية ملكه ان يأتىكم التابوت »^(١٠) فقال زيد نكتب
« التابوه » بينما أصر الآخرون على كتابة « التابوت » وعند عرض الحال
على عثمان أثر كتابة اللفظ الثاني لأنه بلسان قريش فثبت في
المصحف »^(١١) .

هذا وبعد انتهاء اعمال اللجنة ظهر انها نسخت خمسة أو أربع أو
سبع^(١٢) مصاحف متشابهة حيث أرسل عثمان بمصحف واحد إلى كل بلد
ومصر اسلامي وقد فصلها البعض فقالوا : بان عثمان « قد احتفظ بواحد
من هذه المصاحف في المدينة بينما أرسل البقية إلى البصرة والكوفة
ومكة والشام ، ومن قال بأن اللجنة نسخت سبع مصاحف فقد أرسلت
خمسة إلى الامصار السابقة وأرسلت بالاضافة إلى ذلك نسخة إلى اليمن
وأخرى إلى مصر »^(١٣) وقيل إلى البحرين أيضاً .

(١٠) البقرة - ٢٤٨ .

(١١) الإتقان في علوم القرآن - جلال الدين السيوطي .

(١٢) إن العلة في اختلاف عود المصاحف يرجع إلى الرواة حيث اعتمدوا تعداد
المصاحف على الامصار التي أرسلت إليها هذه المصاحف ، حيث ربما أرسل
مصحف واحد إلى مصرين مثلاً ، فالراجع أن المصاحف خمسة بعدد الحفاظ
الذين أرسلوا معها ..

(١٣) تاريخ القرآن - محمد طاهر الكردي .

/ويقال ان عثمان قد ارسل مع كل مصحف صحابي يرشد الناس إلى قراءته وما يحتمله رسمه منها مما صح وتواتر فكان « عبد الله بن السائب مع المصحف المكي والمغيرة بن شهاب مع المصحف الشامي وأبو عبد الرحمن السلمي مع المصحف الكوفي وعامر بن عبد القيس مع المصحف البصري ، بينما طلب زيد بن ثابت ان يقرأ الناس بالمصحف المدني » (١٤).

وهكذا « تلقت الامصار الاسلامية المذكورة المصحف مكتوباً ومعه صحابي يتلوه على الناس ، صحابي تلقاه بدوره من فم النبي - ص - » (١٥).

وبقدر تعلق الأمر بعدد المصاحف التي استنسخت والجهات التي ارسلت اليها فلا نعرف على وجه الدقة السبب الحقيقي الذي من أجله لم يرسل عثمان لكل بلد اسلامي بمصحف أو بأكثر من مصحف ..

والظاهر هنا ان عدم ارسال اعداد كثيرة من المصاحف إلى كافة البلدان الاسلامية وانما اكتفى عثمان بن عفان ارسال نسخة واحدة منه فقط إلى بلدان معدودة يعود إلى قلة النسخ أولاً وإلى عدم توفر الورق لديهم بكثرة ثانياً .

اما بصدد اللجنة وكيفية تشكيلها ورئاستها والتي سبق ان شكلت - كما قلنا - على النحو التالي :

زيد بن ثابت	رئيساً (الأنصار)
عبد الله بن الزبير	عضواً (المهاجرون)
سعيد بن العاص	عضواً (المهاجرون)
عبد الرحمن بن الحارث بن هشام	عضواً (المهاجرون)

(١٤) تاريخ القرآن - محمد طاهر الكردي .

(١٥) المصحف الشريف - الدكتور محمد عبد العزيز مرزوق .

فيظهر انه لم تتوفر الأسباب الخفية و « الحقيقية التي دعت عثمان لاختيار القرشيين الثلاثة إلى جانب زيد بن ثابت في اللجنة »^(١٦) إذا ما علمنا بان هذا الجمع للقرآن لا يعدوا عن كونه كتابة ما في الصحف المحفوظة لدى حفصة أم المؤمنين في المصاحف المتعددة فقط . .

فبصدد سعيد بن العاص فقد كان منذ عام ٢٩ هجرية أميراً على الكوفة ولا نعلم هل استدعي إلى المدينة للمهمة المذكورة ام كان وجوده فيها صدفة فأختير لعضوية اللجنة ، كما لو نعلم عن القرشيين الآخرين سبباً وجيهاً لدعوتهم للاشتراك في هذه اللجنة . .

وكلما قيل بشأن هؤلاء الثلاثة هو ان السبب الرئيسي لاختيارهم يرجع لمعرفتهم بلسان قريش أو أنه يعود لأجل مساعدة زيد في الكتابة والنسخ ، فضلاً عن ان أعضاء اللجنة يجمعون بين الشباب والكهولة فالشباب يمثلون العزيمة والنشاط ، والكهول يختارون للتجارب والخبرة ونضوج الفكر . .

هذا وان « المادة التي نسخت عليها المصاحف فهي الرقوق المصنوعة من الجلد الذي يهذب ويعالج بالصناعة حتى يصلح لما يراد له من الكتابة عليه ، وفي ذلك يقول القلقشندي في صبح الاعشى واجمع الصحابة على كتابة القرآن في الرق لطول بقائه ولأنه المتوجود عندهم حينئذ أكثر من غيره »^(١٧) . .

وبعد هذا يمكن اختصار وحصر المراحل والادوار الثلاثة لجمع القرآن من صدور المسلمين وكتابتهم إلى المصحف العثماني فنقول :
انه قد تم في المرحلة الأولى الجمع وهو عبارة عن « كتابة الآيات وترتيبها ووضعها في مكانها الخاص من سورها مع بعثرة هذه الكتابة

(١٦) نظرة عامة في تاريخ الفقه الإسلامي - الدكتور علي حسن عبد القادر .

(١٧) المصحف الشريف - الدكتور محمد عبد العزيز مرزوق .

وتفرّقها في العسف والعظام والجلود والصحف»^(١٨) وقد تم كل ذلك
وجرى في عهد الرسول (ص) . .

اما المرحلة الثانية فقد تم فيها التنسيب والتبويب (في كتاب) وهو
عبارة عن نقل القرآن وكتابته في مصحف مرتّب الآيات مع الوثوق من
تواترها ، وقد جرى هذا في عهد أبي بكر الصديق (رض) . .

والمرحلة الثالثة والأخيرة فقد كانت مرحلة الالتزام والنشر بعد نقل
ما في الصحف المشار اليها في مصحف امام واحد مع ترتيب سور
وآياته واستنساخ مصاحف عديدة ارسلت إلى الاطراف الاسلامية وكانت
كل هذه قد جرت في عهد عثمان بن عفان وفي حوالي عام ٢٥
للهجرة . .

هذا وقيل بصدد المصاحف التي استنسخت - في عهد عثمان - انه
قد وجد اختلاف بسيط ما بين حروفها وانها « لم تكن متشابهة
١٠٠٪ »^(١٩) و « لا متطابقة تماماً »^(٢٠) وان اتفقت في المعنى . .

ولتعليل هذه الظاهرة قيل ان عثمان بن عفان لما جمع القرآن في
المصاحف ونسخها على شكل واحد وأثر في رسمها لغة قريش دون
غيرها ، برزت بوجهه مشكلة حروف القرآن - ولما ثبت لديه ان هذه
الحروف هي من عند الله تعالى وان جمعها في مصحف واحد غير ممكن
إلا باعادة الكلمة لاكثر من مرة ، لذا أثر توزيعها وتفريقها في المصاحف
المرسلة إلى الأقطار الاسلامية فجاءت مثبتة في بعضها ومحذوفة من
البعض الآخر وذلك لكي تحفظها الأمة^(٢١) كما نزلت من عند الله تعالى
وعلى ما سمعت من فم رسول الله (ص) . .

(١٨) نظرات في القرآن - محمد الغزالي .

(١٩) تاريخ القرآن - محمد طاهر الكردي .

(٢٠) تاريخ القرآن - الدكتور عبد الصبور شاهين .

(٢١) قيل أن عثمان كان يتحاشى أن يكتب أكثر من رسم واحد في مصحف واحد
خشية أن يتوهم بأن اللفظ قد نزل مكرراً ، أو أن يكتب احد الالفاظ في الأصل

كما وقد ذهب البعض إلى خلاف هذا القول حيث اشاروا^(٢٢) إلى ان جمع عثمان بن عفان كان بحروف واحد وهو لغة قريش بينما كان جمع أبي بكر الصديق من قبل بجميع الأحرف السبعة . .

كما ونجد هناك رأي ثالث يذهب إلى ان : « تسجيل ما سجل من القرآن في عهد النبي (ص) باملاته على كتاب الوحي - في أكثر النص ان لم يكن في جميعه - كان بحرف واحد وبصورة واحدة خالية من الزيادة أو النقص أو التبديل أو التناقض مما تحتمله أو لا تحتمله رخصة الأحرف السبعة أو ترتب على فهم بعضهم لها أو استند اليها »^(٢٣) وسنشير إلى حروف القرآن في فصل خاص بنهاية الكتاب . .

هذا وبعد ان أرسل عثمان بن عفان المصاحف إلى الحواضر الاسلامية طلب من الولاة والمسلمين فيها ألا يعتمدوا على شيء من آيات الله البينات إلا على ما ورد في هذه النسخ الرسمية المرسلة اليهم ، كما وأعلمهم بانه قد محا وأحرق ما عداها من الصحف والآيات فعليهم بدورهم إما ان يرسلوا اليه المصاحف المتواجدة عندهم لأحراقها أو محوها وإما ان يتولوا هم بأنفسهم مهمة محوها أو احراقها . .

وقد لبى المسلمون هذا النداء « فأحرق كل امرئ ما كان عنده مما يخالفها - المصاحف - ترتيباً أو قراءة واطبق المسلمون على ذلك النسق وذلك الحرف »^(٢٤) . .

وبشأن حرق عثمان للصحف والمصاحف - عدا تلك الصحف التي استنسخ من عليها واعادها إلى أم المؤمنين حفصة - فقد اعترض

والبقية في الحاشية لثلاثتهم أن الثاني هو تصحيح للأول أو أنه ترجيح في حين أنه بلا مرجح - علوم القرآن - أحمد عادل كمال .

(٢٢) مباحث في علوم القرآن - مناع القطان .

(٢٣) تاريخ القرآن - الدكتور عبد الصبور شاهين .

(٢٤) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية - مصطفى صادق الرافعي .

على خطوته هذه جملة كبيرة من رجالات المسلمين وسموه بسببها « حراق القرآن » وكانت وجهة نظرهم انه اذا كان لا بد من اتلاف هذه الصحف والمصاحف فلا أقل من ان تمحى وتغسل بالماء أو يتولى قارب صغير نقلها إلى عرض البحر الأحمر (القلزم) المجاور لالقائها هناك لتختفي إلى الأبد في أعماقه . .

ورغم وجاهة هذه النظرة إلا اننا نرى هنا وفي نفس الوقت من تقبل هذه الفعلة - الحرق - وباركها لانها برأيهم أحسن وسيلة لجعل آيات القرآن لا تستعمل وما في هذا الاجراء من قطع واستئصال لدابر ما قد يحدث مستقبلاً من خلاف أو نزاع في حالة بقاء شيء من هذه الآيات مسجلة وسالمة . .

وأضاف هؤلاء حجة أخرى هو انه إذا كان قول الفئة الأولى وهو حرمة حرق القرآن لكونه يضم آيات الله الحسنى واسماء انبيائه ورسوله فإن غسل هذه الصحف أو محوها - كما طالبت به - هو كالحرق من جهة ازالة هذه الاسماء ومسحها ، وإذا كان الحرق هنا اشد وطأة ووقعاً - كما تقول الفئة الأولى - إلا ان المعصية والإثم هما حرامان عند الله سواء كان هذا كبيراً أو دونه حيث ان الرسول (ص) كان يقول في أكثر من مرة : « لا تنظر إلى نوع المعصية ولكن انظر إلى من تعصيه » . .

وللفئتين المتقدمتين بصدد الحرق أو الغسل مبررات وحجج واثباتات أخرى ينتصران بها ولا مجال لإيرادها بعد ان تم سرد اهمها وأوجهها . .

أما بصدد الصحف التي اعيدت إلى أم المؤمنين حفصة بنت عمر بعد ان جرى استنساخ القرآن الكريم من عليها ، فهذه الصحف تعد - بحق - مرجعاً من مراجع المصحف العثماني وسنده الأول ان لم يكن الأوحيد ولم يمسه عثمان بن عفان بشيء بل بقيت محفوظة لديها - حفصة - حتى ولاية مروان بن الحكم على المدينة عام ٤٧ أو ٤٨ هجرية

حيث طلبها الأخير منها فأبت باصدار وقوة ان تعطيه ولو بعضها خشية احراقها أو إتلافها . . ولكن لما انتقلت إلى جوار ربها عام ٤٩ هجرية تنفس مروان الصعداء وارسل على الفور من يأتي بها إليه ، فقام عبد الله ابن عمر بإستخراجها جميعها من بيت أخته حفصة وسلمها إليه ، وقام مروان بدوره باحراق هذه الصحف أو بشقها . .

وينقل عن لسان مروان قوله بهذا الشأن انه « انما فعل هذا لأن ما فيها قد كتب وحفظ بالمصحف فخشي ان طال بالناس زمان ان يرتاب في شأن هذه الصحف مرتاب ويقول انه قد كان شيء منها لم يكتب » (٢٥).

هذا وقد انصاع المسلمون في كافة الامصار لمصحف عثمان وتلقوه بالقبول واتفقوا على العمل به رغم ان عثمان لم يكن عنيفاً ولا شديداً كسلفه ، وما هذا الانصياع والرضاء التام إلا « لأن المصاحف المرسلة من قبله قد خرجت عن اجماع واتفاق اطمأنت إليه القلوب والعقول » (٢٦) وارتضته النفوس وباركه الأصحاب ورجالات المسلمين حتى ان الجميع قد اتفقوا على ان « من نقص حرفاً واحداً قاصداً لذلك أو بدله بحرف آخر مكانه أو زاد فيه حرفاً مما لم يشتمل عليه المصحف فقد كفر » (٢٧).

هذا ونحب هنا ان نسجل ولو شيئاً يسيراً عن الصحابي الجليل زيد بن ثابت (٢٨) ، فنحن إذ نثمن جهود هذا الصحابي الكبير وارادته التي لا

(٢٥) المصاحف - السجستاني .

(٢٦) تاريخ القرآن - إبراهيم الأبياري .

(٢٧) القراءات واللهجات - عبد الوهاب حمودة .

(٢٨) هو زيد بن ثابت بن الضحاك الأنصاري الخزرجي ولد في المدينة ونشأ بمكة وهاجر مع النبي (ص) وعمره ١١ سنة ، ويقال إنه شهد واقعة احد واستصغر يوم بدر ، وقيل إن أول مشاهدته الخندق وقد كتب الوحي وغيره للرسول (ص) ، استخلفه عمر بن الخطاب على المدينة ثلاث مرات ، فكان عمره عند الجمع =

تقل عند جمع القرآن من صدور الناس وكتاباتهم (الجمع الثاني) أو عند استنساخ المصاحف التي وزعت على الأمصار (الجمع الثالث) من دون أن يؤثر عليه أحد أو يفرض عليه اتجاه خاص بل نراه سار في طريق مستقيم حددت له معالمه الشريعة الغراء من دون أن ينحاز لهذه الفئة أو يعادي تلك . .

فناه - مثلاً - يقبل ويرحب بحرارة ما جاء به خزيمة بن ثابت الانصاري أو أبو خزيمة (ذو الشهادتين) من آية أو آيات ، بينما يرفض باصرار وعناد ما أورده الخليفة عمر (رض) بصدد آية الرجم المشار ذكرها آنفاً . رغم أن الأخير هو الأمر والنهي وييده السلطة والسلطان ، وأن الأول لا يتعدى عن أن يكون فرداً من سواد المسلمين لا تتجه إليه الأنظار ولا يملك من أسباب القوة والإكراه ما يمكنه من فرض حرف واحد ناهيك من آية كاملة أو عدة آيات .

ونحن إذ نثمن هنا كل هذه المآثر التي اتصف بها زيد بن ثابت الانصاري لنعتقد جازمين بأن المجتمع الإسلامي في كل عصر ومصر - ولا سيما في هذا العصر الموشوم بعصر النور والالكثرون - لا يعدم أشخاصاً كثيرين ويعدون بالمئات - بل بالآلاف - يناظرون زيدا ويضاهونه في صلب العقيدة وعمق الفكرة ويحملون بين ثنايا صدورهم افئدة وقلوباً نابضة لها نفس الطاقة والحيوية التي كانت له ، وفي مكتهم أن يقوموا بنفس دور زيد وزيادة . .

أن هذه الطاقات وهذه العزائم ستتحرك - لا محالة - عندما تدق ساعة العمل ومتى ما وجدت الطرق والسبل امامها ممهدة وسالكة فحينئذ ستأتي بالمستحيل وتبني المعجزات بسبب أن الايمان واليقين يصنع

= الثاني ٢٢ سنة وعمره عند الجمع الثالث ٣٥ سنة - توفي - رحمه الله - في المدينة عام ٤٥ هجرية عن عمر ٥٦ أو ٥٤ سنة .

العجائب ويخلق رسائل النجاح ولو من بين طيات العدم واليأس^(٢٩) . .

اننا هنا عندما ذهبنا إلى الاشادة بجهود زيد بن ثابت وتثمين اتعابه في جمع القرآن لم نعدم في نفس الوقت من يؤاخذه ومن لا يتفق أو يلتقي معه في بعض الأمور . . ونحمد الله - الذي لا يحمد على مكروه سواه - على أن هذه المؤاخذة لا تمتد إلا إلى أمر جانبي واحد أو اثنين لا ثالث معهما ، وهو أمر - من بعد ذلك - لا منفذ من ورائه للنزاع أو الصيد في الماء العكر .

فمن يؤاخذ زيد على شيء يتفق معه ومع عامة المسلمين في المشرق والمغرب أولاً بان القرآن الكريم هو الذي نجده بين الدفتين بدون زيادة من سورة ولا آية من بسملة وغيرها ولا كلمة ولا حرف واحد^(٣٠) ولكن هذا الاتفاق واللقاء لا يبرر - لديهم - عدم وجود تقديم أو تأخير في بعض الآيات - لا كلها - أي نقل بعض الآيات من أماكنها الطبيعية واتمامها بين آيات أخرى من القرآن لسبب مقصود أو بدونه . .

ان خير مثل يورده هؤلاء هنا بصدد التقديم أو التأخير هو قوله تعالى في سورة الأحزاب ﴿ إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا ﴾^(٣١) .

فآية التطهير هذه قد اقحمت عند جمع القرآن - برأي هؤلاء - بين

(٢٩) نشير هنا إلى أن العرب عند نزول الرسالة الإسلامية رغم قلة عددهم وشحة أسلحتهم وذخيرتهم تمكنوا بالإيمان والعقيدة الراسخة من تحرير الامبراطوريتين الفارسية والرومية وتقويض أركانها وتمزيق جيوشها وإدخال الدين الحق إلى ربوعهما ليحل مكان العقائد والأديان السائدة فيهما . .

(٣٠) من الطبيعي أنه رغم تعدد المذاهب الإسلامية بل تعدد المذهب الواحد وما بين بعضها من فروق كبيرة أو صغيرة إلا أنه لولا حفظ الله تعالى لكتابه وكونه المعجزة الدائمة لما بقي منه بعد ذلك من حرف واحد فضلاً عن ان يبقى بكامله على الحرف الواحد الذي لا يمسه الباطل من بعيد أو قريب . .

(٣١) الأحزاب : ٣٣ .

آيات يخاطب الله تعالى فيها النساء - نساء النبي - مورداً فيها جميعاً صيغ
وعلامات التأنيث نحو « كتنن ، تعالين ، امتعكن ، منكن ، اتقيتن ،
تخضعن ، قلن ، قرن ، اقمن ، آتين ، اذكرون » بينما آية التطهير
المتقدمة تدل من الفاظها وجملها انها تخاطب الذكور دون الاناث وانها
لا تنسجم مع طبيعة وشكل الآيات التي تتقدمها أو تليها مباشرة . .

علماً بأن آية التطهير هذه سواء أكان محلها في غير هذا المكان أو
هذا المكان في القرآن الكريم لا تعني من صياغتها - كما يظن - انها
تنصرف فقط إلى الرجال دون النساء بل هي عند الجميع تخص الطرفين
لأن أهل البيت - ع - منهم الرجال ومنهم النساء . وانما الخلاف فيها يكمن
في محلها الصحيح من القرآن . .

كما يورد هؤلاء أيضاً مثلاً آخر هو أن الآيات الكريمة (٢٠ إلى
٢٥) من سورة الروم تبدأ كلها بقوله تعالى « ومن آياته . . . » ثم تأتي
بعدها الآية (٤٦) من نفس السورة لتحمل قوله تعالى « ومن آياته »
حيث يقولون ان الآية الأخيرة كان مكانها عقب الآيات الستة الأولى
المتتالية إلا انها أخرت إلى هذا المكان عند الجمع الثالث . .

وأما بصدد تقديم بعض السور أو تأخيرها فيقول البعض بان
« ترتيب السور في المصاحف العثمانية كان بأمر واجتهاد ممن
جمعها »^(٣٢) وأن « نزول السور لم يكن وفقاً لترتيب المصحف
اليوم »^(٣٣) حتى ان أحد الكتاب المعاصرين تمنى « لو أن عثمان كان قد
جمع القرآن حسب تاريخ نزول السور لكان ذلك مفيداً ونافعاً »^(٣٤) . .

(٣٢) البرهان في علوم القرآن - بدر الدين الزركشي ، علوم القرآن - أحمد عادل
كمال ، إعجاز القرآن - مصطفى صادق الرافعي .

(٣٣) فوائد قرآنية - أحمد خيرى .

(٣٤) القرآن - محمد صبيح .

وكل هؤلاء يتخذون من اختلاف ترتيب السور في مصاحف كبار الصحابة كإمام الهدى علي بن أبي طالب - ع - وعبد الله بن عباس وأبي ابن كعب وعبد الله بن مسعود ومعاذ بن جبل وغيرهم ، اختلاف ترتيب سور هذه المصاحف عن المصاحف العثمانية خير دليل يعزز قولهم ، حيث ان ترتيب السور كان عند الامام علي اساس التنزيل حيث تبدأ بسورة اقرأ والمدثر والمزمل الخ وعند ابن مسعود يبدأ المصحف بسورة البقرة ثم النساء فال عمران ، وعند أبي بن كعب يبدأ بسورة الفاتحة فالبقرة فالنساء وآل عمران الخ

« وسواء أكان ترتيب السور في المصحف العثماني توقيفياً أم اجتهادياً فإنه ينبغي احترامه والالتزام به ولا سيما في كتابة المصحف لأنه اجماع منذ عهد الصحابة إلى الآن - والاجماع حجة - ولأن خلافه يجر إلى فتنة ودرءها واجب ، اما ترتيب السور في التلاوة فهو مندوب - مستحب - وليس بواجب » (٣٥)

هذا وسنلقي الضوء في الفصل القادم على بعض مصاحف كبار الصحابة ممن عاصر رسول الله (ص) وسمع قوله لمكانتها التاريخية ولنرى مدى مطابقتها للمصحف العثماني والذي فرغنا من تبيانه في هذا الفصل . .

(٣٥) علوم القرآن - أحمد عادل كمال ، تاريخ القرآن والتفسير - الدكتور عبد الله محمود شحاته .

مصحف في التاريخ

مركز بحوث الكمبيوتر في الدراسات الإسلامية



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

اشرنا في فصل الجمع الأول للقرآن إلى ان الأصحاب كانوا يتنافسون في استظهار آيات الله وحفظها ومدارستها ويتسابقون إلى فهمها وهضمها وجمع كل أو قسم من الآيات الكريمة في مكان واحد ، وبوفاة الرسول (ص) وانقطاع الوحي سعى بعض هؤلاء لجمع كل ما سمعوه في مصحف واحد ، لذا جاء كل مصحف مرتباً وفقاً لما سمعه صاحبه من رسول الله (ص) أو لما ارتاه موافقاً للحقيقة والواقع . .

وحيث ان هذه المصاحف ليست بأيدينا الآن - ليتمكن تبيانها بصورة واضحة - بل هي في رحاب التاريخ لذا أشرنا ان نمر عليها ونتناولها بعض الشيء - عبر الكتب التي تناولتها - لنرى واقعها ومدى موافقتها أو اختلافها عن المصاحف العثمانية . .

فبقدر تعلق الأمر بمصحف الامام علي فقد اشرنا من قبل إلى ان الامام - ع - كان قد اعتكف بعد وفاة الرسول (ص) في بيته يجمع القرآن في مصحف واحد بعد أن أقسم ألا يضع رداؤه على ظهره حتى يجمع القرآن وانه قد انتهى هذه المهمة في فترة جد قصيرة وفي هذا يقول ابن أبي الحديد المعتزلي بان « الكل اتفق على ان علي كان يحفظ القرآن على عهد رسول الله (ص) ولم يكن غيره يحفظه ثم أول من جمعه » وان المصحف الذي نسخه وعدد آياته لا يكاد يختلف في كثير أو قليل من ذاك الذي نسخه عثمان فيما بعد ، حيث ان الامام علي - ع - كان

« حريصاً على سلامة النص القرآني على ما هو عليه في رسم عثمان زاجراً كل من يريد المساس بهذا الرسم »^(١).

ان الدليل القاطع على صحة هذا القول - عدم اختلاف مصحف علي عن مصحف عثمان - هو انه لو كان هناك ادنى تحريف أو نقص أو زيادة أو تغيير في مصحف عثمان لما سكنت عنه الامام - ع - سواء أكان ذلك قبل ان يصل إلى الخلافة أو عند تشرفها به وحين باتت كافة الامصار الاسلامية تدين له بالولاء والطاعة عدا زمرة الانفصال في الشام بقيادة معاوية بن أبي سفيان . .

اقول لما سكنت الامام وهو الذي يعرفه العدو قبل الصديق انه الفارس المقدام والمواطن المسلم الأول الذي يجهر بالقول ولا يهمس به ومن ثم فهو لا يصبر على ضيم ولا يهادن في دينه ابداً ، حيث نراه قد أمر بارجاع كافة القطائع التي اقطعها عثمان وقال في هذا المعنى : « والله لو وجدته قد تزوج به النساء وملك به الإماء لرددته فان في العدل سعة ومن ضاق عليه العدل فالجور عليه اضيق » . .

فإذا كان موقف الامام من الأموال كما سمعنا ، فكيف سيكون موقفه من القرآن لو كان فيه شيء من التحريف ، فموافقته على القرآن الذي جمعه عثمان بن عفان هو خير دليل على عدم وقوع التحريف فيه .

اضافة إلى اننا لم نسمع من الامام علي - ع - من بعيد أو قريب صراحة أو تلميحاً ما يشير إلى شكوكه أو عدم اطمئنانه بمصحف عثمان ، رغم ان كلماته العصماء وخطبه البليغة والتي جمعت فيما بعد من قبل الشريف الرضي^(٢) بإسم « نهج البلاغة » قد ملئت الخافقين ولم تترك ميداناً أو فناً أو بحثاً دون ان تشير إليه أو تتناوله بالتفصيل . .

(١) تاريخ القرآن - الدكتور عبد الصبور شاهين .

(٢) هو ابو الحسن محمد بن أحمد الطاهر الحسين بن موسى بن محمد بن

بل ان الذي سمعناه هنا عن حفيد الامام وهو الامام جعفر الصادق - ع - « انه قرأ رجل عليه - على الصادق - حروفاً من القرآن ليس على ما يقرأه الناس فقال له الامام - ع - مه مه كف عن هذه القراءة وقرأ

موسى بن ابراهيم بن موسى بن جعفر الصادق - ع - ولد عام ٣٥٩ وقيل ٣٦١ هـ وفي عهد المطيع لله العباسي وقال الشعر وعمره لا يزيد على العشر حتى فاق شعراء عصره على صغر سنه واشتغل بالعلم على يد استاذه الشيخ المفيد ففاق في الفقه والفرائض وبز أهل زمانه في العلم والأدب ، وقد اتخذ في أيامه داراً أسماها « دار العلم » وكان يجتمع بهذه الدار طلبة العلم الملازمون له ، وقد عين لهم كافة ما يحتاجونه ، وكان في الدار خزانة كبيرة للكتب لها مفاتيح عديدة أعطى كل طالب علم مفتاحاً خاصاً يفتح به الخزانة في أي وقت يشاء ويأخذ ما يشاء من دونها حسب أوقافه . .

خلف أباه في نقابة الطالبين وهي رئاسة آل البيت العلوي والحكم فيهم أجمعين في العراق وفارس وعمره ٢٩ سنة . . . وكان مشهوراً بالإباء والعزة حيث تنسب إليه الأبيات التالية والتي مدح فيها الخلفاء الفاطميين في مصر ودم الحكم العباسيين في بغداد وهي :

ما مقامي على الهواة وعندي مقول صارم وأنف حي
ألبس الذل في بلاد الأعادي ويمصر الخليفة الفاطمي
من أبوه أبي وكولاه مولاي إذا ضامني البعيد القمي
لف عرقي بعرقه سيدا الخلق جميعاً محمد وعلي

ويقال أن الخليفة العباسي القادر بالله بعد سماعه لهذه القصيدة استدعاه الشريف المرتضى (اخ الرضي) وأشار إلى إفضاله وإحسانه على الشريف الرضي وأنه قد أجاب على كل ذلك بهذه الأبيات ، وأجاب المرتضى الخليفة بأنه سيستدعي أخاه ويستفسر منه عن صحة ذلك ، وبالفعل استدعى المرتضى أخاه الرضي واستفسر منه عن صحة هذه القصيدة فأجابه بأنها فعلاً تعود له وأنه نظمها خشية ما قد يصيبه من عملاء وعيون الفاطميين بالعراق .

فأجابه المرتضى : بانك لا تخشى عملاء وعيون الخليفة والذي لا يفصلهم عنك إلا خطوات عديدة بينما تخشى الذي تفصلك عنهم مئات الفراسخ . .

وعلى كل اتفق على أن يخبر المرتضى الخليفة على أن القصيدة منسوبة إلى الرضي وله أيضاً هذه الأبيات في الإباء والفخر بوجه الخلفاء العباسيين في بغداد :

كما يقرأ الناس»^(٣) ففي «ترك النقل بخلاف ما نقل عنه ادل الدليل على صحة ما ذكرناه»^(٤).

لذا قائمة أهل البيت - ع - «قد ارجعوا الناس إلى اتباع هذا القرآن الموجود بين ايدينا في ارشاداتهم الكريمة واحاديثهم الماثورة على انه بصفته هذه هو الوحي الصادق الكامل الذي نزل به الوحي الأمين»^(٥)، وان الشيخ الصدوق محمد بن بابويه في كتابه الاعتقادات قال حول الموضوع : «اعتقادنا ان القرآن الذي انزله الله على نبيه محمد (ص) هو ما بين الدفتين وهو ما بين ايدي الناس ليس بأكثر من ذلك ومن نسب إلينا انا نقول انه أكثر من ذلك فهو كاذب . . . ».

وقد زاد المتأخرون على ذلك بالقول انه «لا زيادة في القرآن من سورة ولا آية من بسملة وغيرها ولا كلمة ولا حرف وجميع ما بين الدفتين مما يتلى كلام الله بالضرورة من المذهب بل الدين واجماع المسلمين واخبار النبي (ص) والأئمة الطاهرين - ع -»^(٦).

هذا وإذا ما كان هناك شيء يستحق التسجيل عن مصحف الامام -

مهلاً أمير المؤمنين فإننا	من دوحة العلياء لا نتفرق
ما بيننا يوم الفخار تفاوت	أبدأ كلانا في المعالي معرق
إلا الخلافة ميزتك فإنني	أنا عاطل عنها وأنت مطوق

وعند سماع الخليفة العباسي القادر بالله لهذه الأبيات أجاب بحدة «وعلى رغم أنف الشريف الرضي» . . . توفي الرضي عام ٤٠٦ هـ ودفن في الكاظمية وقيل نقل رفاته بعد ذلك ليوارى الثرى عند حرم الإمام الحسين - ع - في كربلاء هذا وقال كثير من العلماء أن الرضي كان عالماً غلب شعره على علمه والمرضى كان شاعراً غلب علمه على شعره . . .

(٣) تفسير الصافي - الفيض الكاشاني ، بحار الأنوار - محمد باقر المجلسي .

(٤) مقدمات في علوم القرآن - أرثر جفري .

(٥) الإسلام على ضوء التشيع - الشيخ حسن الخراساني .

(٦) كشف الغطاء - الشيخ جعفر كاشف الغطاء .

ع - بصدد اختلافه عن المصحف العثماني فهو اختلافه في شيء جانبي
وثانوي وهو ان جمع الامام علي - ع - للقرآن « كان على ترتيب نزوله
وتقدم منسوخه على ناسخه »^(٧) فضلاً عن كتابة تأويل بعض الآيات
وتفسيرها على حاشية المصحف وعلى النحو الذي اشرنا إليه في الفصل
السابق .

ولو صح هذا القول فان جمع القرآن بهذه الطريقة يعكس وقائع
الوحي وحوادثه متسلسلة يوماً فيوم وأولاً فأول وساعة فساعة من دون أن
يسبق هذا اليوم للذي قبله أو يتأخر عن الذي يليه . .

اما من يقول بان مصحف الامام علي - ع - كان يختلف عن
المصحف الذي هو الآن في أيدي المسلمين أو انه يشتمل على ابعاض
ليست موجودة في القرآن الكريم فهو قول مردود وشبهة لا ظل لها من
الواقع ولا سند لها من الحقيقة فالصحيح هنا هو ان « تلك الزيادات
كانت تفسيراً بعنوان التأويل »^(٨) فيما اذا فرض انه قد وجدت فيه . .

ولعل مصحف الامام علي - ع - هذا هو المصحف الوحيد الذي
لم يذوق طعم النيران ولم يناله المسح والغسل حيث احتفظ به الامام عنده
ومن بعده توارثته ذريته الطاهرة ، ولا نعلم على وجه الدقة اين استقر به
المقام في الوقت الحاضر .

فقد شاهدنا مرة في متحف الامام علي الرضا - ع - في مشهد
بايران قرآناً بديعاً من جلد الغزال الأبيض يقال عنه انه بخط الامام علي -
ع - ومثل هذا القرآن رأيناه في متحف الآثار الاسلامية في اسطنبول وهو
 بخط الامام علي - ع - أيضاً ، وقرآن ثالث شبيهه وجدناه في المتحف
الوطني في لاهور بالباكستان ينسب إلى الامام علي - ع - .

(٧) الفهرست - ابن النديم .

(٨) البيان في تفسير القرآن - السيد أبو القاسم الخوئي .

كما وقيل عنه انه محفوظ في خزانة الامام علي في الروضة
الحيدرية بالنجف الأشرف حيث ينقل الزنجاني في كتابه تاريخ القرآن انه
شاهد عام ١٣٥٣هـ في دار الكتب العلوية في النجف الأشرف مصحفاً
بالخط الكوفي كتب في آخره « كتبه علي بن أبي طالب في سنة ٤٠
من الهجرة » وهي السنة التي استشهد فيها الامام - ع - في مدينة الكوفة
بالعراق .

هذا وإذا نخوض الآن في مصير مصحف الامام علي - ع - نود أن
نلقي بعض الضوء على مصير المصاحف العديدة التي ارسلها عثمان بن
عفان إلى الامصار الاسلامية وابن استقر بها المقام الآن وذلك قبل ان
نتقل بالكلام عن بقية المصاحف المنسوبة إلى كبار الصحابة كمصحف
عبد الله بن مسعود وأبي بن كعب . .

ان غالبية الرواة والمؤرخين الذين كتبوا عن المصاحف العثمانية لم
يستطيعوا ان يحددوا مكان تواجد هذه المصاحف ولا مصيرها رغم ان
عددها كان خمسة أو سبعة مصاحف . .

ان ما يقال عن ان « المصاحف العثمانية بخزائن الكتب والآثار
بمصر من انها مصاحف عثمان فهو قول عار عن الصحة ، بسبب ما تضم
هذه من زخرفة ونقوش وضعت كعلامات واشارات للفصل بين السور
واظهار اعشار القرآن ، حيث كانت المصاحف العثمانية خالية من كل
هذا »^(٩) جملة وتفصيلاً وربما كانت هذه المصاحف منقولة من المصاحف
العثمانية وليست تلك التي استنسخها عثمان بن عفان ووزعت على
الامصار . .

والظاهر هنا هو ان للأحداث السياسية والتقلبات

(٩) علوم القرآن - أحمد عادل كمال .

الثورية^(١٠) والحركات الطائفية والمذهبية التي عصفت بالعالم الاسلامي في العصرين الأموي والعباسي ، وكذلك للحرائق التي اصابَت المكتبات والمساجد وغيرها في خلال هذه الفترة ومنها الحريق الأول الذي حصل في المسجد النبوي عام ١٥٤ هجرية حيث احترقت الكتب والمصاحف والسجاد وغيرها اثرأ كبيراً في فقدان هذه المصاحف وتلفها رغم كونها ثروة ثقافية ودينية وقومية لا تعوض بشيء . .

كما ان بعض الباحثين والمؤرخين^(١١) القى وزر فقدان هذه المصاحف على عاتق الحجاج بن يوسف الثقفي^(١٢) لأنه حين ولايته على

(١٠) في الحقيقة أن دخول هولاكو حفيد جنكيز خان إلى بغداد عام ٦٥٦ هـ المصادف لعام ١٢٥٨م وفي عهد الخليفة المستعصم وبقيّة الأمصار الإسلامية وقضاءه على الأخضر واليابس ووضع السيف في رقاب الناس ورميه الكتب في الأنهار والأبار هو من أهم الأسباب في فقد المصاحف العثمانية بل ومئات الألوف من خيرة الكتب وأئمنها وأندرها .

(١١) المصاحف - السجستاني .

(١٢) الحجاج هوامير العراقيين الذي حكم العراق بالحديد والنار ، وإليه تنسب الخطبة النارية التي أفتح بها عهده في العراق حيث أشعر العراقيين عند وصوله من على المنبر بقوله : « إن أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان قد أعطاني سيفين ، سيف الرحمة وسيف العذاب ، أما سيف الرحمة فقد فقد مني في الطريق وإما سيف العذاب فهذا هو بيدي والله لأضعن سيفي في رقابكم حتى لا يرى أحدكم الآخر إلا قال أهرب يا سعد فقد هلك سعيد . .

وقد كان له سجن كبير في حاضرة ملكه « واسط » لا يتعدى عن أن يكون جداراً عالياً يلقي بداخله المعتذبين ولا يستريحون من لهيب الشمس شيئاً ، حيث وضع جلاوزته على أعلى جدار السجن وبايديهم الحجارة لرمي كل سجين يقترب من الظل مما يدعهم - السجناء - واقفين على الدوام في الشمس وعلى رمضاء الأرض المواجهة لها . .

وقد جيء إليه مرة باعرابي كان قد خرق منع التجول في الليلة الأولى لإعلانه ، وادعى الأعرابي الذي كان قادماً إلى واسط أنه لم يسمع بمنع التجول لأنه كان خارج البلدة عند اعلانه ، فطلب الحجاج قتله قائلاً له : « والله إنني =

العراق في عهد عبد الملك بن مروان ان استنسخ مصحفاً جديداً على غرار المصحف العثماني وقد ادخل فيه - كما يدعي هؤلاء - عدة تغييرات وتصحيحات تخص الحروف والقراءة في أحد عشر حرف أو في اثنا عشر كلمة بقول آخر ، وبعدها أمر بأعدام واحراق كافة المصاحف العثمانية اينما كانت والابقاء على المصحف الذي استنسخه والذي عليه فقط أمر ان يكون الاستنساخ التالي لأي نسخة أخرى من القرآن . .

وهذا المصحف - وفق هذا الادعاء - هو الذي يتداوله المسلمون منذ عهد ولايته إلى هذا الوقت . .

وطبعي ان هذا الادعاء الذي ينقله بعض المؤرخين لا يقف على قدميه ولا ظل له من الحقيقة لأن - الحجاج - اقصر باعاً وأقل قدراً من ان ينال من القرآن شيئاً وذلك لعدة أسباب^(١٣) منها ان سلطان الحجاج وحكمه لم يمتد في خلال ولايته إلا على العراق بحدوده الطبيعية . كما وليس في مقدوره القيام بمثل هذا الفعل الخطير وسيده في الشام يحصي عليه انفاسه وتحركاته ، فضلاً عن عدم سكوت المسلمين الذين كانوا أقرب إلى فجر الاسلام والصق بروحه وتعاليمه ، عدم سكوتهم أو إذعانهم لهذا الفعل وغير ذلك من الأسباب . . نعود بعد ذلك للإشارة إلى المصاحف الأخرى التي جمعت في صدر الاسلام . .

= لأعلم أنك لصادق ولكن في قتلك صلاح الأمة . . وهكذا كان حاله في المواقف والحالات الأخرى . .

وقد قال الخليفة الزاهد عمر بن عبد العزيز في شأن الحجاج : إنه لو أخرجت كل أمة خبيثها وأخرجنا الحجاج لغلبناهم ولما بلغه موته خراً لله ساجداً ، وقد كان يدعو الله أن يكون موت الحجاج على فراشه ليكون أشد لعذابه في الآخرة . .

(١٣) القرآن المجيد - محمد عزة دروزة ، مباحث في علوم القرآن - الدكتور صبحي الصالح ، تاريخ القرآن - إبراهيم الأبياري ، البيان في تفسير القرآن - السيد أبو القاسم الخوئي . .

فبقدر تعلق الأمر بمصحف عبد الله بن مسعود^(١٤) فيقال عنه انه كان يضم ١١٢ سورة (وليس ١١٤ سورة) كما هو عليه الحال في كافة المصاحف المتداولة ، وان السورتين اللتين كان مصحفه خالياً منها هي « المعوذتان »^(١٥) وهما - قل اعوذ برب الفلق - السورة ، وقل اعوذ برب الناس - السورة .

ويروون عن لسان ابن مسعود بصدد المعوذتين قوله : انها ليست من القرآن لأن الرسول (ص) أمر ان يتعوذ بهما ، وانه قد رأى ان النبي (ص) يعوذ بهما الحسن والحسين - ع - مراراً عديدة وينفث بهما بدنه اذا نام فيمسح بهما جسده . .

وطبيعي ان هذا ظناً من ابن مسعود وهو يخالف ما نقل تواتراً عن ان السورتين هما من القرآن لذا لم يأخذ برأيه أحد من المسلمين . .

ويقال هنا أيضاً « إن عبد الله بن مسعود لم يسجل سورة الفاتحة في مصحفه »^(١٦) وذلك لا لأنها من غير القرآن وانما بسبب ان القرآن الكريم انما كتب وجمع بين اللوحين مخافة الشك والنسيان والزيادة والنقصان وكل هذا مأمون في سورة الفاتحة لقصرها ولأنه لا يجوز لأحد من المسلمين ترك تعلمها كما يجوز ترك تعلم غيرها وحفظه لحاجتهم الماسة اليها في الصلاة حيث تشئ في كل صلاة وتقرأ في غيرها من الأمور والمناسبات الدينية ، فلما أمن عليها العلة التي من اجلها كتب

(١٤) هو عبد الله بن مسعود بن غافل الهذلي كان خادماً رسول الله (ص) ورفيقه في حله وترحاله وغزواته ، وقد هاجر الهجرتين وصلى إلى القبلتين ، توفى في المدينة سنة ٣٢ هجرية ، وهي السنة التي توفى فيها العباس عم النبي وعبد الرحمن بن عوف ، وقال عنه عمر بن الخطاب : ان عبد الله وعاء مليء علماً . .

(١٥) الفهرست - ابن النديم ، تاريخ القرآن - محمد طاهر الكردي .

(١٦) القرآن - محمد صبيح .

المصحف ترك كتابتها وهو يعلم انها من المصحف بالتأكيد ، حيث لو أن رجلاً كتب من القرآن سوراً وترك سوراً لم يكتبها لم ير عليه في ذلك حرج أبداً^(١٧) .

اما عن مصير هذا المصحف فنقول انه قد طلب عثمان من عبد الله ابن مسعود هذا المصحف ولكن الأخير أبى باصرار ان يبعث بمصحفه إلى المدينة ويسلمه إلى عثمان خشية ان يحرقه أو يغسله وبذلك تذهب اتعابه وجهوده في جمعه سدى . .

كما وساء ابن مسعود الطلب الملح والعنيف لمصحفه من قبل عثمان ، فاعز ابن مسعود إلى أصحابه في الكوفة بان يتمسكوا بمصاحفهم ويحفظوها من الملاحقة والاحراق وقال لهم : بأنه من استطاع منكم ان يغسل مصحفه فليفعل (فليغسل) فإن من غل شيئاً جاء بما غل يوم القيامة ، ثم قال أيضاً : بانه قد قرأ القرآن من فم رسول الله (ص) سبعين سورة أو مرة وزيد بن ثابت ذو ذؤابتين يلعب مع الأطفال ، أفأترك ما أخذت من فم رسول الله (ص) .

ولما وصلت هذه الأخبار إلى عثمان أمر الأخير باشخاص ابن مسعود اليه ثم أمر بان يجبر برجله حتى كُسر له ضلعان ، ورغم هذا لم يدفع بمصحفه إلى عثمان واصر على ذلك حتى وفاته في المدينة . .

وعند وفاة ابن مسعود طلب عثمان مصحفه مجدداً ، وعند وصول المصحف اليه الحقه بالمصاحف السابقة حرقاً أو غسلأ من دون ابقاء شيء منه قطعاً لدابر كل اختلاف أو فتنة قد تثار . .

اما بقدر تعلق الأمر بمصحف أبي بن كعب فيقال انه قد « كتب في مصحفه سورتين تسميان (الخلع والحفد) وكان يقنت بهما »^(١٨) .

(١٧) تأويل مشكل القرآن - ابن قتيبة الدينوري .

(١٨) القرآن - محمد صبيح ، الإتيقان في علوم القرآن - جلال الدين السيوطي .

والظاهر هنا ان أبيّ كان قد ذهب في دعاء القنوت إلى انه من القرآن لأنه رأى رسول الله (ص) يدعو به في الصلاة دائماً ، فتصور انه من القرآن واقام على ظنه ومخالفة عامة الصحابة حيث لم تقم الحجة عليه بانه قرآن منزل ، بل هو لا يتعدى عن ضرب من الدعاء لا غير . .

والحاق (الخلع والحفد) بمصحف أبي بن كعب - ان صح القول - فربما هو كالحاق دعاء ختم القرآن بالمصاحف الموجودة في أيدينا - لأنه لو كان قرآناً لنقل إلينا بالتواتر نقل بقية الآيات والسور ولحصل العلم بصحته . .

ويروى أيضاً هنا ان أبيّ بن كعب كان يظن ان قول الرسول (ص) : « لو كان لابن آدم واديان من ذهب لتمنى اليهما ثالثاً ، ولو اعطي ثلاثاً لتمنى أربعة ، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب ويتوب الله على من تاب » هو من القرآن ، اذ كان قد سمع الرسول (ص) يقرأ ما ويذكر عنها انها من القرآن ، فظن أبيّ انها من القرآن^(١٩) . .

وطبيعي ان الحجة أو الاجماع لا يؤيد أبيّ فيما ذهب إليه من قريب أو بعيد . .

وسور مصحف أبيّ بن كعب كما هو الحال في سور مصحف عبد الله بن مسعود ومصحف الامام علي - ع - تختلف في ترتيبها عن المصحف العثماني . .

وسورة الخلع هي : بسم الله الرحمن الرحيم ، اللهم انا نستعينك ونستغفرك ونشني عليك ولا نكفرك ونخلع ونترك من يفجرك .
أما سورة الحفد فهي : بسم الله الرحمن الرحيم اللهم إياك نعبد ولك نصلي ونسجد وإليك نسعى ونحفد ونرجو رحمتك ونخشى نغمتك ، إن عذابك بالكافرين ملحق .

(١٩) مقدمتان في علوم القرآن - أرثر جفري .

ومن رغب من القراء الكرام الاطلاع على تسلسل السور في المصاحف المتقدمة فعليه بالرجوع إلى المصادر المثبتة في نهاية هذه الدراسة وأهمها كتاب تاريخ القرآن للزنجاني المطبوع في القاهرة المعز عاصمة مصر العربية ..

أما عن مصير مصحف أبي بن كعب فإن صاحبه - أبي - كان قد توفي في المدينة المنورة عام ٢٠ أو ٢٢ هجرية وفي أواخر خلافة عمر ابن الخطاب (رض) ، ولم تكن حينذاك قد برزت عادة غسل أو إحراق القرآن ، ولكن عندما تولى عثمان الخلافة وبادر بجمع القرآن (الجمع الثالث) وعزم على إحراق كل مصحف يقع في يده عدا المصاحف المستنسخة ، طلب حينئذ مصحف أبي بن كعب فغسله أو أحرقه أسوة بغيره من المصاحف خشية الخلاف أو الفتنة ..

هذا ومهما يكن من شيء فقد عم المصحف الذي جمعه عثمان ابن عفان بين سائر المسلمين وتوحدت بسببه المصاحف وزالت الخلافات كما وكان كل مصحف من هذه المصاحف هو الامام في رجوع الناس إليه وتعويلهم في استنساخ مصاحفهم » (٢١).

وقد اعترف بهذه الحقيقة أحد المستشرقين الاجانب حيث قال : « ومع ما أدى إليه مقتل عثمان نفسه بعد ربع قرن من وفاة محمد (ص) من قيام مفضبة ثائرة زعزعت وحدة العالم الاسلامي ولا تزال تزعزعه فقد ظل للجميع قرآن واحد يظلمهم أجمعين بلغ من الحرص على العناية به

(٢٠) يروى أنه عندما سمع عمر بن الخطاب بوفاة أبي بن كعب قال : « اليوم مات سيد المسلمين » وأبي هو صحابي وأنصاري ، كان قبل الإسلام حبراً من أحبار اليهود ، وكان يتقن القراءة والكتابة ، شهد بدرأ والمشاهد كلها مع رسول الله (ص) وكان أقرأ الصحابة بعد علي - ع - وسيد القراء وقد جمع بين العلم والعمل ..

(٢١) روح الدين الإسلامي - عفيف عبد الفتاح طيارة .

ان وصلنا كاملاً حتى اننا لا نجد بين النسخ الكثيرة التي لا عداد لها والمنشرة في انحاء العالم الاسلامي اليوم أي اختلاف «^(٢٢) صغيراً كان أم كبيراً .

فالقُرآن « منذ نزوله على النبي إلى وصوله إلينا كان سلسلة من التدوين الكتابي الدقيق والتلقي الشفهي السليم ما فيه حلقة مفقودة أو ثغرة ينفذ منها شك أو اختلاف يبعث على الريبة «^(٢٣) .

فكل هذه - وحدة المصاحف وزوال الاختلاف - كان نصراً مؤزراً وكبيراً للإسلام وكتابه الخالد واثباتاً لقوله تعالى ﴿ إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ﴾^(٢٤) وقول الامام - ع - « القرآن لا يهاج ولا يحول » وبذلك طاشت سهام أعداء الاسلام من غربيين وملحدين ويهود^(٢٥) وعادت إلى

(٢٢) حياة محمد - السير وليم مويرز نقلاً عن كتاب حياة محمد لمحمد حسين هيكل .

(٢٣) التعبير الفني في القرآن - الدكتور بكرى شيخ أمين .

(٢٤) الحجر : ٩ .

مركز تحقيق تكملة علوم إسلامي

(٢٥) نشير بهذه المناسبة إلى أنه قد حاولت بعض الجهات المناوئة للإسلام في العصر الحديث بعد أن أدركت أعجاز القرآن وان لا سبيل لمحاكاته أو نقضه ، حاولت تلك الجهات المريبة (ومنها بعض الزمر الصهيونية) أن تتجاوز على القرآن وتتصدى له عن طريق آخر وهو طريق التبديل والتحريف والتغيير متصورين أن هذا العمل والفعل قد يحقق لهم بعض أغراضهم الدنيوية الدنيئة واهدافهم الملتوية ومعتقدين في نفس الوقت أن هذا التحريف سهل ويسير وليس هناك من يشعر بفعلتهم أو يحس باحاييلهم أو يفضح تخرصاتهم . . . إن محاولات هؤلاء بصدد تحريف القرآن ومثلهم الصادق في ذلك لا يتعدى قول القائل :

كناطح صخرة يوماً ليوهنها ولم يهنها واوهى قرنه الوعل
أجل قامت تلك الزمر في سبيل تحقيق أغراضهم بطبع نسخ عديدة محرّفة من القرآن في العانية الغربية وأرسلوها إلى كافة بلاد العالم التي تظن انها أسواق رائجة لأباطيلها وضلالاتها والتي تجهل اللغة العربية واسرارها مثل أقطار غانا

نحورهم وانهارت كافة آمالهم بشأن التشكيك في القرآن الكريم أو الطعن في طريقة جمعه ونسخه أو اللمز من بعد ذلك باعجازه وكونه تشريعاً ومنهاج حياة ، وهذا هو مصير اعداء الله ومناوئوه في الحياة الدنيا وفي الآخرة عذاب أليم ولعنة دائمة .

وفي ختام هذا الفصل نشير إلى ما يردده بعض الأشخاص من المحسوبين على الاسلام (اسماً وجنسية) باثهامهم لبعض الطوائف الاسلامية بان لهم قرآناً آخر يزيد وينقص عن قرآننا المعروف ، وليس

وغينيا ومالي والسنغال ونيجيريا والمغرب وبعض الأقطار الأفريقية والاسيوية الأخرى . .

وما درى هؤلاء ان للقرآن اسلوباً ونظماً إلهياً عجيباً أعجز الأولين والآخرين عن ان يأتوا بمثله أو يبدلوا أو يحرفوا بعض آياته - كما سنرى في فصل « إعجاز القرآن ، وان محاولاتهم ستلحقهم وتؤول مع محاولات السابقين إلى الإنهيار والفشل الذريع . .

هذا وقد أهتمز وتنبه المسلمون في حينه لهذه اللعبة السيئة فأذاعت في وقته مشيخه الأزهر الشريف والحوزة الدينية في مدينة النجف الأشرف بالعراق شخصيات إسلامية عديدة وصحف ومجلات عقائدية كثيرة بيانات وتحذيرات كشفت فيها النوايا السيئة والعدوانية التي تختبئ وراء هذه الأعمال والتصرفات . وما يترتب عليها من عواقب وخيمة ومضاعفات خطيرة ستضر بالمسلمين - ايما ضرر - .

وقد طالبت هذه الجهات المسؤولين في أنحاء الأرض بضرورة التحرك من أجل تدارك الأمر بحزم وسرعة وقبل أن يستفحل الداء ويعز الدواء . .

وقد لبى كثير من هؤلاء المسلمين في شرق العالم الإسلامي ومغربه هذا النداء فبادروا فوراً بجمع كافة النسخ المحرفة وأبعدوها عن التداول والأنظار ، وهكذا نكرر مرة أخرى قوله تعالى « إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون » .

(بتصرف عن اليهودية بين المسيحية والإسلام - خلف محمد الحسيني)
ولا ضير هنا من أن نورد بعض الآيات الكريمة - على سبيل المثال لا الحصر والتي حرفتها الصهيونية المجرمة .

فقد جاء في سورة آل عمران الآية ٨٥ « ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه » فاصبحت « ومن يبتغ غير الإسلام ديناً يقبل منه » وجاء في سورة الأنفال

لديّ ما أقوله لهؤلاء بعد كل الذي سجلته عبر هذه الدراسة ، بل اترك الأستاذ محمد الغزالي ليرد عليهم في كتابه دفاع عن العقيدة والشريعة حيث يقول الأستاذ الغزالي بالحرف الواحد : « ان العالم الاسلامي الذي امتدت رقعته في ثلاث قارات ظل من بعثة محمد (ص) إلى يومنا هذا بعد ان سلخ من عمر الزمن أربعة عشر قرناً لا يعرف إلا مصحفاً واحداً مضبوط البداية والنهاية معدود السور والآيات والألفاظ فأين هذا القرآن الآخر ، ولماذا لم يطلع الإنس والجن على نسخة منه خلال هذا الدهر الطويل ، لماذا يساق هذا الافتراء ، ولحساب من تفتعل هذه الاشاعات وتلقى بين الأغرار ليسوء ظنهم باخوانهم وقد يسوء ظنهم بكتابهم .

ان المصحف واحد يطبع في القاهرة فيقدسه الشيعة في النجف أو

الآية ٤٢ « ليقضي الله أمراً كان مفعولاً » بالضاد فاصبحت « ليقضي الله أمراً كان مفعولاً » بالصاد .. الخ .

هذا وان غالبية الحكومات في الاقطار الإسلامية قد منعت أي شخص أو جهة خاصة من طبع القرآن الكريم ونشره إلا بعد مراجعته وتدقيقه من قبل لجان دينية وحكومية خاصة . وحين التأكد لديها من سلامة الطبعة من أي خطأ أو تحريف أو تغيير يصرح بالموافقة على طبع القرآن ووضعه في التداول ..

وفي جمهورية مصر العربية - حيث تطبع في مطابعها غالبية وأدق المصاحف في العالم العربي والإسلامي نجد أن مراحل طبع المصاحف يتطلب الحصول على اذن وزارة الداخلية أولاً ثم يحوّل الطلب إلى مشيخة المقاريء العربية والتي تقوم بدورها بمراجعة المصاحف وتبيان ما إذا كانت هناك أخطاء مطبعية أو أغلاط وفي حالة خلوها من أي شيء تعطى الموافقة اللازمة بنشر هذه المصاحف وتداولها ..

وفي جمهورية باكستان الإسلامية تتولى « شركة تاج الأهلية المحدودة » - تاج كيني لميتد - مهمة طبع أحدث وأبدع أشكال المصاحف وبمختلف الأحجام والألوان .

وطبيعي أن طبع أي مصحف هناك سواء من قبل الشركة المذكورة أو غيرها من المؤسسات الأهلية والدينية يتطلب المرور بمراحل عديدة للتأكد من صحة الطبع وضبطه وسلامته من كل لبس أو سهو ..

في طهران ويتداولون نسخه بين أيديهم وفي بيوتهم دون أن يخطر ببالهم شيء بته إلا توقيير الكتاب ومُنزله - جل شأنه - ومبلغه (ص) فلم الكذب على الناس وعلى الوحي ؟ ؟ « ...



وبعد فان كل هذه المراحل والاجراءات الطويلة المتخذة هنا وهناك هي - في الحق - من أجل أن لا ينال القرآن الكريم أي تحريف أو تبديل وليبقى كما أراده الله سبحانه خالداً وثابتاً خلود الزمن وثبوت الرواسي ، وكأن الشاعر كان يقصد هذا المعنى حين نظم :

وعلى رغم المعاند والمعادي لواء محمداً أبداً يرف

ضبط آیات القرآن

مرکز تحقیقات علوم اسلامی



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

عندما فرغ زيد بن ثابت من كتابة المصحف على الوجه الذي تقدم بيانه راجعه ثلاث مرات ، ويشير الرواة والمؤرخون هنا أنه في خلال المراجعة الأولى للقرآن افتقد فيه آية طالما كان رسول الله (ص) يرددها وهو قوله تعالى : ﴿ من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلاً ﴾ (١) . .

وقد وجدها بعد التحري عنها بين المهاجرين والأنصار وجدها لدى خزيمة بن ثابت (ذي الشهادتين) والذي تقدم ذكره فالحقها بمكانها من القرآن الكريم . .

كما أنه في خلال المراجعة الثانية لم يجد في المصحف آية أخرى سبق أن سجلها عند الجمع الثاني للقرآن وهي قوله تعالى ﴿ لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم ﴾ (٢) ففتش عنها بين المهاجرين والأنصار حتى وجدها لدى أبي خزيمة الأنصاري فوضع الآية كذلك في مكانها الصحيح في المصحف (٣) . .

وفي المراجعة الثالثة والأخيرة لم يجد شيئاً من القرآن لم يدون في المصحف بتاتاً . .

وبصدد الفقرات المتقدمة نود أن نستفهم عن السبب الذي لم يدع زيداً ليثبت الآيتين المفقودتين المشار إليها آنفاً من تلقاء نفسه من دون

(١) الأحزاب : ٢٣ .

(٢) التوبة : ١٢٨ .

(٣) تاريخ القرآن - محمد طاهر الكردي ، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية - مصطفى صادق الرافعي .

الحاجة للبحث عنهما في صدور المسلمين وأوراقهم ، طالما انه متأكد من صحتها ونزولهما وانه من بعد ذلك يحفظهما حفظه لبقية آيات الله الأخرى ، فضلاً عن انه سبق له ان سجلهما في الجمع الثاني للقرآن . .

ان السبب الرئيسي في عدم تسجيل هاتين الآيتين يعود - كما نرى - إلى رغبة زيد لتنفيذ التصليحات والوصايا التي سبق ان تلقاها من قبل وهي عدم تسجيل أي شيء وتدوينه من دون وجود شاهدين ، ولما كان خزيمة يمثل شاهدين فقد سجل زيد الآية التي وجدت محفوظة لديه . .

اما كيف امكن له تدوين ما جاء به ابو خزيمة الانصاري مع انه شاهد واحد ، فالواقع هنا هو ان زيدا كان واثقاً من الآية وثوقه من غيرها وانه سبق له ان سجلها عند الجمع الثاني ، ولو لم يجدها - جديلاً - لطلب من عثمان بن عفان على الأقوى تسجيلها أو على الأقل مفاتحته بشأنها . .

وحين عثر عليها لدى أبي خزيمة كانت شهادة الأخير مضافة إلى تسجيله لها سابقاً ويقينه التام من نزولها بمثابة شهادتين ، لذا سجلت الآية ووضعت في مكانها المقرر من القرآن . .

اشرنا قبل قليل بان زيد بن ثابت لم يجد في خلال المراجعة الثالثة والأخيرة للمصحف العثماني شيئاً لم يسجله ، لذا فقد قدمه إلى عثمان برفقة مذكرة صغيرة جاء فيها انه قد انهى ورتب المصحف على النحو الذي طلب منه وانه لم يترك شيئاً من آيات الله المنزلة على رسوله الكريم (ص) دون ان يثبتها .

والمذكرة هذه تشبه إلى حد كبير المذكرات التفسيرية التي تصحب صدور القوانين والمراسيم المشرعة والتي تكشف الأسباب الموجبة لصدورها مع شرح موجز لهذه القوانين ومراحل تطورها وربما المقارنة ما بينها وبين تلك التي يجري العمل بها في بقية الأقطار ومدى تقدمها عليها . .

وقد قام عثمان بن عفان بدوره بمراجعة المصحف فالفاه كاملاً وتاماً فأمر بتوزيع نسخة واحدة منه على كل الأمصار الإسلامية وعلى النحو الذي أشرنا إليه في الفصل السابق .

ان مراجعة عثمان للمصحف ومراجعة زيد له من قبل ما هو إلا حرص منهما على عدم وقوع الاشتباه في المصحف أو حدوث زيادة أو نقصان فيه ، وبذا خرج المصحف العثماني عن اجماع ارتضاه كافة المسلمين في المشرق والمغرب حيث لا زيادة فيه من سورة ولا آية ولا كلمة ولا حرف ولا نقطة ، وقد أدرك هذه الحقيقة المستشرق المعروف السير وليم موير ، ورغم كونه من أشد خصوم الاسلام إلا انه اعترف وقال : « والنتيجة التي تستطيع الاطمئنان إلى ذكرها هي ان مصحف زيد وعثمان لم يكن دقيقاً فحسب ، بل كان كما تدل الوقائع عليه كاملاً ، وان جامعيه لم يتعمدوا اغفال أي شيء من الوحي ، ونستطيع كذلك ان نؤيد - استناداً على أقوى الأدلة - ان كل آية من القرآن دقيقة كما تلاه محمد »^(٤) وأضاف السير موير بالحرف الواحد : « اذن فالقرآن الذي بين أيدينا هو نص مصحف عثمان لم يتغير ولم يتبدل وليس في الأنباء القديمة أو الجديدة بالتصديق ما يلقي على عثمان أية شبهة بانه قصد إلى تحريف القرآن لتأييد أغراضه حيث كان بمرء ومنظر من كتاب الوحي وحملته وحفظته فهو لم يزل ولا يزال صورة مضبوطة كما جمعه زيد بن ثابت مع مزيد العناية في التوفيق بين الروايات السابقة له »^(٥) .

لقد سبق ان اشرنا فيما مضى إلى ان المصحف العثماني كان خالياً من النقط والحركات (الشكل) لأن كل هذه لم تكن معروفة منذ خلق اللغة لأن الحاجة إليها حينئذ لم تكن ملحة ولا ضرورية نظراً لأن الناس في الأمصار كانوا يهتدون إلى النطق السليم ويميزون ويقرأون

(٤) حياة محمد - الدكتور محمد حسين هيكل .

(٥) الإسلام على ضوء التشيع - الشيخ حسين الخراساني .

الحروف بالسليقة والفطرة والاصالة اللغوية ولا يحتاجون لقراءتها قراءة صحيحة إلى استعمال الحركات ولا إلى وضع النقط على الحروف . .

اضافة إلى ان « اسلوب التلقي والمشاهدة الذي كان الناس يعتمدون عليه في ضبط القرآن وحفظه ساعدهم على قراءة القرآن في المصاحف بكل سهولة ويسر »^(٦) . .

لذا ظل الناس في مختلف الامصار الاسلامية يقرأون القرآن في مصحف عثمان ولمدة طويلة امتدت إلى ما يقرب من الأربعين سنة بدون نقط وبدون حركات ، وكانت قرائتهم هذه سليمة وصحيحة لقربهم من عهد الوحي واعتمادهم الأول على الحفظ لا على مجرد الخط ، كما اعتبروا الرسم القرآني رسماً قائماً بذاته ولا مبرر لتغييره طالما انه قد وصلهم بالتواتر بهذا الشكل . .

ولكن عندما امتدت الفتوحات الاسلامية في المشرق والمغرب ودخلت في الاسلام طوائف وامم غير عربية يجهلون اللغة وأساليبها ، اختلط هؤلاء المسلمون الجدد باخوانهم من الفاتحين العرب فأدنى هذا الاختلاط والامتزاج بالسليقة العربية ان تفقد شيئاً فشيئاً مكانتها ومنزلتها في نفوس العرب ، حتى بات الالتباس واللحن على لسان القراء العرب يظهر جلياً ومكشوفاً وخصوصاً في قراءة الحروف المتشابهة الشكل والتي لا يفرقها عن بعض إلا النقط مثل « نشزها » بالزاي و « نشرها » بالراء ونحو « لتكون لمن خلفك آية »^(٧) بالفاء و « لتكون لمن خلفك آية » بالقاف و « فتبينوا » بالباء و « فثبتوا » بالتاء و « ننجيك » بالجيم و « ننحيك » بالحاء . . وكذلك في التفريق بين الحروف المتشابهة الأخرى مثل « ب ت ث » و « ج ح خ » و « ع غ » و « ص ض » و « ط ظ » و « س ش » الخ .

(٦) التعبير الفني في القرآن - الدكتور بكري شيخ أمين .

(٧) يونس : ٩٢ .

هذا وإذا ما كان الالتباس واللحن قد ظهر جلياً وسافراً على لسان العرب في التفريق بين الحروف المتشابهة فهو على لسان المسلمين من غير العرب كان أشد وطأة وأعظم سبيلاً ، حيث كان هؤلاء المسلمون يلاقون صعوبات هائلة في قراءة القرآن مما تطلب الحال السعي الحثيث لوضع نقط للحروف لتمييزها عن بعضها عن بعضها على النحو الذي سيرد بيانه بعد قليل . .

وبهذا الصدد نشير إلى ان عامة المسلمين في الصدر الأول من الاسلام كانت تكره ان يزيد أحد شيئاً على ما في مصحف عثمان أو تطويره ولو بقصد الاصلاح والتحسين وذلك مبالغة منهم في المحافظة على اداء القرآن كما رسمه المصحف أولاً وخشية الابتداع والاضافة والتغيير فيه ثانياً ، وكانوا يوافقون المصحف المذكور أيضاً في كل ما كانوا يكتبون وينسخون من مصاحف مستندين إلى أقوال بعض الصحابة وخصوصاً عبد الله بن مسعود في هذا الصدد بقوله : « جردوا القرآن ولا تخلطوه بشيء » . .

إلا ان الضرورة والحاجة بعد ذلك - والضرورة تقدر بقدرها - خففت أو ازلت من غلواء هذه الكراهة وهذه الحرمة وبات أمر وضع النقط والحركات في القرآن شيئاً محموداً ومباركاً وحتى وصل الحال إلى درجة انه خيف ان يؤدي تجرد المصحف من هذه العلامات إلى التغيير والتحريف فيه . .

لذا فلا يمكن تصور وجود مصحف كتب منذ أكثر من ألف سنة حتى هذه الساعة خالياً من النقط والحركات التي أصبح وجودهما وكتابتها فرضاً وواجباً كوجوب الحروف نفسها في المصحف الشريف ، بل انه يمنع طبع المصاحف واستنساخها في كافة أرجاء العالم حالياً من دون وجود النقط والحركات فيه . .

علماً بأن الحركات التي وضعت في المصحف قديماً كانت أولية

وبسيطة وانها تطورت بمرور الزمن حتى أخذت وضعها الحالي الذي عليه الآن . .

هذا وان فضل ايجاد الحركات (الشكل) ووضعها وكيفية ذلك يعود إلى أبي الأسود الدؤلي^(٨) بعد واقعة طريفة جرت بينه وبين الحجاج ابن يوسف أو زياد بن أبيه - بقول - آخر - حينما كان الأخير والياً على البصرة .

وخلصتها هو ان الوالي المذكور كان قد أوعز إلى شخص من أتباعه بالوقوف في طريق أبي الأسود ليسمعه قوله تعالى ﴿ ان الله بريء من المشركين ورسوله ﴾^(٩) بكسر لام رسوله ، فما كاد يسمع أبو الأسود هذا اللحن الصارخ حتى فزع وغضب وقال : « عز وجه الله ان يبرأ من رسوله ، وما ظننت ان امر الناس سيؤول إلى هذا » فآلى على نفسه حينئذ مراجعة الوالي من أجل التهيؤ لوضع طريقة جديدة وعلامات معينة لتشكيل حروف القرآن ليتمكن القضاء على اللحن عند قراءتها من قبل الناس . .

وأبو الأسود الذي نؤرخه لوضعه (الشكل) في القرآن الكريم وينسب أيضاً إلى تلاميذه وضع النقاط فيه بعد ذلك ، هو غني عن التعريف فهو أحد تلامذة الامام علي - ع - وله الفضل في وضع - اضافة للحركات - مسائل عديدة في العربية كالمسائل المتعلقة بتقسيم الكلمة إلى اسم وفعل وحرف ووضعها تحت باب جديد اطلق عليه اسم « النحو » والذي لا زال مستعملاً حتى اليوم . .

وقد سئل أبو الأسود مرة عن المصدر والجهة التي استقى منها هذا

(٨) إن الاسم الحقيقي لأبي الأسود هو ظالم بن عمرو الدؤلي ، ولكن كنيته غلبت على اسمه فسمي بأبي الأسود كما هو الحال في أسماء الاعلام الآخرين كأبو طالب وأبو حنيفة وأبو يوسف وأبو الطيب وأبو فراس وأبو تمام .
وهو أول من وضع قواعد العربية وأول من نقط في المصحف .
توفي - رحمه الله - في البصرة عام ٦٩ هـ ودفن في ثراها . .

(٩) التوبة : ٣ .

العلم - النحو - فأجاب بأنه لقن حدوده ومبادئه من علي . .

وقيل هنا بأن أبا الأسود كان قد دخل على أمير المؤمنين علي - ع - فوجد في يده رقعة فقال : ما هذا يا أمير المؤمنين . . ؟ فأجاب الامام : تأملت كلام العرب فوجدته قد فسر بمخالطة هذه الحمراء - الأعاجم - فأردت ان أصنع شيئاً يرجعون إليه ويعتمدون عليه ، ثم القى إلى أبي الأسود رقعة وفيها مكتوب الكلام كله اسم وفعل وحرف ، فالاسم ما انبأ عن المسمى والفعل ما انبىء به والحرف ما افاد معنى ، ثم قال له : انحو هذا النحو واضف إليه ما وقع إليك ، ثم خاطبه : وأعلم يا أبا الأسود ان الأسماء ثلاثة : ظاهر ومضمر واسم لا ظاهر ولا مضمر وإنما يتفاضل الناس فيما ليس بظاهر ولا مضمر . . . الخ .

أما كيفية تشكيل أبي الأسود للقرآن الكريم - حيث سبق الشكل النقط في القرآن - فقد طلب من أحد تلاميذه أخذ المصحف المبارك وصبغاً يخالف لون مداده ، واخبره بأنه « إذا رآه يفتح شففيه بالحرف فلينقط نقطة واحدة من فوقه ، وإذا كسرهما فلينقط واحدة من أسفله وإذا ضمهما فليجعل النقطة بين يدي - جانب - الحرف وإذا اتبعت شيئاً من هذه غنة (التنوين) فلينقط نقطتين » (١٠).

وطبيعي ان هذا تعبير ساذج يتفق وزمن أبي الأسود (١١).

وهكذا أخذ أبو الأسود يقرأ بتؤدة والتلميذ يضع النقط على الحروف ، وكلما أتم صحيفة القى أبو الأسود عليها نظرة عامة قبل الشروع في الصفحة التالية ، وأستمر الحال على هذا المنوال حتى اعرب المصحف كله ، بينما ترك السكون بلا علامة ولا اشارة تذكر . .

وقد أخذ الناس هذه الطريقة عن أبي الأسود وكانوا يسمون هذه النقط شكلاً حتى تفننوا في هيئة وشكل النقط هذه ، فمنهم من وضعها

(١٠) الفهرست : ابن النديم .

(١١) ضحى الإسلام - أحمد أمين .

مربعة ومنهم من وضعها مدورة ، ثم زادوا علامات في الشكل إلى ان وصلت إلينا على الوضع الذي نستعمله الآن^(١٢).

اما عن تفصيل وتطور علامات الشكل منذ عهد أبي الأسود حتى الآن كما ينقل مؤرخ آخر^(١٣) فهو أن الناس في عهد أبي الأسود جروا على طريقته فكانوا إذا رأوا حرفاً بعد التنوين من أحرف الحلق وضعوا إحدى النقطتين فوق الأخرى علامة على ان النون مظهرة وإلا وضعوها بجانب الأخرى علامة على ان النون مدغمة خفيفة . .

ثم اخترع أهل المدينة للحرف المشدّد علامة خاصة على شكل قوس طرفاه إلى الأعلى هكذا () ثم زاد اتباع وتلاميذ أبي الأسود علامات أخرى في الشكل فوضعوا للسكون جرة أفقية فوق الحرف منفصلة عنه سواء أكانت همزة أو غير همزة ، ولألف الوصل جرة في أعلاها متصلة به ان كان قبلها فتحة وفي أسفلها ان كان قبلها كسرة وفي وسطها ان كان قبلها ضمة هكذا ($\tau + \perp$) .

وكل هذه العلامات ابتداء من النقط التي وضعها أبو الأسود حتى هذه الخطوط التي تطورت إليها ، ان كل هذه كانت تسمى شكلاً حتى تطوّرت بعد ذلك ووصلت إلينا بالصورة والحالة التي نستعملها الآن في القراءة والكتابة . .

أما بشأن النقط (التنقيط) فقد قام بوضعها وخلق فكرتها كل من يحيى بن يعمر العدواني المتوفى في خراسان عام ١٢٩هـ ونصر بن عاصم الليثي المتوفى في عام ٨٩هـ - وهما ممن أخذ كل ذلك وتعلمذا على يد استاذهم القدير أبي الأسود الدؤلي . .

وكيفية وضع النقط في القرآن هو انهما احضرا مصحفاً « ووضعوا فيه النقط افراداً وأزواجاً لتمييز الأحرف المتشابهة كالذال والذال والطاء

(١٢) تاريخ القرآن - محمد طاهر الكردي .

(١٣) ، (١٤) تاريخ القرآن - أبي عبد الله الزنجاني .

والظاء والعين والغين فاهملت الأولى وعجمت الثانية من فوق بنقطة واحدة وهكذا الحال في بقية الحروف»^(١٤).

هذا وان «التحسين الذي قام به أبو الأسود بوضع النقط على الحروف لم يقصد به تمييز الحروف المهملة من المعجمة كما هي وظيفة النقط ، وانما كان يراد به الشكل الذي يقوم مقام الفتح والكسر والضم»^(١٥)

ثم جاء من بعد ذلك الخليل بن أحمد الفراهيدي^(١٦) فأكمل رسم المصحف بصورة نهائية حيث «استبان مما ذكرنا ان الحروف لم تعجم كلها في وقت واحد ، بل تدرجوا في ذلك حسب الحاجة والاستعداد في ازمنة مختلفة»^(١٧) وإلى ان وصلت إلى ما هي عليه الآن من اتقان وتنظيم ..

وبصدد علامات الوقف والوصل فانهما (كالنقط والشكل) محدثة وليست اصيلة وقد وضعت في القرآن على أكبر الاحتمالات في خلال القرنين الثاني والثالث الهجريين من قبل اعلام القراء والنحويين لأجل

(١٥) التعبير الفني في القرآن - الدكتور بكرى شيخ أمين .

(١٦) الفراهيدي هو أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن فراهيد بن الأزد ، ولد في عُمان وعلى شاطئ خليج عُمان ونشأ في البصرة وترعرع فيها ، لذا يلقب أحياناً بالبصري ، وكان مولده عام ١٠٠ هجرية ، بينما كانت وفاته في البصرة عام ١٧٥ أو ١٧٠ هـ . علماً بأن هو أول من سمي بهذا الاسم « أحمد » في دنيا الإسلام .

والخليل هو أول مبتكر للمعاجم العربية وأول مبتكر لوضع العروض وحصر كل أشعار العرب في بحوره ، وهو الذي رتب النحو على الشكل الذي نعرفه الآن ، وكان الفراهيدي علوي الهوى وقد سئل عن فضائل علي فقال : « ما أقول في حق من أخفى الأحياء فضائله من خوف الأعداء وسعى أعداؤه في إخفائها من الحسد والبغضاء وظهر من فضائله مع ذلك كله ما ملأ المشرق والمغرب » .

(١٧) منهج البيان في تفسير القرآن - السيد ابن الحسن الرضوي .

ضبط تلاوة القرآن واتقان اداء جملة ومعانيه . .

ان تأخر وضع هذه العلامات (الوقف والوصل) لعدة قرون لا يعني ان النبي (ص) والأصحاب والتابعين في عصورهم لم يكونوا ليقفوا في مواضع الوقف أو يوصلوا في مكانات الوصل ، بل كانوا يعطون الآيات الكريمة خلال قراءاتهم وتلاواتهم كل ما تستحقها من وقف أو وصل أو سكون وكل هذا كان اعتماداً على السليقة والفطرة وكما هو الحال في الشكل والنقط قبل وضعهما . .

لذا فقد جاء وضع هذه العلامات « الوقف والوصل » على المصاحف من باب تذكير القارئ للقرآن بدلالاتها التي كانت تعتمد سابقاً على السمع والسليقة والفطرة .

اما بشأن ارقام الآيات والتي وضعت هي الأخرى متأخرة فهي لأجل ان تفصل كل آية عن التي قبلها أو بعدها ، وهذه تسهل الأمر على القارئ للعثور على آية مطلوبة أو لمعرفة عدد آيات كل سورة . ومن المحدثات الأخرى هو تقسيم القرآن إلى ثلاثين جزء وكل جزء إلى حزبين والحزب إلى أربعة ارباع والربع - وهو جزء من مائتين وأربعين جزءاً من القرآن إلى قسمين يسمى كل قسم بالثمن مع الإشارة إلى كل ذلك برسوم واشكال هندسية وفنية وهي تسهل الحفظ وتيسير العثور على السور والآيات المطلوبة^(١٨) . .

وسيجد القارئ المزيد من هذه المحدثات والتحسينات التي ادخلت على القرآن في فصل مقبل هو « العناية بالقرآن » . .

(١٨) لقد لقيت هذه الرسوم والاشكال بعض المعارضة في أول الأمر ، إلا أنه سرعان ما تلاشت هذه المعارضة عندما ظهر للناس ما تؤديه هذه الزخارف من خدمات جليلة لمن يقرأون القرآن ، لأنها تحدّد الآيات والسور واجزائها وترشد القارئ إلى المواضع التي ينبغي عليه أن يسجد عند تلاوتها كما تعرفه بأحزاب القرآن وأجزائه - المصحف الشريف - الدكتور عبد العزيز مرزوق . . هذا وقد ذهب بعضهم إلى وجوبها إن كان تركها مدعاة للتحريف والتغيير . .

القرآن المكي
والقرآن المدني
مركز تحقيق تكملة علوم إسلامي



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

في الحق انه لم يقتصر نزول القرآن الكريم على مكان واحد ولا بلد واحد فهناك آيات نزلت في مكة المكرمة وأخرى هبطت في المدينة المنورة وغيرها نزلت في الجحفة والطائف والحديبية ومنى وقبا وعرفات وغدير خم . . . وغيرها من الأماكن . .

وفي سبيل دراسة وفهم هذه الآيات والعشور على مواقع نزولها وأسبابها واغراضها وتواريخ الحوادث التي عرضت لها الآيات وضعت - أو بقول آخر - وجدت هناك قواعد وأسس مختلفة تشبه إلى حد كبير تلك التي نجدتها في اللغة العربية ودعت إلى تقسيم الجمل والأفعال إلى عدة أقسام أو تلك التي نراها في عالم الكيمياء ودعت إلى تقسيم المعادن إلى فلزات وغير فلزات (لا فلزات) والمواد إلى صلبة وسائلة وغازية . .

وكل التقسيمات المتقدمة وسواها إنما وجدت أو استحدثت فلغرض سهولة وتيسير دراسة المواضيع المتقدمة وبأقل ما يمكن من الجهد والعناء . .

وهكذا الحال في آيات الله البينات حيث قسّمت أو وجدت فيها آيات مكة وأخرى مدنية اضافة إلى وجود الناسخ والمنسوخ والمحكم والمتشابه والمطلق والمقيّد والخاص حيث سنتناول معظمها في هذا الفصل والفصول اللاحقة . .

لذا ينبغي - والحالة هذه - على كل من يتصدى للكتابة عن القرآن

من قريب أو بعيد ان يلم سلفاً بكل هذه الحالات والتقسيمات وان يأخذ عنها فكرة كاملة قبل أن يخوض فيها أو يبحث في دقائقها . .

ان تنكب هذا السبيل والبحث في مواضيع القرآن من دون الالمام بالحالات والتقسيمات الأنفة قد تؤدي بالمرء لأن ينحرف عن الحقيقة ويخبط في الاحكام خبط عشواء وبالتالي الوقوع في التناقضات والابتعاد عن جادة الحق مما يعرضه لغضب الله تعالى ونزول اللعنة الدائمة عليه . .

ولو جاز ان نورد هنا مثلاً بسيطاً على مثل هذا الانحراف والشطط والبعد عن الحق والحقيقة فهو انحراف من لم يسبر غور القرآن فقام بخلط آيات مدنية بأخرى مكية عند قوله تعالى : ﴿ وما كان للنبي والذين آمنوا أن تستغفروا للمشركين ولو كان أولي قربى من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب النار ﴾ ^(١) حيث تولي نسبة والصاق هذه الآية الكريمة من سورة التوبة والتي هي سورة مدنية نزلت في السنة الثامنة من الهجرة وتعد من أواخر ما نزل من القرآن نسبتها إلى أبي طالب - عم الرسول (ص) - والادعاء انها نزلت حال احتضاره على فراش الموت واستغفار الرسول نفسه له . .

وسندرك مدى بعد هذه النسبة وهذا الادعاء الباطل اذا ما علمنا بأن وفاة أبي طالب كانت قبل الهجرة بثلاث سنوات أو أكثر وان المدة الفاصلة بين رحيله وبين نزول هذه الآية على الرسول تزيد على أحد عشر سنة .

هذا اضافة إلى الدلائل والبيانات التي تشير إلى ايمان أبي طالب ايماناً عميقاً لا شائبة فيه وانه قد تظاهر امام القرشيين بعدم اسلامه - كمؤمن آل فرعون - للحفاظ على الرسول (ص) وعلى الدعوة الجديدة

(١) التوبة : ١١٣ .

التي بشر بها ، حيث كانوا يهابونه فلم يجرأوا على القيام بكثير مما كانوا يرغبون عمله ازاء الرسالة والرسول . .

وقد تجلّى مصداق هذا الحال جلياً عند وفاته حيث غدا مركز الرسول (ص) وأصحابه ضعيفاً وحرماً ازاء القرشيين مما دعاه للتفكير والتعجيل في ترك مكة إلى المدينة المنورة لأنه لم يعد فيها من كان يذود عنه ويقف بوجهه جبابرة الكفر والضلال . .

لهذا حرص اقطاب أهل البيت والصحابة والتابعين ومن جاء بعدهم من العلماء والفقهاء وأرباب السيرة على دراسة القرآن بصورة موضوعية وكشف أسباب النزول للوقوف والتفريق بين الآيات التي نزلت في مكة المكرمة أو في المدينة المنورة فضلاً عن الوقوف على كل ناسخ ومنسوخ في القرآن والاهتداء إلى المحكم من الآيات والمتشابهة منها . . . الخ وذلك من أجل استيعاب معاني الآيات الكريمة ومغبة الوقوع في التناقضات والأخطاء سواء في الأحكام والتشريعات أو في غيرها كحادثة وفاة أبي طالب المتقدمة . .

هذا ولقد تمكن هؤلاء الصحابة والتابعين ومن تبعهم ، وبقدر تعلق الأمر بالمكي والمدني وهو موضوع هذا الفصل - من استخلاص طريقتين للعثور والوقوف على الآيات المكية والمدنية وهما^(٢) .

١ - الطريقة الاستقرائية : وهي التي تعتمد على النقل وتسمى « السماعية » أيضاً .

٢ - الطريقة الاستنباطية : وهي التي تعتمد على العقل وتسمى القياسية أيضاً . .

ولعل ارجح الطريقتين هو الجمع ما بينهما لتصبح النتائج أقرب

(٢) موجز علوم القرآن - داود العطار .

إلى العلم وأبعد عن الظن والتخمين وهو ما نذهب إليه في هذا البحث . .

لقد اشرنا في مطلع هذا الفصل بأن الآيات الكريمة لم تنزل كلها في مكة المكرمة أو في المدينة المنورة بل انها نزلت أيضاً في أماكن ومواقع أخرى ، حيث ان أول ما نزل من القرآن وآخر ما هبط منه قد نزل خارج مدينتي مكة والمدينة وبالتحديد في غار حراء قرب مكة وغدير خم قرب المدينة على التوالي . .

وإذا كانت كافة الآيات الكريمة لم تهبط في مكة أو المدينة فلا يمكن هنا تجاهل الواقع وهو ان الغالبية العظمى من هذه الآيات قد نزلت في المدينتين المذكورتين . .

كما ولا يمكن أيضاً تجاهل أو تناسي وجود حدث دولي هام ولحظة حاسمة وخطيرة ونقطة تحول رئيسية تقف فاصلة بين عهدين ووضعين هما حالة وطبيعة عمل الرسول (ص) وأصحابه واسلوب الدعوة ومراحلها وانعكاساتها في مكة المكرمة وتلك التي غدت في المدينة المنورة ألا وهي الهجرة النبوية^(٣) التي هي في الواقع اهم يوم في حياة الرسول (ص) بل وفي تاريخ الاسلام ودعوته . .

(٣) أحببت في هذا المكان الإشارة بصورة عابرة إلى سبب إتخاذ المسلمين للهجرة النبوية دون المولد أو المبعث أو غير ذلك تاريخاً لهم وابتدأوا من عندها (بعد أن كانوا قبل ذلك يؤرخون لعام الفيل أو عام الفجار ، فكان العرب يقولون حدث ذلك عام الفيل وولد فلان بعد عام الفجار أو قبله بسنة أو أكثر وهي أحداث لم تعد تتفق وعظمة الإسلام ولا تصلح أن تكون تاريخ أمة توسعت فتوحاتها ومست الحاجة لضبط شؤونها وأحوالها) .

فيروى هنا أن السبب في ذلك يعود إلى أنه رفع إلى عمر بن الخطاب (رض) صك كان وقته في شعبان فقال : أي شعبان المقصود فيه هل هو الذي نحن فيه أو الذي هوأت . .

كما أن أبا موسى الأشعري كتب إلى عمر أنه تأتينا من عندك كتب ليس لها

فقد كان الرسول (ص) والمسلمون قبل الهجرة في كنف عدو جبار لا يرحم ولا تلين له قناة يتربص بهم الدوائر ويحصي عليهم انفسهم ولا يملكون إزاءه إلا المسالمة والإختفاء والترقب وانتظار فرج السماء . .

أما بعد الهجرة المباركة فقد اتسع نطاق الدعوة ولاح في الأفق الأمل والرجاء ، وأصبح المسلمون في المدينة هم اسياد الموقف وفرسان الميدان بتضاعف انصارهم واشياعهم ، كما وبدأوا العمل لاقامة اسس

تاريخ فكيف نعمل بها في هذه الحالة . .

لذا جمع عمر بن الخطاب أصحاب رسول الله (ص) سنة ١٧ هجرية واستشارهم (كعادته) فيما دهمه من الحيرة والإرتباك في صدد الوقت ، وطلب منهم وضع تاريخ للمسلمين يتعاملون عليه ، فقال بعضهم نكتب على تاريخ الرومان فقبل أنه يطول علينا وقال الآخرون بل نكتب على تاريخ الفرس فقبل أن الفرس كانوا كلما قام منهم ملك طرح التاريخ الذي قبله وسار على تاريخ جديد ، فاختلفوا بصدد التاريخ أشد الاختلاف وأعظمه . .

وفي الأخير اتفق الجميع من دونما استثناء على الإقتراح المقدم من قبل الإمام علي بن أبي طالب - ع - والذي أشار فيه إلى أن أظهر الأوقات وأبعدها عن الاختلاف هو إتخاذ الهجرة النبوية وموافة الرسول ﷺ المدينة كبداية للتاريخ الإسلامي ، وحيث أن الهجرة كانت في شهر ربيع الأول لذا أضافوا الأشهر التي تسبق الربيع ليبدأوا بما إعتادوا به السنة وهو شهر المحرم وقد أرخ منه . .

أما عن علة ترك المولد والمبعث والوفاة وبقية الوقائع والحوادث كبداية للتاريخ الإسلامي ، فذكر أن كلاً من المولد والمبعث فيهما خلاف عن وقتها الصحيح ، أما عن وفاته (ص) فإنه وإن كان معلوماً لدى الجميع إلا أنه رؤي أنه من غير المستحسن أن يؤرخ التاريخ به وذلك خشية أن يصبح يوم وفاته (ص) عيداً وفرحاً للمسلمين يحتفلون به في كل عام . .

لذا إتفق الجميع على إتخاذ الهجرة النبوية كتاريخ للمسلمين لأنها أدت إلى إرتفاع كلمة الإسلام وإدبار الكفر ونجاة الرسول (ص) من طغيان وجبروت مشركي مكة ، وقد توالى بعدها مباشرة الفتوحات والانتصارات حتى فتحت أبواب مكة بوجه الرسالة الجديدة ودخل أهلها في ظل الإسلام وخفق علم الإسلام في المشرق والمغرب . (بتصرف عن عدة كتب وأهمها كتاب الآثار الباقية عن القرون الخالية - لأبي الريحان البيروني) .

الدولة الفتية وثبتت دعائمها واركانها، وقد تطور حالهم بمرور الوقت إلى القوة والكثرة والايمان حيث لم يجد المكيون ازائه إلا الانحناء وتسليم مفاتيح بلدهم لهم وهم صاغرون . .

لهذا كان أمراً طبيعياً ان تتجاوب الآيات المنزلة على الرسول (ص) وتتفق مع سير هذه الأحداث وتطورها من بدء الدعوة في مكة المكرمة إلى رحيله (ص) إلى المدينة وإلى الوقت الذي توقف الوحي من النزول إلى الأرض بعد اكمال الرسالة واتمام النعمة . .

فما نزل في مكة المكرمة وحالة المسلمين يرثى لها والدعوة لا تزال في منطلقها في حاجة إلى الناصر والمعين تختلف عن الآيات النازلة في المدينة المنورة حيث تنفس فيها المسلمون الصعداء حيث أصبحت لهم ملجأ ومأوى واخذوا من هناك في بناء امة وبعث دولة قدر لها ان تمتد في بحر سنوات معدودة إلى كل ما كان معروفاً من المعمورة حيث ترفع علماً في أقصى المشرق عند تخوم الصين وآخر في أقصى المغرب عند شواطئ المحيط الأطلسي .

وعلى هذا الأساس امكن تصنيف وترتيب الآيات الكريمة إلى قسمين دعي أحدهما بالمكي بينما وضع للثاني اسم المدني وامكن أيضاً هنا تبيان خصائص ومميزات كل منهما في نقاط عدة حيث في الامكان معرفة مكان نزول الآية بمجرد قراءتها أو الوقوف عليها عن كتب . .

هذا واذا امكن تلمس الخطوط العريضة لمواقع نزول الآيات إلا ان الرواة والمؤرخين اختلفوا من بعد في سبب تسمية الآيات بالمكية أو المدنية فضلاً في تحديدها الدقيق حيث افرقت آراؤهم - من أجل الوصول إلى الحقيقة وليس هذا هو دأبهم هنا - إلى عدة اتجاهات امكن ايجازها وحصرها في أربعة نقاط رغم ان الأولى هي التي تحظى بأكثر الأصوات وغالبية الآراء . . والنقاط الأربعة هي :

١ - ان المشهور بين الناس والمتعارف ما بينهم هو « ان المكي ما نزل قبل الهجرة المباركة سواء انزل في مكة أو في خارج مكة »^(٤) وهي المدة التي امتدت إلى ١٣ سنة كاملة أو على وجه التحديد ١٢ سنة و ٥ اشهر و ٣ أيام وتكوّن الآيات المكية ما يقرب من ٦٣٪ من عموم القرآن أي ١٩٠ منه في ٩١ سورة منه أيضاً . .

وان المدني من القرآن هو « ما نزل بعد الهجرة سواء نزل في المدينة ذاتها أو في مكة أو الجحفة أو غدير خم »^(٥) وهي المدة التي امتدت إلى ٩ سنوات أو على وجه الحصر ٩ سنوات و ٩ أشهر و ٩ أيام وتكوّن ٣٧٪ أي ١١٠ من عموم القرآن الكريم وهو مجموع ٢٣ سورة . .
وهناك من « اعتبر السور المكية (٨٥) سورة والمدنية (٢٩) سورة »^(٦) وفقاً للتقسيم اعلاه .

وعلى هذا الرأي - كما قلنا - تشير الغالبية العظمى من رواة المسلمين ومؤرخيهم وهو المعول عليه في المصاحف المتداولة من ان السورة الفلانية مكية أو مدنية . .

كما ونشير هنا إلى ان « السورة هي مكية اذا نزل أولها في مكة قبل الهجرة وان تخللتها آيات مدنية أو كان تمامها بالمدينة ، والمدنية اذا نزل أولها بعد الهجرة بالمدينة وان تخللتها آيات مكية »^(٧) .

ولا عبرة في هذه الحالة لرجحان الآيات المكية على المدنية أو بالعكس في داخل السور على صفتها ، وانما العبرة على اوائل السور ، فسورة الماعون - مثلاً - نزلت آياتها الثلاثة الأولى في مكة بينما نزلت

(٤) ، (٥) الإتقان في علوم القرآن - جلال الدين السيوطي .

(٦) دراسات في علوم القرآن - عبد القهار العاني .

(٧) علوم القرآن - أحمد عادل كمال .

البقية وهي أربع آيات في المدينة ، ورغم ذلك فقد سميت مكة وهكذا الحال في بقية السور . .

وهناك من يخالف هذا الرأي حيث ان لديهم « ان وصف السورة بالمكية أو المدنية ان كانت آياتها كذلك ويجوز ان تضم السورة المكية آيات مدنية أو بالعكس ، والعبرة هنا عندهم بحسب اكثر الآيات في السورة فان كانت مدنية اصبحت مدنية وإلا فمكية . . ويأتي الوصف هنا للسورة بأنها مكية إلا الآيات كذا فمدنية . . وبالعكس^(٨) . .

٢ - وقيل ان المكي ما نزل بمكة وضواحيها كمنى وعرفات والحديبية ولو بعد الهجرة ، أما المدني من القرآن - لديهم - فهو ما نزل بالمدنية وضواحيها كاحد وقبا ، وأما ما نزل بين المدينتين فينسب إلى أقربهما مسافة .

٣ - وقيل أيضاً ان المكي ما جاء خطاباً لأهل مكة بينما المدني ما وقع خطاباً لأهل المدينة ، وهذا قول ضعيف لأن آيات القرآن موجهة ومتخصصة للخلق كافة وليس لسكان مدينة معينة ليصح هذا التمييز . .

٤ - وقيل أخيراً ان المكي ما نزل بمكة والمدني ما نزل بالمدينة ، وحينئذ يكون ما نزل في غيرهما ليس بمكي ولا مدني وإنما هو قسم مستقل عنهما يحمل اسم المكان أو المنطقة الذي نزل به .

أما عن الفائدة والغاية في تقسيم آيات القرآن الكريم إلى مكية ومدنية فهي :

١ - معرفة ما يوجد في القرآن من ناسخ ومنسوخ ليتمكن الأخذ والعمل بالناسخ وإطراح العمل بالمنسوخ وخصوصاً في مجالات الأحكام والتشريع . .

(٨) التعبير الفني في القرآن - الدكتور بكري شيخ أمين ، مباحث في علوم القرآن - مناع القطان .

علماً بأن نسخ الحكم في آية معينة لا يعني ان قرآنيها قد سقطت بذلك ، بل تظل قرآناً يتلى ويتعبد به وهي من كلام الله ولكن يبطل العمل بها لمكان الآية التي نسختها^(٩) . .

٢ - الاطلاع على المراحل والخطوات التدريجية التي قطعها التشريع والوقوف على كيفية وطريقة نزول الاحكام وتكاملها واسلوب الدعوة . .

٣ - الإستعانة على تفسير القرآن لأن معرفة مواقع النزول تساعد على فهم الآية وتفسيرها بصورة صحيحة^(١٠) . .

٤ - الوقوف على السيرة النبوية من خلال الآيات القرآنية ، لأن تتابع الوحي على النبي ساير تاريخ الدعوة بأحداثها منذ بدأ الوحي حتى نزول آخر آية^(١١) . .

اما عن الفروق والمميزات بين كل من الآيات المكية والمدنية وخصائص كل منهما فهي :

١ - ان الناظر إلى الآيات المكية يراها بصورة عامة قصار الحجم وذات حرارة في التعبير وتجانس في الصوت بالتزامها بنغمات موسيقية معينة للآيات المدنية التي تكون عموماً طويلة وذات أسلوب تشريعي هادئ ، ودليل القصر والطول هو « ان الصور المدنية التي تزيد على ٣٧٪ من القرآن بقليل يبلغ مجموع آياتها ١٤٥٦ آية ، أي أقل من ربع القرآن^(١٢) وهذه الميزة هي الغالبة في الآيات هذه وان كان لها شذوذ واستثناءات قليلة . .

٢ - ان خطاب الله تعالى للجمهور في الآيات المدنية يغلب عليها قوله

(٩) التعبير الفني في القرآن - الدكتور بكري شيخ أمين .

(١٠) ، (١١) مباحث في علوم القرآن - مناع القطان .

(١٢) تاريخ التشريع الإسلامي - الشيخ محمد الخضري .

« يا ايها الذين آمنوا » وهذا وضع طبيعي إذا ما علمنا بأن غالبية الناس في البيئة الحجازية في العهد المدني قد تحولت إلى الاسلام أو هي في الطريق إليه . .

أما السور المكية فلا نشاهد فيها قوله تعالى : ﴿ يا ايها الذين آمنوا ﴾ بل تطالعنا عوضها قوله تعالى : ﴿ يا ايها الناس ﴾ وكلما ورد في الآيات المدنية من وقوله : ﴿ يا ايها الناس ﴾ لا يتجاوز السبع مرات فقط . .

وعلة ورود « يا أيها الناس » في الآيات المكية هو ان عدد المسلمين في العهد المكي كان يعد على الأصابع ولما كانت الآيات تهبط لتخاطب الأكثرية (وهم الكفار حينئذ) لتمهد لهم طريق الايمان والاسلام كان أمراً مسلماً ان تخاطبهم بلفظ الناس ، وهذا اللفظ يستوعب الكفار كما يستوعب ويسع في نفس الوقت المسلمين في المخاطبة . .

٣ - ليس في معظم الآيات المكية تفصيلات التشريعات والقوانين بل هي تدعو دوماً للتمسك بالاخلاق الكريمة والاستقامة على الخير ونبذ عادة عبادة الأوثان ثم الايمان بالبعث بعد الموت والحساب في يوم الجزاء ، بسبب ان الاسلام لم يزل حينئذ غصاً طرياً وان الحاجة الملحة كانت تدعو أولاً لتصحيح الاعتقاد عن طريق انتزاع عقيدة الشرك وتثبيت عقيدة التوحيد واقامة مختلف الأدلة والبراهين على اثباتها فضلاً عن تحذير العصاة والكافرين من العذاب الأليم والعقاب الجسيم بعد الموت . .

اما التشريع التفصيلي كالمعاملات والقوانين الاجتماعية والدولية والحدود والفرائض وتفصيلها فتحفل بها الآيات المدنية ، بسبب ان سلطان الاسلام قد استتب على أطراف البلاد ، كما وأخذت أنواره واشعته تتجه إلى خارج الجزيرة العربية ، وهذا الحال يتطلب بيان

الأحكام التفصيلية في تنظيم المجتمع وتسيير دفته إلى شاطئ السلامة فضلاً عن كشف أنواع الروابط التي تنظم العائلة والفرد والذي يتألف منها هذا المجتمع . .

ومن عبر كل هذا يمكن ان يقال بان الآيات المكية عالجت شؤون الدعوة بوصفها تعبيراً عن عقيدة ، بينما الآيات المدنية عالجت بوصفها تعبيراً عن عقيدة مجسدة في دولة ومجتمع . .

هذا وليس كلما ذكر آنفاً هو كل الخصائص والفوارق بين المكي من الآيات والمدني منها . بل سعى البعض من أهل العلم في البحث عن معايير ونقاط أخرى تميز المكي من الآيات عن المدني ، حيث امكن لهم استخراج الفروق التالية لتضاف إلى السابقة وهي لذلك تعقب السابقة في التسلسل العددي . .

٤ - ان كل سورة فيها سجدة هي مكية .

٥ - ان كل سورة فيها لفظ « كلا » هي مكية أيضاً ، وقد ذكرت هذه اللفظة ٣٣ مرة في ١٥ سورة ، وكلها تقع في النصف الأخير من القرآن ، وليس في النصف الأول منها شيء ، وحكمة ذلك هو ان « النصف الأخير نزل اكثره في مكة واكثر أهلها وسكانها من الطفلة والجبابرة فتكررت هذه اللفظة على وجه التهديد والتعنيف لهم والانكار عليهم بخلاف النصف الأول وما نزل منه في اليهود لم يحتج إلى ايرادها فيه لذلك وضعفهم » (١٣) .

وبصدد نزولها في مكة ومكانها من القرآن قال الشاعر :

وما نزلت « كلا » بيثرب فاعلمن ولم تأت في القرآن في نصفه الأعلى

٦ - ان كل سورة فيها قسم يترجح مكيتها وهي تأتي فاتحة للسور

المكية نحو والصفات والذاريات والضحى والعصر .

(١٣) البرهان في علوم القرآن - بدر الدين الزركشي .

ويأتي القسم لأجل تنبيه اذهان السامعين وتعظيم المقسم به وللتأكيد على وحدانية الله تعالى واثباته . .

٧ - ان كل سورة فيها قصة أبي آدم وزوجته حواء وقصة ابليس هي مكية عدا سورة البقرة . .

٨ - ان كل سورة تفتح بالحروف المتقطعة^(١٤) مثل « الر » ونحوهما هي مكية عدا الزهراوان (البقرة وآل عمران) وفي الرعد خلاف . .

٩ - ان كل سورة فيها ذكر للمنافقين فهي مدنية عدا سورة العنكبوت . .

١٠ - ان كل سورة ذكرت فيها الحدود والفرائض فهي مدنية . .

١١ - ان كل سورة فيها اذن ودعوة للجهاد أو ذكر له أو بيان لاحكامه فهي سورة مدنية . .

١٢ - ان كل سورة فيها احوال القرون والأمم الماضية وقصص الأنبياء والمرسلين فهي مكية عدا البقرة . .

١٣ - ان كل سورة فيها مجادلة أهل الكتاب فهي مدنية . .

هذا ونشير هنا إلى انه قد تنزل سورة مدنية وهي تحمل بعض خصائص الأسلوب الشائع في السور المكية أو تنزل سورة مكية وهي تحمل بعض خصائص الأسلوب الشائع في السور المدنية^(١٥) إلا ان هذه هي من الاستثناءات والشواذ التي تلتصق بكل قاعدة ، والراجع المشهور ان الخصائص اعلاه هي التي تميز الآيات المكية عن المدنية . .

(١٤) سيرد شرح هذه الحروف في فصل لاحق . .

(١٥) موجز علوم القرآن - داود العطار .

الناسخ والمنسوخ
في القرآن



مركز تحقيقات علوم القرآن



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

النسخ في اللغة والقاموس هو بمعنى الإزالة والتغيير والتبديل والتحوير وإبطال الشيء ورفع وإقامة شيء مقام شيء ، فيقال نسخت الشمس الظل : أي أزالته . .

وتعريفه هو رفع حكم شرعي سابق بنص شرعي لاحق مع التراخي والزمان بينهما ، أي يكون بين الناسخ والمنسوخ زمن يكون المنسوخ ثابتاً وملزماً بحيث لو لم يكن النص الناسخ لاستمر العمل بالسابق وكان حكمه قائماً^(١) . .

وباختصار النسخ هو رفع الحكم الشرعي بخطاب قطعي للدلالة ومتأخر عنه أو هو بيان انتهاء أمدّه والنسخ « جائز عقلاً وواقع سمعاً في شرائع ينسخ اللاحق منها السابق وفي شريعة واحدة »^(٢) .

وحكم الناسخ والمنسوخ يلزم أن يتقنه ويتعلمه كل من يتصدى لتفسير القرآن أو لبيان الأحكام التشريعية والفقهية من المفسرين والفقهاء وأهل الحل والعقد حتى يكون في مكنتهم الوقوف على الأحكام التي يعمل بها من القرآن من تلك المنسوخة التي لا يعمل بها . .

وبهذه المناسبة نورد كلمة موجزة للإمام علي - ع - بصدد الناسخ والمنسوخ وضرورة تعلمها فإنه - الإمام - مرّ على قاضٍ من القضاة فقال

(١) الشافعي - محمد أبو زهرة .

(٢) أصول الفقه - الشيخ محمد الخضري .

له : أتعرف الناسخ من المنسوخ فأجاب بقوله : لا بل الله اعلم فبادره الامام بقوله : هلكت واهلكت الخ (٣) .

وطبيعي هنا ان القاضي - أي قاضي - يلزم ان يكون سباقاً في معرفة الناسخ والمنسوخ لئلا يطبق حكماً كان قد نسخ مفعوله فيهلك هو ويهلك معه ضحيته . .

ويروى بهذا الصدد أيضاً عن ابن عباس انه قال في قوله تعالى : ﴿ ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً ﴾ (٤) قال : المقصود من ذلك ناسخه ومنسوخه ومحكمه ومتشابهه ومقدمه ومؤخره وحرامه وحلاله . .

والنسخ في اصطلاح الفقهاء يطلق على معنيين اثنين هما :

١ - « ابطال الحكم المستفاد من نص سابق بنص لاحق » (٥) ومثال ذلك يتجلى ساطعاً وواضحاً في آية النجوى بقوله تعالى : ﴿ يا ايها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة ذلكم خير لكم واطهر إن لم تجدوا فإن الله غفور رحيم ﴾ (٦) .

فالآية المتقدمة قد نسيخت بالآية التالية وهي قوله تعالى : ﴿ ءاشفقتم أن تقدموا بين يدي نجواكم صدقات فإذا لم تفعلوا وتاب الله عليكم فاقموا الصلاة وآتوا الزكاة واطيعوا الله ورسوله والله خير بما تعملون ﴾ (٧) .

والآية الكريمة الأولى المنسوخة لو فتننا عنها في بطون الكتب وزواياه بقصد معرفة من الذي عمل بها من الخلق قبل ان ينالها النسخ

(٣) الإتيان في علوم القرآن - جلال الدين السيوطي ، البرهان في علوم القرآن - بدر الدين الزركشي .

(٤) البقرة - ٢٦٩ .

(٥) تاريخ التشريع الإسلامي - الشيخ محمد الخضري .

(٦) المجادلة - ١٢ .

(٧) المجادلة - ١٣ .

بالآية التالية لألفينا جلياً انه لم يعمل بها أحد في التاريخ - من حين نزولها حتى نسخها - إلا شخص واحد فقط هو امام الهدى علي بن أبي طالب - ع - حيث ما ان أطلت بشائر هذه الآية على قلب الرسول (ص) وتداولت بين الأصحاب حتى اسرع الإمام بتفريق دينار كان لديه إلى عشرة دراهم كان يدفع منها درهماً واحداً إلى الفقراء والمساكين عند كل لقاء يسجله مع الرسول (ص) ، بينما تقاعس أو تخلف غيره عن ذلك مما حدا الله سبحانه عطفاً ورحمة بهؤلاء النفر وتخفيفاً عنهم إلى ان يوعز للأمين جبرائيل لينقل الآية الثانية إلى صدر الرسول لتنسخ حكم ومفعول الأولى ولتجعل مواجهة الرسول (ص) أو زيارته مجاناً ومن دون مقابل يذكر . .

لذا ينقل عن الامام علي - ع - في احدى خطبه قوله : « ان في كتاب الله آية لم يعمل بها أحد سواي » ويعني الامام بذلك آية النجوى المتقدم ذكرها . .

ومن هذا النوع من النسخ أيضاً قوله تعالى : ﴿ والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً وصيةً لأزواجهم مما كانوا له » (٨) فهذه الآية تشير إلى ان عدة المتوفي عنها زوجها يمتد إلى حول كامل (سنة كاملة) ثم نسخ هذا الحكم بالآية الثانية وهي قوله : ﴿ والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشراً » (٩) وهذه الآية تدل على أن عدة المتوفي عنها زوجها هي أربعة أشهر وعشرة أيام فقط أي « ١٣٠ » يوم وهو الحكم المعمول به حالياً عند الناس والمعمول به في المحاكم الشرعية . .

٢ - « رفع عموم نص أو تقييد مطلقه » (١٠) ، ومثال الشطر الأول

(٨) البقرة - ٢٤٠ .

(٩) البقرة - ٢٣٤ .

(١٠) تاريخ التشريع الإسلامي - الشيخ محمد الخضري .

« رفع العموم » هو قوله تعالى : ﴿ والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء ﴾^(١١) وهذا نص عام يسري على من دخل بها ومن لم يدخل بها ولكن نزلت بعد ذلك آية أخرى اعطيت المرأة غير المدخول بها حكماً خاصاً وهو قوله : ﴿ يا أيها الذين آمنوا إذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل أن تمسوهن ما لكم عليهن من عدة تعتدونها ﴾^(١٢).

أما أمثال الشطر الثاني « تقييد المطلق » فهو قوله سبحانه ﴿ حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير ﴾^(١٣) فالنص المتعلق بالدم هنا نص مطلق للدم المرمّ بينما قيّدَتْ آية تالية ذلك وجعلته الدم المسفوح فقط وهو قوله تعالى : ﴿ قل لا أجد فيما أوحى محرماً على طاعم يطعمه إلا أن يكون ميتة أو دماً مسفوحاً أو لحم خنزير ﴾^(١٤).

هذا ونشير إلى أنه لم ترد في القرآن الكريم قواعد صريحة وضوابط واضحة في مسائل النسخ أو الإشارة إلى الآيات الناسخة والمنسوخة عدا التلميح العابر إليها في عدة مواضع فيه ودونما أي تفصيل أو شرح وهو قوله تعالى : ﴿ ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها ﴾^(١٥) وقوله تعالى : ﴿ وإذا بدلنا آية مكان آية والله أعلم بما ينزل قالوا إنما أنت مفتر بل أكثرهم لا يعلمون ﴾^(١٦).

إضافة إلى الإشارة إليها في بعض الأحاديث النبوية المنقولة عن

(١١) البقرة : ٢٢٨ ، والقرء هو الطهر الذي يقع ما بين الحيضتين ، وقيل إن القرء هو الحيضة وهي العادة الشهرية التي تتاب المرأة لأيام معدودة في الشهر وعندما تكون غير حامل وغالباً غير مرضع ..

(١٢) الأحزاب : ٤٩ .

(١٣) المائدة : ٣ .

(١٤) الأنعام : ٤٥ .

(١٥) البقرة : ١٠٦ .

(١٦) النحل : ١٠١ .

الرسول (ص) وفي الكلمات والأخبار الواردة عن طريق أهل بيت النبوة وعن طريق الصحابة . .

لذا فالأصل في آيات القرآن الكريم برمتها هي الاحكام لا النسخ وحتى يقوم الدليل الصريح والقرينة الواضحة على النسخ فيؤخذ به في العمل . .

علماً بأن النسخ لا يكون إلا في الاحكام الفرعية العملية من اوامر ونواهي - ولو بلفظ الخبر - ولا يكون في أصول العقائد وامهات الفضائل والأخبار^(١٧) والتاريخ والوعد والوعيد والقصص والمواعظ وغيرها . . هذا ويمكن اجمال طرق معرفة الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم بالنقاط التالية :

- ١ - النقل الصريح عن الرسول (ص) أو عن صحابي .
 - ٢ - اجماع الأمة على ذلك .
 - ٣ - معرفة المتقدم من المتأخر في التاريخ مع وجود التعارض بين النصين ، ولا يمكن معه التوفيق بينهما^(١٨) .
- لذا لا يعتمد في النسخ على الاجتهاد أو أقوال المفسرين أو التعارض ما بين الأدلة ظاهراً .
- اما شروط النسخ فهي ستة^(١٩) وها نحن أولاء نورد لها أدنباه مختصرة . .

- ١ - نزول الناسخ بعد المنسوخ .
- ٢ - ألا يكون المنسوخ خيراً بل حكماً شرعياً .
- ٣ - أن يكون هناك تخالف في الحكم بين النصين .

(١٧) ، (١٨) التعبير الفني في القرآن - الدكتور بكري شيخ أمين .
(١٩) النسخ في الشريعة الإسلامية - عبد المتعال الجبري .

- ٤ - أن يكون المنسوخ غير متعلق بوقت معين .
- ٥ - أن يكون الناسخ موجباً للعلم والعمل .
- ٦ - أن ينسخ الحكم الأخف الأثقل أو المساوي له .

وذكر هنا في أسباب النسخ الحقيقية وعلمته انها تعود لمصلحة وحكمة يراها الله سبحانه ولأجل التخفيف عن كاهل الناس والتيسير عليهم تمشياً مع التدرج في التشريع حتى تطمئن إليه النفوس ويستقر على الوضع الأخير والنهائي والذي لا يمكن أن يناله التغيير أو التعديل ليكون بذلك القاعدة الفقهية المشهورة وهي « لا ينكر تغيير الاحكام بتغيير الزمان » (٢٠) .

هذا وقد بحث العلماء والفقهاء بعد ذلك في مدى وسلطان الآيات الكريمة والسنة النبوية المطهرة في نسخ أحدهما للآخرى أو النسخ فيما بينها وقد امكن جمع أقوالهم واختصارها فيما يلي :

لقد اتفق الجميع وكل من خاض في بحث الناسخ والمنسوخ إلى ان النص لا ينسخه إلا نص في قوته أو أقوى منه ، والنص الأقل قوة لا ينسخ الأقوى ، وحيث ان المصدرين الأساسيين للشرعية هما القرآن والسنة وان بقية المصادر هي تابعة للقرآن والسنة ، فمن المحال هنا ان ينسخ القرآن أو السنة أي قياس أو اجتهاد (٢١) ، وانما يكون النسخ على الوجه التالي :

(٢٠) هذه هي قاعدة فقهية تأخذ بها المحاكم المدنية وغيرها من المعاملات والدعاوى المقامة فيها وهي إحدى القواعد التي كانت تضمها (المجلة) قبل الغائها ونقلها مع كثير من الأحكام إلى القوانين المدنية السارية في الوقت الحاضر .

(٢١) التشريع الجنائي الإسلامي - عبد القادر عودة .

١ - لا ينسخ القرآن إلا بقرآن مثله^(٢٢) وذلك استناداً لآيات النسخ المنوّه عنها قبل قليل ، وطبيعي ان المراد هنا من القرآن هو آياته الكريمة . .

٢ - ينسخ القرآن بالسنة النبوية^(٢٣) : وذلك لأن السنة هي أيضاً من عند الله تعالى وان كل ما يرويه أو ينطق به الرسول (ص) من الأحاديث يجب اتباعها والالتزام بها كإتباع آيات القرآن الكريم والإذعان لها لأن الرسول (ص) معصوم من الزلل والسهو والنسيان بقوله تعالى : ﴿ وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى ﴾^(٢٤) ولأن تفسير آيات القرآن وبيان اغراضها ومعانيها هو من أولى مهام الرسول (ص) وواجباته ، فطبيعي ان يلتزم الفرد بكل هذا وان يعمل به كالتزامه وعمله بالآيات الكريمة نفسها . .

والسنة هنا يجب أن تكون متواترة وقطعية ، أما خبر الواحد (الأحاد) فلا يصلح أن يكون ناسخاً للقرآن باجماع المسلمين ، لأن القرآن متواتر يفيد اليقين ، وخبر الأحاد مظنون ولا يصح رفع المعلوم بالمظنون وانما يقوم خبر الأحاد بنسخ بعضه بعضاً . .

هذا ولم نعدم هنا افراداً قلائل ومنهم الامام الشافعي يذهبون إلى قصر نسخ القرآن على القرآن فقط وان السنة لا يمكن ان تكون ناسخة للقرآن وانما هي تبع للكتاب بمثل ما نزل به نصاً ومفسرة ما انزل الله سبحانه منه جملاً ، وان السنة انما تنسخ السنة فقط وكل ما وجد من نسخ للقرآن بالسنة فمعها قرآن يعضده ، وحيث وقع نسخ في السنة بالقرآن فمعه سنة عاضدة له . .

وأدلة هؤلاء القلة بصدد عدم امكان نسخ القرآن بالسنة وان كانت

(٢٢) ، (٢٣) البرهان في علوم القرآن - بدر الدين الزركشي .

(٢٤) النجم : ٤٠٣ .

الأخيرة متواترة وقطعية هي (٢٥) :

١ - ان القرآن أصل ولفظه معجزة في حين ان السنة فرع من القرآن وانها ليست بمعجزة مثله . .

٢ - إن معنى قوله تعالى : ﴿ قل ما يكون لي أن أبدله من تلقاء نفسي إن أتبع إلا ما يوحى إليّ إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم ﴾ (٢٦) هو أن الله تعالى فرض على رسوله إتباع ما يوحى إليه وإن النبي (ص) مأمور بان لا يبدل أحكام القرآن من تلقاء نفسه . .

٣ - ان الآية الأخرى وهي قوله تعالى ﴿ ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها ﴾ (٢٧) معناها أن نسخ الآية لا يكون إلا بآية من عند الله تعالى ولا يكون ذلك لأحد من الخلق . .

وكل هذه الحجج وغيرها وان كانت ظاهرة الوجاهة والقبول إلا انها لا تقف بوجه وازاء ما ذهبنا إليه آنفاً من ان اقوال الرسول (ص) واحاديثه هي من عند الله تعالى ولا يمكن ان يشوبها شيء من الهدى أو الضلال وانها ملزمة لزوم الآيات نفسها

كما ولم نعدم افراد قلائل يعدّون على الأصابع ان لم يكونوا دونها ومنهم أبو مسلم الاصفهاني المعتزلي صاحب كتاب (جامع التأويل في التفسير) والمتوفى عام ٣٢٢ هجرية ينسفون ويبطلون النسخ مهما كان لونه وشكل جملة وتفصيلاً (٢٨) مؤيدين دعاواهم بأدلة واهية لا تقف على قدميها وهي أوهى من بيت العنكبوت منها ان القرآن الكريم سجل الشريعة وهو الباقي الخالد إلى يوم الدين وما يدعى نسخه منه يمكن

(٢٥) النسخ في الشريعة الإسلامية - عبد المتعال الجبري .

(٢٦) يونس : ١٥ .

(٢٧) البقرة : ١٠٦ .

(٢٨) النسخ في الشريعة الإسلامية - عبد المتعال الجبري .

التوفيق والملائمة ما بينه وبين ما يدعى ناسخه بإيسر سبيل ، ولا يصرار إلى النسخ إلا إذا تعذر التوفيق الخ .

وطبيعي ان هذا الادعاء أو غيره لا يذهب إليه إلا القليل من المسلمين وهي ادعاءات وحجج لا تقف على قدميها وانها من بعد تصطدم مع حجج الغالبية العظمى من المسلمين والمدعمة بأوثق الأدلة واسطع البراهين^(٢٩) . .

لذا فالنسخ قد اجمع كافة المسلمين على وقوعه في القرآن على معنى رفع الوحي وتبديله ، اما من يذهب إلى انه لا يجوز النسخ في شريعة واحدة فهو ادعاء غريب وعجيب لأن انكار النسخ مع صحة الاسلام أمر غير متصور ولا مقبول . .

هذا وبصدد تحديد موقع النسخ والمنسوخ في القرآن فان القاعدة العامة والأصل العام في النسخ هو أن السور التي لم يحدث في آياتها تعديل أو نسخ فهي السور المكية ، بينما حدث النسخ في السور التي كثرت فيها احكام التشريع وهي السور المدنية وان كانت هناك بعض الاستثناءات القليلة . .

وعلى هذا فالسور التي وجد فيها ناسخاً ومنسوخاً هي (٢٥) سورة منها سورة البقرة وآل عمران والنساء والمائدة الخ وكلها و (٤٠) سورة في القرآن - من غير ما ذكر - فيها احكام منسوخة فقط، منها سورة الفتح والحشر والمنافقون . . . الخ و (٤٠) سورة في القرآن - من غير ما ذكر - فيها احكام منسوخة فقط .

اما ما بقي من السور وعددها (٤٤) سورة وردّ انها خليت من أي ناسخ أو منسوخ .

(٢٩) البرهان في علوم القرآن - بدر الدين الزركشي .

ونشير بعد هذا إلى ان الحكمة من نزول آيات النسخ يمكن
اجمالها في النقاط التالية (٣٠).

- ١ - مراعاة مصالح العباد . .
 - ٢ - تطور التشريع إلى مرتبة الدعوة وفقاً لسير وتطور الدعوة وحال
الناس . .
 - ٣ - تقييم الأفراد واختيارهم بالامثال للاحكام من عدمه . .
 - ٤ - ارادة الخير للأمة والتيسير عليها ، لأن النسخ ان كان إلى اشق
ففيه زيادة في الثواب وان كان إلى اخف ففيه تيسير ورافة بهم . .
- وأخيراً فقد قسم البعض أنواع المنسوخ من الآيات إلى ثلاثة أقسام
هي : (٣١)

١ - ما نسخ حكمه وبقي خطه (تلاوته ، لفظه) : وهذا القسم هو
المشهور بين العلماء والمفسرين وقد الفت حوله أنواع مختلف البحوث
والدراسات ، ومن هذا القسم آية النجوى وآية العدة في المتوفى عنها
زوجها كما تقدم بيانه .

٢ - ما نسخ خطه (تلاوته) وبقي حكمه ومنه آية الرجم حيث ان
وجوب الرجم على المحصنة الزانية لا خلاف فيه بين الفقهاء ، وان
بعضهم قال ان الآية التي كانت متضمنة لهذا الحكم منسوخة بلا خلاف
وهي قوله : ﴿ الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة نكالا من الله والله
عزیز حكيم ﴾ . .

٣ - ما نسخ خطه (تلاوته) وحكمه معاً : ومنه ما روي عن أم

(٣٠) مباحث في علوم القرآن - مناع القطان .

(٣١) تفسير التبيان - أبو جعفر الطوسي ، النسخ في الشريعة الإسلامية - عبد
المتعال الجبري ، البرهان في علوم القرآن - بدر الدين الزركشي .

المؤمنين عائشة قولها : انه كان فيما انزل الله من القرآن أن عشر رضعات
معلومات يحرم من ، ونسخ ذلك بخمسة معلومات فتوفي رسول الله (ص)
وهن فيما يقرأ من القرآن^(٣٢) فنسخت التلاوة والحكم . .

ويصدد هذه الأقسام فإن بعض المسلمين يدعّمها كلها بينما
يذهب البعض إلى عدم تأييد ودعم القسمين الثاني والثالث أو الثالث
فقط لأن « بعضها قد جاء عن طريق وآيات الأحاد والتي لا يحتج بها في
اثبات النسخ »^(٣٣) . .

كما ولخص البعض بطلان نسخ التلاوة بالأسباب التالية :^(٣٤)

- ١ - لكون الأخبار الخاصة بها آحاد غير متواترة . .
- ٢ - ان الأخبار هذه متعارضة في نفسها من جهات شتى . .
- ٣ - وجود الاختلاف والتعارض بين الأخبار والروايات من جهة
تعيين لفظ الآيات والسور التي يقال بنسخ تلاوتها . .

مركز تحقيق تكملة علوم رسول

(٣٢) صحيح مسلم - أبو الحسين مسلم بن الحجاج النيشابوري .

(٣٣) البرهان في علوم القرآن - بدر الدين الزركشي .

(٣٤) منهج البيان في تفسير القرآن - ابن الحسن الرضوي .



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

مُحْكَمُ الْقُرْآنِ وَمُتَشَابِهُهُ

مركز تحقیقات کتب ویراث علوم اسلامی



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

يعرف المحكم بأنه الاتقان وعدم تطرّق الاختلاف والالتباس اليه
وما يحتمل وجهاً واحداً ويقول آخر ان معناه يدل عليه بوضوح لا خفاء
فيه ويشمل النص والظاهر . .

فالنص والظاهر يدلان على المعنى البارز المطلوب ، ومن هذا
النوع أصول الدين واصول الاحكام . .

اما المتشابه فهو ما يحتمل وجوهاً عدة أو ان يشابه بعضه بعضاً أو
ان يشبه اللفظ واللفظ في الظاهر والمعنيان مختلفان ، والمتشابه يفتقر
إلى الدلالة الراجعة على معناه ويشمل المجمل والمؤول والمشكل . .

وفي كتاب الله العزيز آيات محكمة ومتشابهة اشارت اليها آيات
عدة بكل صراحة ووضوح منها قوله تعالى : ﴿ هو الذي انزل عليك
الكتاب فيه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات فأما الذين في
قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله ، وما يعلم
تأويله إلا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما
يذكر إلا أولو الألباب ﴾ (١).

وهناك من قال بأن القرآن كله محكم لقوله تعالى : ﴿ كتاب احكمت
آياته ﴾ (٢) وآخرون يرون بأن كله (القرآن) متشابهاً لقوله تعالى : ﴿ الله
انزل احسن الحديث كتاباً متشابهاً مثاني ﴾ (٣).

(١) آل عمران : ٧ .

(٢) هود : ١ .

(٣) الزمر : ٢٣ .

ان الرأي الأول - والمتعلق بوجود المحكم والمتشابه - هو المعول عليه وبه يأخذ الغالبية من الفقهاء والمجتهدين قديماً وحديثاً . .

اما الحكمة والفلسفة في انزال المتشابه من الآيات فهو « حث الناس على المثابرة والسعي والعمل على كشفها وبالتالي ليرتقي المتعلم فيها رتبة بعد رتبة حتى يبلغ منتهاه ويدرك اقصاه ، ولتكون للعالم فضيلة النظر وحسن الاستخراج ولتقع المشوبة من الله جل شأنه على قدر العناية ، ولو كان كل العلوم أو كل القرآن شيئاً واحداً لم يكن عالم ولا متعلم ولا خفي ولا جلي »^(٤) و « لبطل التفاضل بين الناس وسقطت المحنة وماتت الخواطر »^(٥) .

اما السيوطي في الاتقان فيوجز الحكمة في انزال المتشابه بالنقاط التالية :

١ - الحث للعلماء على النظر الموجب للعلم بغوامضه والبحث في دقائقه . .

٢ - ظهور التفاضل وتفاوت الدرجات . .

٣ - ابتلاء العباد بالوقوف عنده والتوقف فيه والتفويض والتسليم والتعبد بالاشتغال به . .

هذا ولا يمكن لأحد ان يتصور بتاتاً بان المتشابه من القرآن يحمل نوعاً أو شيئاً من الضعف أو الخلل أو عدم القدسية أو شيئاً من ذلك . بل الأمر هو على عكس ذلك حيث ان كلاً من المحكم والمتشابه من الآيات هو متقن وذو نظم جميل وبديع لا يتسرب اليه الضعف والخلل في اللفظ أو المعنى ، وان الاثنين قد نزلا من عبد الله على طريقة واحدة وكيفية مماثلة ولهما نفس القدسية والدرجة والأحترام . .

(٤) الدين والإسلام - الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء .

(٥) تأويل مشكل القرآن - ابن قتيبة الدينوري .

ورغم ما بين الإثنين - المحكم والمتشابه - من هذا الالتقاء والاتفاق إلا ان هناك مميزات خاصة يحتفظ كل منهما لنفسه ، وهذه المميزات والاختلافات هي التي اوجت ودعت إلى تقسيم آيات القرآن إلى آيات محكمة وأخرى متشابهة . .

اما عن هذه المميزات والفروق فيمكن تلخيصها بالنقاط التالية :

١ - ان المحكم لا يعرف المراد منه إلا بالظهور أو التأويل ، والمتشابه هو ما احتفظ الله سبحانه واستأثر بعلمه دون خلقه كالحروف المتقطعة في أوائل السور وعلم الساعة واستواء الرحمن على العرش وحمل العرش وخروج عيسى وطبيعة الأرواح الخ

٢ - ان المحكم ما ظهر ووضح معناه ومقصده بينما المتشابه هو ما غم وخفي معناه وهدفه . علماً بأن المتشابه من الآيات واضحة من ناحية المفهوم وانما جاء الخفاء والغموض من مصداق هذا المفهوم . .

٣ - ان المحكم لا يحتمل تأويله إلا وجهاً واحداً فالحكم فيه واضح الدلالة وقطعي والمتشابه ما يحتمل عدة وجوه .

٤ - المحكم ما استقل بنفسه ولم يحتج إلى البيان والمتشابه ما لا يستقل بنفسه واحتاج إلى البيان برده إلى غيره .

بقي بعد هذا ان نعرف نقطتين اثنتين يرتبطان بالمحكم والمتشابه غاية الارتباط واوثقه هما :

- ١ - ما هو مدى العمل والإلتزام بكل من المحكم والمتشابه .
- ٢ - ما هو مدى وقدرة الراسخين في العلم في بيان وكشف معنى وأغراض الآيات المتشابهة من القرآن .

فبقدر تعلق الأمر بالنقطة الأولى فالمتعارف بين جموع المسلمين هو « ان المحكم من القرآن يلزم علينا ان نؤمن ونعمل وندين به ، بينما

المتشابه منه علينا ان نؤمن به كالمحكم ولكن لا نعمل به» (٦) . .

اما عن النقطة الثانية فقد اختلف المسلمون حولها ، فقد ذهب قسم من علمائهم إلى ان الفئات والجماعات التي تتجلى بالخصال والمزايا التي تؤهلهم للوصول إلى درجة ومكانة الراسخين في العلم وهي كثيرة منها التفقه في العلم والتقوى والاستقامة والخلق الحسن والاستقصاء الخ ففي مكتبهم ووسعهم - بتأييد الله تعالى - من ادراك كنه وحقيقة كل أو بعض معاني واغراض المتشابه من الآيات الكريمة . .

اما البقية فهي تنحو إلى قول فصل لا يتفق وما يذهب اليه زملاؤهم ومفاده هو استحالة كل شخص أو فئة مهما أوتيت من علم وادراك ، معرفة حكم المتشابه ومقاصده بدعوى هو أن المتشابه من الآيات قد اختص الله تعالى فقط بمعرفة حقيقتها دون عباده ومهما كانت منزلة هؤلاء العلمية .

ورغم هذا الاختلاف بين الطرفين حول مدى صلاحية علماء المسلمين في كشف حقيقة المتشابه من الآيات - رغم ان الشارع المقدس قد نهى عن الخوض في المتشابهات أو التعرض لها - فقد امكن جمع وتوحيد كافة اقوالهم بخصوص الموضوع ومن ثم استخراج حلول مشتركة تحضى بتأييد الجميع ودعمهم وهي :

١ - ان هناك نوعاً من المتشابه لا سبيل للوقوف عليه بتاتاً وبأي حال من الأحوال كقيام الساعة وخروج الدابة أو معرفة أجل الموت ومكانه وسببه وما في الأرحام وظهور المهدي (٧) - ع - فضلاً عن

(٦) تفسير العياشي - محمد بن مسعود العياشي .

(٧) لقد استفاضت الأحاديث وتواترت الأخبار وتعدد مخرجيها من مختلف أئمة الحديث والحفاظ والاعلام على اختلاف طبقاتهم ومذاهبهم في مسألة ظهور المهدي . .

الأوصاف المتعلقة بالعرش وكيفية استواء الرحمن حيث ان الله تعالى وحده دون سواه ينفرد ويحتفظ بعلم كل ذلك ..

٢ - كما وهناك نوع من المتشابهة للفقهاء المتعلم الفطن البصير سبيل لمعرفة وتفسيره كالأحكام المغلقة والألفاظ الغريبة وغيرها ..

= ففي صحيح الترمذي جاء عن النبي (ص) : « لو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد لطول الله ذلك اليوم حتى يلي رجل من أهل بيتي » ..
وفي كتاب الصواعق المحرقة لابن حجر العسقلاني أنه : « قد تواترت الأخبار واستفاضت بكثرة روايتها عن المصطفى بخروج المهدي وأنه من أهل البيت » ..

وفي كتاب نور الابصار للشبلنجي جاء أنه : « تواترت الأخبار عن النبي (ص) أن المهدي من أهل البيت وأنه يملأ الأرض عدلاً » و « عن النبي (ص) أنه لو لم يبق من الدنيا إلا يوم لبعث الله تعالى رجلاً من أهل بيتي » ..
وجاء في الفتوحات الإسلامية لمؤلفه زيني دحلان : « والأحاديث التي جاء ذكر ظهور المهدي كثيرة متواترة فيها ما هو صحيح وفيها ما هو حسن وفيها ما هو ضعيف وهو الأكثر ، ولكن لكثرتها وكثرة روايتها وكثرة مخرجها يقوي بعضها بعضاً حتى صارت تفيد القطع » ..
ويقول في مكان آخر من الفتوحات : « تواترت الأخبار التي جاءت فيها ذكر المهدي وأنه من المقطوع به وأنه من ولد فاطمة وأنه يملأ الأرض عدلاً » ..
هذا إضافة إلى اجماع كتب الإمامية وإيمانهم بظهور المهدي وأنه الإمام الثاني عشر ومن ولد علي وفاطمة وأنه - عند ظهوره - سيملا الأرض قسطاً وعدلاً بعد أن ملئت ظلماً وجوراً ..

كما وأن كثيراً من المفسرين والرواة يشير في تفسير قوله تعالى في الآية (٥) من سورة القصص : « ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمةً ونجعلهم الوارثين » وقوله تعالى في الآية (١٠٥) من سورة الأنبياء : « ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون » انهما وردت في واقعة وحادثة ظهور المهدي المنتظر في آخر الزمان ..

وعن حياة المهدي المنتظر (مختصرة) فإنه ولد في منتصف شهر شعبان من عام ٢٥٦ هـ وكان عمره عند وفاة أبيه الحسن العسكري ٥ سنوات .. =

٣ - وهناك أخيراً لون ثالث من المتشابه يقع بين الأمرين السابقين يخفى معناه علي بعض الراسخين بينما يدركه البعض الآخر ممن هم اسمى منهم وفهماً وتقوى وصلاح . .

ونؤكد أخيراً ما سبق ان قلناه فيما مضى من ان اشتمال القرآن الكريم على الآيات المتشابهة وعدم اقتصاره على الآيات المحكمة

= ولإمام المهدي - وفقاً للرواية الإمامية - غيبتان هي الغيبة الصغرى والغيبة الكبرى . .

فالأول تبدأ من حين وفاة والده الإمام الحسن العسكري - ع - في عام ٢٦٠ هـ إلى وقت انقطاع السفارة الخاصة بوفاة السفير الرابع علي بن محمد الصيمري عام ٣٢٩ هـ وهي بحدود ٧٠ سنة .

أما الغيبة الثانية (الكبرى) فتبدأ بعد الأولى مباشرة حتى ظهوره وقيامه - ع - على وجه الأرض ليملاها قسطاً وعدلاً بعد أن ملئت ظلماً وجوراً . .

أما وكلاؤه وسفراؤه في عهد غيبته الصغرى والذين كانوا يتشرفون بلقاءه كما وتخرج التواقيع الشريفة بواسطتهم فهم أربعة توارثها اللاحق بعد وفاة السابق وهم :

١ - عثمان بن سعيد العمري .

٢ - محمد بن عثمان بن سعيد العمري .

٣ - الحسين بن روح النوبختي .

٤ - علي بن محمد الصيمري .

وبعد انتقال الأخير إلى جوار ربه بدأت الغيبة الكبرى وباتت النياية عامة وهي تحت شروط وقيود أوضحها المهدي المنتظر نفسه - ع - منها قوله : « لا عذر لأحد من موالينا في التشكيك فيما يرويه عنا ثقاتنا وقد علموا أنا نفاوضهم سيرنا ونجمله إليهم » . .

وقوله : « وأما الحوادث الواقعة فارجعوا فيها إلى رواة حديثنا فإنهم حجتي عليكم وأنا حجة الله عليهم » . .

وقوله - ع - : « وأما من كان من الفقهاء صائناً لنفسه حافظاً لدينه مخالفاً لهواه مطيعاً لأمر مولاه فللعوام أن يقلدوه » . .

وحدها فهو من أجل ان يكون حافظاً للمسلمين وعلمائهم ومفكريهم
لتكريس جهودهم لتعلم العلوم والمعارف المختلفة والوقوف على أساليب
اللغة والبيان والاستزادة من الدراسات والبحوث المتنوعة ، لأن كل ذلك
ستعينهم على فهم وتدبر الآيات المتشابهة والوقوف على مرادها
واغراضها الحقيقية . .





مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

تفسير القرآن

مرکز تحقیقات علوم قرآنی



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

التفسير تفصيل من الفسر وهو البيان وكشف المغطى والايضاح والتبيين وكلمة تفسير في أصلها ليست خاصة بتفسير القرآن ولكنها شاعت واشتهرت في تفسير القرآن الكريم بمعنى الايضاح^(١).

ويراد بتفسير القرآن بيان مراد الله تعالى وقصده من كتابه العزيز بدون الاعتماد على الظنون والرأي والهدى والقياس والاستحسان ولا على شيء لم يثبت حجته عقلاً أو شرعاً للنهي الوارد فيها . .

أو بقول آخر يراد بالتفسير « بيان معاني الآيات القرآنية والكشف عن مقاصدها ومدلولها »^(٢) . .

أما التأويل فاصله من الأول وهو الرجوع أي رجوع الآية الكريمة لما تحتمله من المعاني والأغراض . .

وقيل أيضاً انه يراد منه العاقبة وما يؤول اليه الأمر لأن تأويل القرآن هو ما يرجع اليه الكلام وما هو عاقبته سواء أكان ذلك ظاهراً أم خفياً لا يعرفه إلا الراسخون في العلم . .

وقيل كذلك انه قد جاء من الأياله وهي السياسة لأن المؤول يسوس الكلام ويضعه في موضعه . .

(١) أحكام من القرآن والسنة - عهد العظيم معاني والدكتور أحمد الغندور .

(٢) محاضرات في تفسير القرآن - السيد أسماعيل الصدر .

اما الفرق بين التفسير والتأويل فقد اختلف فيه العلماء حيث ذهب كل واحد منهم إلى رأي أو أكثر من الآراء التالية وهي : (٣) .

١ - قيل ان التفسير والتأويل هما بمعنى واحد ، فكل تفسير هو تأويل وكل تأويل هو تفسير . .

٢ - وقيل ان التفسير اعم من التأويل وأكثر ما يستعمل التفسير في الألفاظ والتأويل في المعاني .

٣ - وقيل ان التفسير هو القطع على مراد اللفظ ومعناه ، بينما التأويل هو ترجيح أحد الإحتمالات بدون القطع .

٤ - وقيل التفسير هو بيان وضع اللفظ إما حقيقة أو مجازاً والتأويل هو تفسير باطن اللفظ . .

٥ - وقيل التفسير هو ما يتعلق بالرواية والتأويل ما يتعلق بالدراية .

٦ - وقيل التفسير هو بيان المعاني التي يستفاد من وضع العبارة ، والتأويل هو بيان المعاني التي تستفاد بطريق الإشارة . .

٧ - وقيل أيضاً ان التفسير هو الكلام في أسباب نزول الآية وشأنها ووقتها والتأويل هو صرف الآية إلى معنى محتمل يتلاءم مع ما سبقها وتأخر عنها . .

ورغم ما بين التفسير والتأويل من فروق أو التقاءات ، فقد اجمع علماء التفسير في كل عصر ومصر على ان الأصل في تفسير القرآن ان يقوم على ظاهر معنى الفاظه دون تأويل اذا لم يمنع منه مانع من العقل أو الشرع ، ولكن اذا منع من ظاهر المعنى مانع فيكون بيان معناه وفقاً لأحد الاتجاهين التاليين :

(٣) التفسير والمفسرون - محمد حسين الذهبي .

١ - مذهب السلف الصالح الذي ينحو للأخذ بظاهر المعنى والتصديق به مع تفويض معرفة حقيقته إليه تعالى .

٢ - مذهب الخلف من العلماء الذين جاءوا من بعدهم - بعد السلف - حيث نادوا بلزوم التأويل عند الضرورة منعاً من الوقوع في التشبيه وقطعاً لدابر كل شبهة قد تعلق بالقلوب^(٤) . .

وبصدد التفسير فقد وردت عن الرسول (ص) أحاديث عديدة بالنهي عن التفسير من غير علم به ومنها قوله (ص) : « من قال في القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النار » وقوله (ص) : « من فسر القرآن برأيه فإصاب الحق فقد اخطأ » . .

كما ورد عن الامام علي - ع - بهذا الخصوص قوله : « انما يعرف القرآن من خوطب به وليس شيء ابعد عن عقول الرجال من تفسير القرآن ، ان الآية تنزل أولها في شيء واوسطها في شيء وآخرها في شيء » .

كما وله - ع - كلام آخر في هذا المعنى هو قوله : « اياك ان تفسر القرآن برأيك حتى تفقهه عن العلماء ، فان رب تنزيل يشبه بكلام البشر كله وهو كلام الله وتأويله لا يشبه بكلام البشر كما ليس شيء من خلقه يشبهه ، وكذلك لا يشبه فعله تعالى شيئاً من افعال البشر ولا يشبه شيء من كلامه بكلام البشر وكلام الله تبارك وتعالى صفته وكلام البشر افعالهم ، فلا يشبه كلام الله بكلام البشر فتهلك وتضل » . .

وله أيضاً - ع - « من فسر القرآن برأيه إن اصاب لم يؤجر وإن اخطأ ضل » .

ويروى عن الخليفة أبي بكر الصديق (رض) قوله حول

(٤) التفسير العلمي للأديان الكونية في القرآن - حنفي أحمد .

الموضوع : « أي ارض تقلني وأي سماء تظلني اذا قلت في حرف من كتاب الله عز وجل بغير علم ما اراده ربي »

كما ويؤثر عن عمر بن الخطاب (رض) قوله في هذا الشأن :
« اقلوا الرواية عن رسول الله (ص) وأنا شريككم » . .

ويروى عن سعيد بن المسيب انه كان اذا سئل عن شيء من القرآن قال « انا لا اقول في القرآن شيئاً »

ويؤثر عن سعيد بن جبير^(٥) التابعي المعروف انه قال لرجل طلب اليه تفسير بعض آيات القرآن : « لأن تقع جوانبي خير لك من ذلك » . .
وقال الشعبي : « ثلاث لا أقول فيهن حتى اموت ، القرآن والروح والرأي » . .

وقال ابن سيرين : « سألت عبيدة عن شيء من القرآن فقال : اتق الله وعليك بالسداد فقد ذهب الذين يعلمون فيم انزل القرآن » . .
وينقل عن هشام بن عروة بن الزبير قوله : « ما سمعت أبي تأول آية من كتاب الله » . .

كما ويروى عن ابراهيم النخعي قوله : « لقد كان اصحابنا يكرهون تفسير القرآن ويهابونه » . .

ومن عبر كل هذه الأقوال والحكم نفهم بانه ينبغي على كل من يتصدى لتفسير القرآن ان يحيط به من كافة اطرافه فيعرف ناسخه من منسوخه ومطلقه من مقيده وعامه من خاصه ومجمله^(٦) من مبينه فضلاً عن

(٥) سترد سيرة حياة هذا التابعي في نهاية هذا الفصل .

(٦) المعجل هو لفظ تتضح دلالاته على معناه لاسباب عديدة منها وضع اللفظ لمعاني متعددة ومنها كون اللفظ له حقيقة مع قيام الدليل على عدم إرادتها وله مجازات متعددة متساوية بالنسبة للمعنى الحقيقي ومنها كون اللفظ مشتركاً معنوياً له أفراد متعددة ، والمراد فرد منها معين لم يقم الدليل على تعينه . .

لاحاطة والعلم بالروايات والأحاديث والأقوال المتعلقة به وكذلك أسباب النزول لارتباطها مع المعاني القرآنية ولأن فهم القرآن معتمد على معرفتها حيث ان «الامام بالتاريخ المفصل لفترة نزوله والجو الذي اكتنف هذا النزول ضروري لأن تاريخ النزول وسببه جزء ان لا يمكن تجاهلها في تكوين المعنى وايضاح القصد ، بل لا يمكن تجاهلها في تربية الناس بالقرآن واخذهم بأدابه» (٧).

وقد امكن بعد هذا حصر الخصال والمزايا التي ينبغي ان يتحلّى بها المرء ليكون قادراً على خوض بحر التفسير فكانت عند البعض عشرة وعند غيرهم أقل من ذلك وعند الآخرين أكثر من ذلك ، وها نحن أولاً نورد بعضها وأهمها في الأسطر التالية وبتصرف : (٨)

- ١ - العلم بظاهر التنزيل واختلاف القراءات . .
- ٢ - المعرفة بلغة العرب ونظامها وطريقة النحو والأعراب وشرح المفردات ومدلولاتها . .
- ٣ - معرفة احكام الشريعة من العبادات والمعاملات والسنن واصول الدين المتعلقة بذات الله وصفاته وأفعاله .
- ٤ - معرفة القصص والأخبار وأسباب نزول الآيات والناسخ والمنسوخ . .
- ٥ - حفظ أقوال المفسرين من المتقدمين والمتأخرين . .
- ٦ - جودة القريحة وذكاء الفهم وقوة الفكر .
- ٧ - تفويض الأمر إلى الله تعالى وعدم الإعجاب بالنفس والغرور بها والتجرد عن الهوى . .

(٧) نظرات في القرآن - محمد الغزالي .

(٨) مقدمتان في علوم القرآن - آرثر جفري ، التفسير والمفسرون - محمد حسين الذهبي ، علوم القرآن - محمد باقر الحكيم .

٨ - عدم التقيد المسبق باتجاه أو مذهب معين مخالف للقرآن عند التفسير . .

٩ - الزهد في الدنيا والرغبة في الآخرة ومرضاة الله . .

١٠ - الاستئناس بالأخبار التي تروى عن أهل البيت - ع - لأن القرآن قد نزل في بيوتهم وهبط بساحتهم فهم اعرف به من غيرهم والصق به من سواهم . .

١١ - اجادة التصريف والإشتقاق وهي معرفة ابنية الكلمات وكيفية تصريفها والمصدر الذي صدرت عنه الكلمات . .

١٢ - وأخيراً - وليس آخرأ - ينبغي على من يتصدى للتفسير ان يفسره بعقلية ونظرة إسلامية وداخل المحيط والفكرة الإسلامية بعيداً عن التعصب أو الإنحياز المذهبي أو العرقي أو القطري . .

هذا وان كل من يفتقد أو يفتقر إلى شيء مما تقدم بيانه كان السكوت له أولى لأنه ليس مؤهلاً لدخول ميدان التفسير ، وان دخله - فرضاً - فهو ان لم يصبح حثيثاً ضال وهالك فهو غير مثاب أو مأجور على شيء حتى وان أصاب الحقيقة وبلغ الهدف . .

وقبل ان ندخل في صلب موضوع التفسير نشير إلى ان القرآن الكريم رغم انه نزل بلغة العرب وعلى اساليب بلاغتهم فلم يكن جميعه في متناول الصحابة كلهم من ناحية فهمه وتلمس حقائقه جملة وتفصيلاً . .

فليس كل كتاب مؤلف بلغة قوم يستطيع ابناؤه ان يفهموه ويقرؤه - إلا بقدر ما يدخل في حياتهم الاعتيادية اليومية - فكم كتب الفقه بالانكليزية والالمانية والتركية والفارسية والاوردية لا يتمكن الانكليز والالمان والأتراك والایرانيون والهنود ان يفهموه جملة وتفصيلاً ، لأن كل كتاب لا يتطلب معرفة اللغة فقط بل يتطلب استعداداً فكرياً معيناً

ودرجة عقلية خاصة تتناسب ودرجة رقي الكتاب ومنزلته^(٩) . .

وتأسياً على ما سبق فالعرب عامة والصحابة خاصة كانت « لا تستوي في المعرفة بجمع القرآن من الغريب والمتشابه بل ان بعضهم كان يفضل في ذلك على بعض »^(١٠) حيث يغيب عن واحد منهم ما لا يغيب عن الآخر . .

ففي صدر الاسلام كان الامام علي - ع - وعبد الله بن عباس ممن فهم القرآن وادركه ، وكان هناك آخرون في عصرهم دونهم في هذا الفهم والعلم بقليل أو كثير « وهؤلاء اتع بهم القرآن الكريم في معرفة وادراك واقعه واصبح لكل واحد منهم نصيب في فهم الآية الواحدة على اختلاف مذاهبهم وقدرتهم ونهجهم »^(١١)

علماً بان وجوه التفسير ومدى معرفة هؤلاء أو غيرهم له قد قسمت إلى أربعة أقسام كما يرويها خبر الأمة عبد الله بن عباس وهذه الأقسام هي :^(١٢)

١ - تفسير لا يعذر أحد بحالته : وهو ما كان ظاهره مطابقاً لمعناه وهو ما يلزم الجميع من الشرائع والفرائض والتعليمات التي تزخر بها آيات كثيرة من القرآن . .

٢ - تفسير تعرفه العرب بكلامها : وهو حقائق اللغة والأدب وموضوع كلامهم . .

٣ - تفسير يعلمه العلماء : وهو تأويل المتشابه وفروع الأحكام .

٤ - تفسير لا يعلمه إلا الله تعالى فلا يجوز لأحد تكلف القول فيه

(٩) فجر الإسلام - أحمد أمين .

(١٠) المسائل والأجوبة - ابن قتيبة الدينوري .

(١١) القرآن والعقلية العربية - نعمة هادي الساعدي .

(١٢) مجمع البيان في تفسير القرآن - أبي علي الطبرسي .

ولا تعاطي معرفته وهو ما يجري كجري الغيب كآليات الخاصة بقيام الساعة وغيرها . .

أما بصدد تفسير القرآن وتطوره منذ صدر الاسلام حتى الآن فنقول أولاً ان الغاية والسبب المرجو من التفسير هو مراد الله تعالى الحقيقي من كلامه ، وهذا المراد قد يخفى على كثير من الناس للأسباب التالية مما يدعو إلى تفسيرها ليتضح معناها الحقيقي وهذه الأسباب هي : (١٣)

١ - ان من الألفاظ ما يكون محتملاً لعدة معان مع ان المطلوب واحد منها وكثيراً ما يترك بيان ذلك اعتماداً على القرائن والتي يخفى معناها على بعض الناس . .

٢ - ان القرآن من أعلى درجات البلاغة فيجمع المعاني الكثيرة في الألفاظ القليلة وهذا يحوج الناس لبسط ما أوجز وكشف ما أجمل . .

٣ - ان القرآن قد يشتمل على مقاصد غير المعاني الظاهرة فيحتاج ذلك إلى من يبينها . .

٤ - ان الآيات قد نزلت لأسباب لا يمكن ان يعرف معناها الصحيح إلا إذا عرف هذا السبب . .

٥ - ان في القرآن من الأحكام ما لا يفهم على الوجه الصحيح إلا بمعرفة السنة ، إذ قد يكون مجملاً فتفصله أو عاماً فتخصصه أو مطلقاً فتقيده . .

ثم ان التفسير ثانياً كان قد نشأ مبكراً في عهد الرسول (ص) فقد كان الرسول نفسه أول رائد وشارح وموضح للقرآن ، لأن القرآن نزل عليه وهو أعرف بصغيره وكبيره ومحكمه ومتشابهه وخاصه وعامه الخ من أي شخص آخر . .

(١٣) التعريف بالقرآن والسنة - محمد الزفزاف .

وكان الرسول (ص) بدوره يكشف هذه الأمور لجمهور المسلمين ويجيبهم عن كل شيء يسألونه سواء تعلق الأمر والسؤال بأحكام الآيات المنزلة أم باغراضها ومقاصدها فضلاً عن تبيانه للمجمل من القرآن وتمييزه الناسخ من المنسوخ، لأنه (ص) كان قد اعد اعداداً إلهياً لتحمل هذه المهمة، وإن الله تعالى بعد ذلك كان دائماً وأبداً معه (ص) في شرحه هذا للقرآن وفي تبيانه لأهداف الآيات النازلة واسرارها عملاً بقوله تعالى ﴿وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم﴾ (١٤).

لذا فالسنة النبوية ترجع بمدلولها التفسيرية واصلها إلى القرآن لأن القرآن هو الذي الزم العمل بالسنة وجعل العمل بها عملاً بالقرآن ولهذا قيل «الكتاب أحوج إلى السنة من السنة إلى الكتاب».

وما كان أحد من الصحابة في عهد الرسول (ص) من يجراً على تفسير شيء من القرآن طالما أن الرسول كان بين ظهرانيهم بل كانوا هم بدورهم يفزعون إليه (ص) عند كل مشكل يحيق بهم أو أمر يغم عليهم أو غموض في بعض الألفاظ أو تراكيب منه، فيشرح لهم الرسول كلما طلب منه ويجيب على كل استفسار يوجه إليه بسبب «أنما يعرف القرآن من خوطب به» كما قال الامام علي في إحدى خطبه العصماء ..

ولكن بعد انتقال الرسول الأعظم إلى رحاب الخلد وانقطاع الوحي عن الأرض لم يكن بد بعد ذلك امام ائمة أهل البيت واقطابهم كالامام علي وحبر الأمة ومعجزة التفسير بحر العلم وترجمان القرآن عبد الله بن عباس وسواهم من الصحابة الكرام ممن وقف على اسرار القرآن وسمع شرحه وتفصيله من فم الرسول (ص) لم يك بد امام كل هؤلاء جميعاً من أن يرووا للناس ويفسروا لهم كل ما كان يغم عليهم من معاني الآيات

الكريمة وفقاً لما سمعوه من أقوال الرسول (ص) ^(١٥) أو شاهدوه من الظروف والأسباب التي نزل بها القرآن ، أو بتفسير القرآن بالقرآن نفسه لأن القرآن ينطق بعبءه ببعض كما قال الامام علي - ع - كان يشرح ما جاء موجزاً في القرآن بما جاء في موضع آخر مفصلاً ، وان يحمل المجمل على المبين ليفسر به ويحمل المطلق على المقيد والعام على الخاص أو وفقاً لإجتهاداتهم واستنباطاتهم ان لم يكن هناك شيء مما سلف بيانه . .

والاجتهادات والاستنباطات الانفة لا يمكن ان تصدر أو تخرج إلا ممن كان ذا معرفة بأوضاع اللغة واساليبها وان تكون لديه أيضاً قوة الفهم وسعة الادراك فضلاً عن الاحاطة بعادات العرب ؛ افعالهم واقوالهم ومجاري احوالهم واحوال أهل الكتاب في الجزيرة العربية حين نزول القرآن وغير ذلك بسبب ان القرآن الكريم يرتبط ويخلق نزوله ومعانيه بكل هذه الاحوال والأمور . .

وممن تصدنى للتفسير في صدر الاسلام ممن هضم كل أو بعض الحالات المتقدمة كثيرون ويأتي على رأسهم الامام علي - ع - ومنهم عبد الله بن عباس وعبد الله بن مسعود وأبي بن كعب وزيد بن ثابت

(١٥) اختلف العلماء في المقدار الذي شرحه الرسول (ص) من القرآن لأصحابه ، فبعضهم ذهب إلى القول بان الرسول شرح لأصحابه كل معاني القرآن وأغراضه والفاظه ، ومنهم من ذهب إلى أن الرسول (ص) لم يشرح لأصحابه من القرآن إلا القليل وهو الذي طلب منه شرحه أو تطلب الحال تبيان معناه . وأرى أن الرأي الوسط بين الاثنين هو المفضل والمقبول ، وهو أن الرسول (ص) قد شرح كثيراً من معاني القرآن لأصحابه ولكنه لم يبين لهم كافة معانيه وحقائقه بالنظر للفترة القصيرة نسبياً التي عاشها (ص) وما حفلت من أحداث وأزمات تخص نشر الدعوة وتعضيد الدولة ومائل الحرب والسلام في تفصيل لا مجال لسرده في هذا الموجز .

وانس بن مالك^(١٦) وجابر بن عبد الله الانصاري^(١٧) ومعاذ بن جبل^(١٨) وأبو موسى الأشعري وعبد الله بن الزبير . . . الخ ويختلف هؤلاء في كثرة تفسيرهم وقلته وفي قدرتهم عليه اختلافاً كثيراً وذلك تبعاً لفترة مصاحبتهم للرسول وسماعهم التفسير منه (ص) ولمقدار ما شاهدوه وأدركوه من أسباب التنزيل ولمدى ما فتح الله عليهم من طريق الاجتهاد والفهم ، ويبقى الامام علي - ع - ثم ابن عباس ثم ابن مسعود في الطليعة . .

ولم يكن يريد الامام علي أو وجوده في المقدمة عفواً بل هو اتفاق آراء كافة المؤرخين والرواة والتي اجمعت على ان الامام - ع - كان صدر المفسرين والمؤيد فيهم وأكثر ما روى عنه من الخلفاء الراشدين وأصحاب رسول الله (ص) ، وان الرواية عن غيره فنزرة وقليلة بالقياس اليه . .

ولو اردنا هنا ان نكشف علة ذلك فسنرى ان ذلك يعود إلى ان الامام كان الصق الناس برسول الله (ص) بل حسنة من حسناته ، وان

(١٦) أنس بن مالك هو صحابي فاضل صاحب الرسول وخادمه وقد روي عنه مئات الأحاديث ، أسلم صغيراً وخدم النبي (ص) إلى أن لقي نداء ربه ، ثم رحل إلى الشام ومنها إلى البصرة وفي المدينة الأخيرة قبض ودفن فيها وكان ذلك في عام ٩٣ هجرية . .

(١٧) جابر بن عبد الله الأنصاري صحابي جليل وهو من أواخر من بقي من أصحاب رسول الله (ص) وقد كف بصره وأدرك الإمام الخامس محمد بن علي الباقر وأبلغه سلام جده الرسول (ص) له .

شهد العقبة الثانية مع السبعين من الأنصار الذين بايعوا الرسول على نصرته ونشر دينه كما وشهد الغزوات كلها مع النبي عدا بدر وأحد ، قدم مصر والشام فكان الناس يأخذون عنه العلم ، وفي مسجد رسول الله كانت له حلقة يجتمع عليه الناس فيها ويتتبعون بعلمه وتقواه توفي بالمدينة عام ٧٤ هجرية .

(١٨) معاذ بن جبل صحابي فاضل وهو ممن جمع القرآن في عهد رسول الله وقد أسلم وهو فتى وأخي النبي (ص) بينه وبين ابن عمه جعفر بن أبي طالب في المدينة ، وشهد كثيراً من الوقائع والمشاهد مع النبي ، وقد بعثه الرسول لأهل اليمن قاضياً ، توفي في الأردن عام ١٨ هجرية .

الرسول لم يكن ليخفي عليه شيء مما كان ينزل عليه لأنه منه بمنزلة هارون من موسى ، وانه أيضاً كان موضع سره وحامل اختامه ووارث علمه واقرب الخلق اليه وأولهم اسلاماً واقدمهم بدين الله ، اضافة إلى « تفرغه من مهام الخلافة مدة طويلة حتى نهاية خلافة عثمان وتأخر وفاته - ع - إلى زمن كثرت فيه حاجة الناس إلى من يفسر لهم ما خفي عنهم من معاني القرآن » (١٩) .

وقد تجلّى مصداق كل ذلك في اقوال وخطب الامام نفسه فنراه يقول حول القرآن : « اني لأعرف ناسخه من منسوخه ومحكمه من متشابهه وفصله من فصاله وحروفه من معانيه والله ما من حرف نزل على محمد (ص) إلا اني اعرف فيم نزل وفي أي يوم وفي أي موضوع ولو اعلم مكان أحد أعلم بكتاب الله مني تناله المطايا لأتيته » . .

كما وللإمام - ع - كلمة أخرى (٢٠) في نفس المعنى جاء في بعضها « علينا نزل القرآن قبل الناس ولنا فسر قبل ان يفسر في الناس ، فنحن نعلم حلاله من حرامه وناسخه من منسوخه وسفريه وحضرته وفي أي ليلة نزلت وفيمن نزلت » . .

هذا وقد تلقى أقوال وشروح أهل البيت - ع - والصحابة نفر كثير من تلامذتهم وهم كرام التابعين (٢١) من الامصار الاسلامية ومن ابرزهم

(١٩) التفسير والمفسرون - محمد حسين الذهبي .

(٢٠) لم نسمع عبر التاريخ أو نقرأ في مكان آخر أن هناك من قال عن القرآن وأحكامه وعلومه ما قاله الإمام بل إن الإمام زاد على ذلك بقوله عند اقتراب أجله « سلوني قبل أن تفقدوني » وهذا شيء لم نجده في كل عهد سبق الإسلام أو تلاه ، وطبيعي أن هذا يدل بوضوح على أن شخصية الإمام تختلف عن غيرها ، حيث صاغها الله تعالى على شكل ليجعل منها الوريث الشرعي لعلوم الرسالة وآدابها . . الخ . .

لذا جاءت الحكمة أو الكلمة التي تفيد « استغناء عن الكل واحتياج الكل إليه دليل على أنه الكل في الكل » .

(٢١) لقد اختلف العلماء في تعريف التابعي ، فقال بعضهم أنه من لقي الصحابي =

سعيد بن جبير^(٢٢) ومجاهد وعكرمة والحسن البصري وطاووس اليماني
ويحيى بن يعمر والضحاك وعطاء بن أبي رباح وعطاء بن أبي مسلم وأبي
العالية ومحمد بن كعب القرطبي وقتادة وعطية وزيد بن اسلم
الخ .

وفي عصر هؤلاء التابعين نما التفسير نمواً مضطرباً وواسعاً ،
ولكنهم (التابعين) كانوا يقتصرون في تفسير الآية على « توضيح المعنى
اللفوي الذي فهموه من الآية بأخصر لفظ »^(٢٣) مثل قولهم « غير متجانف
لإثم » أي غير متعرض لمعصية وقولهم « الودق » أي المطر و « لاخلق »
أي لا نصيب و « قاسمهم » أي اقسم لهم و « الموقوذة » أي المضروبة
حتى الموت و « حين البأس » أي القتال و « الانفال » أي غنائم الحرب و
« العاملين عليها » أي جباتها و « لاوذر » أي لا ملجأ و « قسورة » أي
الاسد و « الكلالة » أي المتوفى الذي ليس له من يرثه من أب أو ابن و
« العهن » أي الصوف و « للوطيس » أي التنور و « السوهن » أي
الضعف . .

ومن توسع من التابعين وزاد في التفسير فإنه « لا يتجاوز في ذلك

= وإن لم يصحبه فمجرد الرؤية على هذا الرأي - تجعل الشخص تابعياً . .
أما بعض العلماء فلا يكتفي في تعريف التابعي بمجرد الرؤية للصحابي بل
لابد أن يكون قد صحبه وتلقى منه شيئاً . .

(٢٢) سعيد بن جبير تابعي جليل حيث يروى عن سفيان الثوري قوله « خذوا التفسير
عن أربعة : سعيد بن جبير ومجاهد وعكرمة والضحاك » ولسعيد كتاب في
التفسير هو أول كتاب ظهر في هذا الموضوع . .

وقد قتله الحجاج بن يوسف في واسط عام ٦٤ هـ وقبره يقع الآن في قضاء
الحي وهو بناء كبير ويرتاده الزوار . وقد كُتِبَ الحجاج حين أراد قتله حيث قال له
من أنت قال : أنا سعيد بن جبير ، فقال الحجاج له أنت شقي بن كسير ،
وهكذا هي أرواح عباد الله يقتلها أعداء الله من دون وزر أو جريرة إلا مناهضة
الظلم . .

(٢٣) فجر الإسلام - أحمد أمين .

عن نطاق الحديث أو بما نقل عن الصحابة الذين شاهدوا الوحي ووعوا عن الرسول (ص) شيئاً من تفسيره فهم بذلك يقفون في استنباطاتهم التشريعية وتفسيرهم عند المأثور ولا يتجاوزونه إلا لما يتصل به» (٢٤).

فنشأت لذلك وفي كل بلد إسلامي طبقة من المفسرين مثل مدن مكة والمدينة والكوفة والبصرة والشام واليمن يشرحون للناس معنى الآيات الكريمة وأسباب نزولها واغراضها ..

علماً بأن أول كتاب ظهر في التفسير كان في هذا الوقت وهو للتابعي سعيد بن جبير المار ذكره .. هذا ويمكن هنا المقارنة بين التفسير في عهد الصحابة وعهد التابعين في الجدول التالي: (٢٥)

التفسير في عهد التابعين	التفسير في عهد الصحابة
١ - ظهرت تفاسير شاملة لغالبية آيات القرآن .	١ - لم يفسر القرآن جميعه وإنما فسر ما غمض منه .
٢ - زاد الخلاف نسبياً في فهم معاني القرآن عن العهد السابق .	٢ - قلة الاختلاف في فهم معاني القرآن .
٣ - ظهر تفسير لكل آية ولكل لفظ .	٣ - الإكتفاء بالمعاني الإجمالية للآيات .
٤ - زاد الخلاف المذهبي .	٤ - قلة الخلاف المذهبي حول الآيات .
٥ - دون التفسير .	٥ - لم يدون التفسير .
٦ - استقل التفسير في كتب مستقلة وان ظل شكل رواية الحديث .	٦ - اتخذ التفسير شكل الحديث .
٧ - كثر الرجوع إلى أهل الكتاب ودخول الإسرايليات فيه .	٧ - قلة الرجوع إلى أهل الكتاب ..

(٢٤) نشأت التفسير في الكتب المقدسة والقرآن - الدكتور السيد أحمد خليل ..

(٢٥) تاريخ القرآن والتفسير - الدكتور عبد الله محمود شحاته .

هذا وعن هؤلاء التابعين المنتشرين في طول الامصار الاسلامية وعرضها أخذ تابعي التابعين كربيعة بن انس وعبد الرحمن بن زيد وأبو صالح الكلبي وسفيان بن عيينه ووكيع بن الجراح وشعبة بن الحجاج وعيد بن حميد وإبان بن تغلب وسفيان الثوري وغيرهم فجمعوا هؤلاء أقوال من تقدمهم وأضافوا إليها ، فضلاً عن بدأهم في تصنيف التفاسير وتوحيدها . . .

وهكذا كانت كل طبقة تروي عن سبقها وتضيف إلى ذلك ما تجتهد فيه وتسنبطه وما يعرض لها « متأثرة في ذلك بالحركة العلمية في عصرهم وما استجد من آراء ونظريات علمية ومذاهب دينية حتى لنستطيع إذا ما لاحظنا تفسيراً ألف في عصر من العصور ان تتبين فيه مقدار الحركة العلمية وأي المذاهب كان سائداً وشائعاً »^(٢٦) فيه . .

هذا وكان يتصل افراد كل طبقة بكثير من اليهود والمجوس والنصارى أو ممن اسلم منهم ، وكانت لدى هؤلاء معلومات وافية عن شروح التوراة والانجيل ، فلم ير هؤلاء الافراد بأساً من ان يوردوها عند شرح الآيات المتعلقة بها ، وكانت هذه سبباً في وسعة التفاسير وضخامتها^(٢٧) . .

وعلى هذا السبيل تكوّنت لدى العلماء وأرباب الفكر تفاسير عديدة ومختلفة والتي جمعت ووحدت في مؤلفات ومجلدات خاصة سنشير إلى أهمها في الفصل القادم . .

اما بصدد مفردات الفاظ القرآن وبيان معناها في العربية وتقريبها إلى آذان الكافة فقد فسر آسم كبير منها على النحو المتقدم ذكره ، عدا بقية منها لم يتناوله الاقدمون بالشرح والبيان وذلك بسبب ان القرآن

(٢٦) فجر الإسلام - أحمد أمين .

(٢٧) ضحى الإسلام - أحمد أمين .

الكريم كان « قد نزل على أفصح لغات العرب وأكثرها تداولاً وعلى أساليب بلاغتهم فلم تكن تخفي كثير من معاني مفرداته والفاظه على العرب إلا نادراً^(٢٨) » وإن خفيت على قسم منهم قل أو أكثر . .

لذا لم يحاول الاصحاح أو التابعون تفسيرها لأنها واضحة وجليّة لهم ولغيرهم من جهة ولعدم مراجعة أحد من المسلمين لهم ليسأل أو يستفسر عن معناها من الجهة الأخرى . .

ولكن لما دخلت في حظيرة الاسلام امم عديدة غير عربية واختلط هؤلاء مع العرب وتزاوجوا معهم ، تطوّرت لذلك اللغة العربية بسبب هذا الاختلاط الجديد أولاً ولمرور الزمان على صدر الاسلام ثانياً مما أدى إلى أن تصبح هذه الألفاظ والتي كانت متداولة ومفهومة ومأنوسة في عصر النزول تصبح غامضة وغريبة لا فقط عند غير العرب من المسلمين بل عند قسم كبير من العرب أنفسهم . .

وهكذا أخذ مرور الزمن بفعل فعله في الألفاظ والكلمات حتى ان الصفوة من العرب باتت تلاقى منها ما يلاقيه السواد منهم . .

وكل هذه الأسباب والأحوال ألزمت ودعت جماعة من رجال الأدب واللغة إلى التفرغ لدراسة اللغة والأدب القديم والحديث بما يضم من شعر ونثر جاهلي واسلامي ، لأن غريب اللغة يلتمس في الشعر ولا سيما الجاهلي منه حيث ان الشعر هو ديوان العرب^(٢٩) وكل ذلك هو من

(٢٨) مقدمة ابن خلدون - ابن خلدون ، آلاء الرحمن في تفسير القرآن - الشيخ محمد جواد البلاغي .

(٢٩) ينقل هنا عن ابن عباس قوله : الشعر ديوان العرب . فإذا خفي علينا الحرف من القرآن الذي أنزله بلسان العرب رجعنا إلى ديوانها فالتمسنا معرفة ذلك منه ، وكان يستشهد بأبيات شعرية في فهم معاني الآيات حيث استشهد في أكثر من مائتي مورد من الآيات . . وقد سئل مرة عن قول الله تعالى « عن اليمين وعن الشمال عزين » . قال : عزين الخلق الرقاق وقد قال عبيد بن الأبرص :

أجل استخراج معاني الكلمات وكشف مفرداتها ومشتقاتها ليتاح لهم بذلك بيان وشرح الألفاظ والجمل الغامضة في القرآن ، فضلاً عن ضبط علوم القرآن ووضع الأسس والسبل لصيانتها وضبطه من التحريف والتغيير ، وكل هذا تم بمنتهى العناية والتتبع كي لا يغم الحال أو يقع في الخطأ . .

ومن أجل هذا فقد ضربوا اكباد الابل البادية للاستفسار عن لفظ أو تعبير أو جملة . .

ان الدراسات الأدبية واللغوية هذه قد التقت مع اخواتها من الدراسات الفقهية وما روي عن رسول الله (ص) وأهل بيته وأصحابه - على الشكل الذي اشرنا اليه من قبل - التقت كل هذه لتكوّن التفاسير التي نجدها الآن في أيدي المسلمين . .

اما بقدر تعلق الأمر بترجمة القرآن الكريم فنشير إلى ان الترجمة تقسم إلى قسمين :



١ - الحرفية

٢ - التفسيرية

مركز تحقيقات علوم اسلامی

فالترجمة الحرفية معناها « نقل الكلمات واحدة واحدة بدون النظر إلى المعنى »^(٣٠) أي تستبدل كل لفظة بما يقابلها ويشابهها في اللغة الأخرى .

فجاءوا يهرعون إليه حتى يكونوا حول منبره عزينا
كما ويؤثر عن عمر بن الخطاب أو عن غيره قوله : عليكم باشعار الجاهلية فإن فيها تفسير كتابكم . .

وقال الجاحظ بهذا الصدد : « ان من يجهل أمور الجاهلية لا يستطيع أن يفهم الكتاب والسنة » .

وينقل عن الطبري بهذا الشأن قوله : « إذا تعاجم شيء من القرآن فانظروا في الشعر فإن الشعر عربي » .

(٣٠) ترجمة القرآن - عبد الوكيل الدروبي .

وقد اتفقت أقوال كافة علماء المسلمين ورجالائهم على خطر وعدم شرعية ترجمة القرآن حرفياً والذي هو روح ونور لا يترجمان ، وكذلك عدم كتابته بغير العربية خوفاً من التغيير والتبديل ولأنه يفقد بالترجمة الحرفية تصويره الغني وجماله وأعجازه البلاغي ووقعه في النفوس وان ادت معانيه كاملة (٣١).

إضافة إلى انه لا توجد في اللغات مفردات تقابل بعضها بعضاً وان وجد فانه تختلف طريقة ترتيب الكلام من لغة إلى أخرى ، وان الألفاظ في الترجمة لا تكون متساوية المعنى من كل وجه فضلاً عن التراكيب . .

أما الترجمة التفسيرية للمعاني والاحكام - والتي تنقل معاني الكلام المترجم إلى اللغة الثانية وغير متقيدة بالألفاظ - التي يدل عليها القرآن فليس هناك أدنى ضرر أو حرمة منها لأنها ترجمة لتفسير القرآن - على ان يكون المترجم ضليعاً بالعربية واللغة التي يترجم اليها أيضاً . .

وما اكثر ما نجد من هذا النوع اليوم في المصاحف التي تطبع في الأقطار الاسلامية غير العربية ، حيث نجد الترجمة التفسيرية باللغات

(٣١) وكمثل بسيط على فقدان القرآن لأعجازه وجماله عند ترجمته إلى لغة أخرى نورد أدناه أدق وأشهر ترجمة للقرآن الكريم باللغة الفرنسية فقد ترجمت هذه الآية من سورة البقرة وهي « احل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم هن لباس لكم وأنتم لباس لهن » فكانت الترجمة هكذا « . . . هن بنطلونات لكم وأنتم بنطلونات لهن » فتأمل الفارق الكبير بين الآية الكريمة وترجمتها . .

كما ونشير إلى أن غالبية فقهاء وعلماء المسلمين تمنع القراءة في الصلاة بغير اللغة العربية سواء كان المصلي قادراً على العربية أم عاجزاً لأن ترجمة القرآن ليست قرآناً . .

بينما يجيز البعض القليل من هؤلاء الصلاة باللغة الفارسية أو غيرها لأنهم يرون أن القرآن اسم للمعاني التي تدل عليها الألفاظ العربية والمعاني ولا تختلف باختلاف الألفاظ واللغات . .

التركية أو الاوردية أو الفارسية أو الكجراتية تتخلل سطور تلك المصاحف . .

هذا وفي حالة وقوع الترجمة في القرآن - جديلاً - سواء كانت حرفية أم لا فهذه الترجمة لا تسمى قرآناً بالمرة بل تدعى تفسيراً وله حكم التفسير واثره وتتبع فيه المصلحة الشرعية المقدرة بقدرها . .

وهناك من يذهب إلى ان الترجمة الحرفية ليست تفسيراً للقرآن لأنها لا تتعدى عن ابدال لفظ بلفظ آخر يقوم مقامه في تأدية بعض معناه وليس فيه شيء من الكشف أو البيان (٣٢) . .



(٣٢) التفسير والمفسرون - محمد حسين الذهبي .



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

ضوء
على بعض التفاسير المتداولة



مركز تحقيقات كنج پوز علوم اسلامی



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

قبل ان نتولى شرح أو الاشارة إلى بعض التفاسير المتداولة في أيدي المسلمين ومؤلفيها نود الاشارة إلى ان التفاسير - كل التفاسير - يمكن ارجاعها إلى قسمين هما :

١ - التفسير بالمأثور : ويدعوه البعض بالتفسير بالرواية ويعتمد هذا على صحيح المنقول ويشمل تفسير القرآن أو بما ورد عن الرسول (ص) وما نقل عن أهل البيت والصحابة والتابعين - لدى البعض - وذلك فيما يتعلق من بيان أو توضيح لمراد الله تعالى في آياته الكريمة . .

٢ - التفسير بالرأي : ويدعوه البعض بالتفسير بالدراية ويعتمد هذا على الفهم الخاص والاستنباط بالرأي المجرد ، وهو تفسير القرآن الكريم بالاجتهاد بعد الإلمام بكلام العرب كالنحو والصرف والبلاغة وان يكون متمكناً من اصول الدين ومن مبادئ الفقه واصوله ، فضلاً عن الادراك الكامل لأسباب النزول والناسخ والمنسوخ الخ من الأمور التي يحتاجها المفسر عند الخوض في بحر التفسير . .

ولكل مفسر طريقته في الكتابة فهو إما ان يأخذ بالمأثور (الأثر) أو بالرأي أو بكلامهما ، وقد سبق ان قلنا في الفصل السابق تباين نظرة المفسرين إلى الرأي فمنهم من يعتمد عليه ومنهم من لا يجوز له ولكل واحد منهم حججه وآراؤه ازاء ذلك . .

ونشير بعد هذا إلى ان المؤلفات المصنفة في التفسير من حيث السعة والحجم هي على أنواع ثلاثة :

١ - الوجيز : كتفسير الجلالين والقمي والصابي وشبر . .

٢ - الوسيط : كتفسير الكشاف والبيضاوي والنسفي ومجمع

البيان . .

٣ - البسيط : كتفسير الرازي والطبري والالوسي وأبي السعد .

وستناول من الأسطر التالية إلى التفاسير المتداولة في العالم وهويات مؤلفيها^(١) وما اذا كانت من التفسير بالمأثور أو الرأي ، ولم نشر

(١) من الواضح إلى أنه رغم أن العرب هم حملة مشعل الإسلام ودعاة رسالة السماء وهم الذين تولوا فتح الامصار وتحرير الأمم والشعوب المختلفة من أجل نشر معالم هذه الرسالة وبث مفاهيمها وقواعدها وأسسها ، حتى أمكن القول - بحق - أن العرب هم مادة الإسلام وأن نجاحهم هو نجاح للإسلام وانتكاستهم هو إنتكاس له . .

رغم كل هذه الحقائق والوقائع نجد أن حملة هذا الدين وشرح أحكامه وجامعي آثاره وأخباره بعيد الصدر الأول للإسلام مباشرة هم من المسلمين الذين يرجعون إلى عروق غير عربية حيث نجد فيهم الفارسي والأفغاني والكردي والتركي والهندي والبلوحي والتبتي والبربري . . وينقل عن النبي (ص) في هذا المعنى قوله : « لو كان العلم في الثريا لناله رجال من فارس » .

كما ويؤيد هذه الحقيقة ابن خلدون في مقدمته حيث يصرّح بقوله : « إن حملة العلم في الملة الإسلامية أكثرهم من العجم » . . كما وينسب للبكري قوله : « أكثر من نصف محدثي الدنيا من أهل خراسان ومنهم معظم مؤلفي الصحاح الستة المعتمدة في الحديث » . .

وإن الاستاذ الكبير علي الطنطاوي يقول في مقدمته على كتاب « المسلمون في الهند » بالحرف « قد يشتغل غير العربي بعلوم العربية حتى يكون إماماً فيها ، في اللغة والنحو والصرف والاشتقاق وفي سعة الرواية . . بل أن أكثر علماء العربية كانوا - في الواقع - من غير العرب » . . ويقال أن هشام بن عبد الملك وهو من أشد الأمويين تعصباً لم يتمالك نفسه حين قال : « عجباً لهؤلاء الأعاجم كان الملك فيهم فلم يحتاجوا إلينا فلما صار الملك فينا احتجنا إليهم حتى في تعلم لغتنا منهم » . .

إلى تفاسير كثيرة مخطوطة كتفسير الماوردي والبرهان لعلي بن إبراهيم الحوفي و « نظم الدرر في تناسب الآيات والسور » لبرهان الدين بن عمر البقاعي وبحر العلوم للسمرقندي والتفسير الكبير لمقاتل بن سليمان الخ أما التفاسير المتداولة فهي :

ويكفي أن نشير هنا إلى أن جامعي الصحاح المعتمدة عند السنة والشيعة وهي بالنسبة للأولى :

- ١ - صحيح البخاري (محمد بن إسماعيل بن إبراهيم الجعفي البخاري) .
- ٢ - صحيح مسلم (أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيشابوري) .
- ٣ - صحيح الترمذي (محمد بن عيسى بن سورة الترمذي) .
- ٤ - صحيح النسائي (أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي بن بحر النسائي) .

- ٥ - صحيح ابن ماجه (ابن ماجه القزويني) .
 - ٦ - صحيح أبي داود (سليمان بن الأشعث بن اسحق السجستاني) .
- وبالنسبة للثانية هي :

- ١ - الكافي (محمد بن يعقوب الكليني) .
 - ٢ - التهذيب (محمد بن الحسن الطوسي) .
 - ٣ - الاستبصار (محمد بن الحسن الطوسي) .
 - ٤ - من لا يحضره الفقيه (محمد بن علي بن بابويه القمي) .
- إن جامعي هذه الصحاح كلها - والتي تضم كافة أخبار وسيرة النبي (ص) وأصحابه والتابعين وأئمة أهل البيت . . . الخ - هم من دونما استناد من المسلمين ومن عروق غير عربية ، هذا عدا غيرهم من المؤرخين وكتاب السير والتواريخ والتفاسير والعلوم الطبية والأدبية مثل الطبري ، الزمخشري ، الطبرسي ، ابن سينا ، الرازي ، البيروني ، القمي ، أبو اسحق الشيرازي ، الشهرستاني ، الفيروزآبادي ، الفارابي ، أبو الفرج الأصفهاني ، أبو نعيم الأصبهاني ، الكسائي ، التفتازاني ، أبو حامد الغزالي ، السجستاني ، الجرجاني ، الفارسي ، البغوي ، العياشي ، البضاوي ، المجلسي ، البيهقي ، الدينوري ، سيويه ، ابن شهر آشوب ، النيشابوري ، الماوردي ، والكرماني ، الخوارزمي ، القندوزي ، النويختي ، الطبراني ، البلخي ، ابن المقفع ، الإربلي ، الجهشباري ، الاصطخري ، نافع ، عطاء ، مجاهد ،

١ - تفسير « مجمع البيان في تفسير القرآن » لأبي علي الفضل بن الحسن ابن الفضل الطبرسي المولود عام ٤٦٢ هجرية والمتوفى في طوس في ليلة النحر عام ٥٤٨ هـ ويقع قبره - الذي شيد حديثاً - عند مدخل شارع الطبرسي من الجهة اليسرى في مدينة مشهد^(٢) بشمال شرق إيران . .

طاووس وقتادة الخ .
وأرى أن مرد ذلك - كما يراه البعض أيضاً - هو أن العرب في صدر الإسلام كانوا يعتبرون أنفسهم أنهم أهل السلطة والسلطان وانهم المؤهلون - وحدهم وبجدارة - لقيادة الشعوب المحررة وتوجيه زمام القوميات التي دخلت في الإسلام ، وانهم عندما حرروا الأقطار والأمصار غير العربية من نير الظلم والتعسف اتجهوا صوب تثبيت سلطانهم السياسي والاداري دون فسخ المجال لغيرهم من أبناء القوميات الأخرى لمشاركتهم في تحمل مسؤولية الادارية ، ودون الاتجاه إلى سبيل آخر عدا الادارة والحكم إلا نادراً . .
وحين شعرت أبناء القوميات غير العربية التي دخلت في دين الله أفواجا أن أبواب الحكم والسلطان موصدة بوجوههم بعد أن احتكرها العرب رغم كفاءة ولياقة الكثيرين منهم لسنمها ، أرتأوا - أبناء القوميات غير العربية - الانصراف والتوجه شطر طريق آخر قد يضيء - بنظرهم - الحكم والسلطان في المنزلة وهو طريق بحث وتدوين ومتابعة العلوم الدينية والتاريخية والأدبية والفلسفية حتى بزوا فيها وأصبحوا أعلاماً وأئمة وقادة يشار لهم بالبنان كهؤلاء الذين وردت اسمائهم قبل قليل . .

وليس معنى هذا إن الكافة من غير العرب أثرت الانصراف لنيل العلوم الدينية والأدبية للسبب المتقدم فقط ، بل ربما وجدت هناك أسباب أخرى كالقربة إلى الله تعالى أو تيسر الوسط والمحيط أو بروز قابليات خاصة أو غير ذلك سهلت لهم ولوج هذا الميدان . .

كما وليس معنى هذا أن العرب لم يلجأوا ميدان العلوم الدينية والتاريخية ، بل برز منهم علماء وقادة لهم مكانتهم المميزة في عالم الدين والأدب والفن وإن كانوا قلة بالنسبة لإخوتهم من أبناء القوميات الأخرى . .

(٢) تقع مدينة مشهد على بعد ١٠٠ كم إلى الشرق من طهران وتضم قبر الإمام الثامن علي بن موسى الرضا - ع - المولود بالمدينة عام ١٤٨ هـ والمتوفى عام ٢٠٣ هـ . .

وهذا التفسير لم يقتصر على التفسير الفقهي فقط بل عمد مؤلفه إلى الكلمات اللغوية الغامضة فجلاها وإلى القراءات المختلفة فذكر حجة كل واحد منهم ، وإذا ما اعترضته آية أو أكثر تضم حدثاً تاريخياً فإنه يسرد القصة بكاملها . .

وقد نقل المأثور عن ائمة أهل البيت وغيرهم من غير تعرض لنقد من تصحيح أو تضعيف بل ترك ذلك لحكم القراء .

واثبت الطبرسي في تفسيره عقائد الامامية وشرائعها رغم انه غير مغال في ذلك وبعيد عن التعصب كما أنه كان متبحراً في عدد كبير من العلوم والمعارف حيث لم يتكلم في موضوع إلا واجاده اجادة كاملة .

٢ - « مفاتيح الغيب » والمشتهر بالتفسير الكبير لفخر الدين الرازي وهو ابو عبد الله محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن بن علي الطبرستاني الرازي . .
ويقع هذا التفسير في (٨) أجزاء ، وقد اثرت العلوم العقلية على الرازي في تفسيره فمزجه بخليط من المنطق والطب والفلسفة والحكمة وبذلك خرج به عن معاني القرآن وروح آياته حتى قال البعض عنه « فيه كل شيء وصل اليه المسلمون إلا شيئاً واحداً هو شرح روح القرآن » (٣) .

ويقال ان فخر الدين الرازي مات قبل ان يتم التفسير فاكمله من

وقد عهد الخليفة المأمون بولاية العهد إلى الإمام الرضا ، إلا أن الإمام رفضها ، فاستعمل الشدة في ذلك إلى أن قبلها مكرهاً إلا أنه - ع - توفي في حياة المأمون فلم ينتفع بولاية العهد ، وللشاعر أبي نؤاس الحسن بن هاني المولود عام ١٤١ والمتوفى عام ١٩٩ هـ قصيدة أو أكثر في مدح الإمام - ع - منها القصيدة التي مطلعها :

فيل لي أنت أوحده الناس طراً	في المعاني والكلام النبیه
فلماذا تركت مدح ابن موسى	والخصال التي تجتمع فيه
قلت لا أستطيع مدح إمام	كان جبريل خادماً لآیه

(٣) ، (٤) ضحى الإسلام - أحمد أمين .

بعده تلميذه شمس الدين أحمد بن خليل الحويي قاضي قضاة دمشق
والمتوفي في عام ٦٣٧ هجرية .

والتفسير هذا يعتمد على الرأي بالدرجة الأولى . .

ولد الرازي - والذي كان فريد عصره والامام في التفسير وعلوم
الكلام والعقل واللغة - في مدينة (ري) قرب طهران في عام ٥٤٣
هجرية وتوفي مسموماً على يد الفرقة الكرامية في يوم عيد الفطر من عام
٦٠٦ هـ في مدينة هرات غرب افغانستان . .

وقد زرت قبره والذي يقع في قلب مقبرة البلدة والتي تقع في
غرب البلدة - هرات - وقد شيد على قبره المتواضع نصب تذكاري على
شكل أيوان هلال من الحجر والجص حيث دُون على واجهته وبالفارسية
سيرة حياة الرازي وآثاره التي تركها من بعده الخ .

٣ - التفسير الكبير المسمى « جامع البيان في تفسير القرآن » لأبي جعفر
محمد بن جرير الطبري ويقع في ثلاثين جزءاً من الحجم الكبير وهو تفسير ضخم
يعتمد على المأثور غالباً وهو المرجع للمفسرين بالأثر « وقد جمع فيه كثيراً من
مجموعات التفاسير التي سبقتة وما فيها وفاضل بين رواياتها واختار
أمثلها » (١) . .

ونجد في هذا التفسير أيضاً آثار الكوفيين والبصريين في الصرف
والنحو وتطبيقها على القرآن ، حتى ان النوري في تهذيبه قال عنه
« اجمعت الأمة على انه لم يصنف في التفسير مثل تفسير الطبري » .

وقد كان هذا التفسير حتى عهد قريب يكاد يعتبر مفقوداً إلا أنه
وجد في حيازة أمير حائل السابق الأمير حمود بن الأمير عبد الرشيد نسخة
مخطوطة كاملة منه ، وقد طبع عليها التفسير المتداول حالياً في الأسواق
وذلك في مطبعة بولاق بالقاهرة عام ١٣٣٠ هجرية المصادف لعام
١٩١٢ م ، وقد أعيد طبعة عدة مرات بعد ذلك . .

والطبري هو نفسه صاحب التاريخ المشهور ، لذا عد « أبو التفسير وأبو التاريخ » وله مؤلفات أخرى لم يصل منها إلا تفسيره وتاريخه . .
ولد الطبري - وكان علامة زمانه في التاريخ والحديث - في مدينة آمل بطبرستان (شمال إيران) في عام ٢٢٤ هجرية وتوفي في بغداد عام ٣٠٣ أو ٣١٠ هجرية^(٥) . .

٤ - تفسير « التبيان في تفسير القرآن » للشيخ الكبير ومرجع الطائفة أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي ، لقد تتلمذ الطوسي لدى الشيخ المفيد محمد بن محمد بن النعمان ومن بعده تتلمذ لدى السيد المرتضى علم الهدى ، وعند وفاة الأخير انتقلت اليه الزعامة الدينية في بغداد ، وفي عام ٤٤٨ هـ وبعد حوادث بغداد المشهورة انتقل مع تلاميذه إلى النجف الأشرف ليقوم فيها الحوزة العلمية المباركة والتي لا زالت قائمة حية حتى الآن وهي الآن برعاية المرجع الأعلى السيد أبو القاسم الخوئي حيث انتقلت اليه بعد وفاة الامام الحكيم في ٦ / ٦ / ١٩٧٠ . .

وتفسير التبيان يعتمد على المأثور (الأثر) دون الرأي حيث ورد فيه بالنص : « ان تفسير القرآن لا يجوز إلا بالأثر الصحيح وعن النبي (ص) وعن الأئمة (ع) الذين قولهم حجة كقول النبي (ص) وان القول فيه بالرأي لا يجوز ، وروى العامة ذلك عن النبي (ص) انه قال : « من نسر القرآن واصاب الحق فقد اخطأ ، وكره جماعة من التابعين وفقهاء المدينة القول في القرآن بالرأي كسعيد بن المسيب ونافع ومحمد بن القاسم بن عبد الله وغيرهم » . .

(٥) دفن الطبري بعد وفاته في داره ليلاً ، بسبب ان أنصار أحمد بن حنبل قد اجتمعت أمام داره ومنعت دفنه نهاراً لأن الطبري جمع كتاباً ذكر فيه اختلاف الفقهاء ولم يذكر فيه أحمد بن حنبل فسئل عن ذلك فقال : لم يكن أحمد بن حنبل فقيهاً وإنما كان محدثاً (الكامل - ابن الاثير) .

ولد الطوسي في شهر رمضان عام ٣٨٥ هجرية وتوفي في محرم الحرام سنة ٤٦٠ هجرية وقبره الذي شيّد حديثاً يقع عند مدخل شارع الطوسي من الجهة اليسرى بمدينة النجف الأشرف بالعراق .

وقد اרך تاريخ وفاته بهذه الأبيات

اودى بشهر محرم فاضافه حزناً بفاجع رزئه المتجدد
بك شيخ طائفة الدعاة إلى الهدى ومجمع الاحكام بعد تبدد
وبكى الشرع الشريف مؤرخاً « ابكى الهدى والدين فقد محمد »^(٦)
————— ٤٦٠ ه —————

٥ - « تفسير الكشاف » واسمه الكامل « الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الاقاويل في وجوه التأويل » لأبي القاسم محمود بن عمر الخوارزمي الزمخشري المعتزلي والملقب بجار الله .

وهذا التفسير هو من خير التفاسير التي يرجع اليها من ناحية خصائص الاسلوب القرآني وبلاغته حيث ان معظم التفاسير التي جاءت من بعده اخذت منه واعتمدت عليه من هذه الناحية . . . وهو يقع في (٤) أجزاء ويعتمد على الرأي . . .

لقد تحدث الزمخشري عن تفسيره بهذين البيتين من الشعر اعجاباً واعتزازاً به وهما :

(٦) إن لكل حرف في اللغة العربية رقم خاص به ، ويقوم هذا الحساب على الحروف الابدئية وعليه تبني التواريخ الشعرية ومواقع البروج ، وإتماماً للفائدة ندرج فيما يلي الحروف الابدئية وأرقامها :

أ = ١ ، ب = ٢ ، ج = ٣ ، د = ٤ ، هـ = ٥ ، و = ٦ ، ز = ٧ ، ح = ٨ ،
ط = ٩ ، ي = ١٠ ، ك = ٢٠ ، ل = ٣٠ ، م = ٤٠ ، ن = ٥٠ ، س = ٦٠ ،
ع = ٧٠ ، ف = ٨٠ ، ص = ٩٠ ، ق = ١٠٠ ، ر = ٢٠٠ ، ش = ٣٠٠ ،
ت = ٤٠٠ ، ث = ٥٠٠ ، خ = ٦٠٠ ، ذ = ٧٠٠ ، ض = ٨٠٠ ، ظ = ٩٠٠ ، غ = ١٠٠٠ .

ان التفاسير في الدنيا بلا عدد وليس فيها لعمرى مثل كشافي
ان كنت تبغي الهدى فالزم قراءته فالجهل كالداء والكشاف كالشافي
ولد الزمخشري عام ٤٦٧هـ وتوفي ليلة عرفة عام ٥٣٨هـ في
خوارزم من اعمال خراسان . .

٦ - تفسير القمي للحافظ علي بن ابراهيم القمي وهو من علماء القرن
الرابع عشر الهجري . .

٧ - تفسير الصافي لمحمد حسن بن المرتضى المحسن الفيض الكاشاني
المتوفى عام ١٠٩١ هجرية عن عمر امتد إلى ما يقرب من ٨٤ سنة . .

٨ - تفسير العياشي لمحمد بن مسعود الكوفي السمرقندي وهو من علماء
القرن الرابع الهجري . .

٩ - تفسير القرطبي المسمى « الجامع لأحكام القرآن » لأبي عبد الله
محمد بن أحمد الأنصاري الخزرجي الأندلسي ، توفي بمدينة المينا بصعيد
مصر في ٩ شوال عام ٦٧١ هـ

١٠ - تفسير ابن كثير للحافظ عماد الدين أبي الفداء اسماعيل بن عمرو بن
كثير القرشي البصري ثم الدمشقي . .

يعتمد هذا التفسير على المأثور كتفسير الطبري ، حيث التزم ابن
كثير تفسير القرآن بالقرآن وان لم يجد قصد إلى السنة الشارحة للقرآن
والموضحة لها وان لم يجد قصد إلى اقوال اصحاب رسول الله ثم
التابعين . .

ولد ابن كثير عام ٧٠٠هـ أو ٧٠٥هـ وتوفي عام ٧٧٤هـ بعد ان
كف بصره ، ودفن في المقبرة الصوفية عند شيخه ابن تيمية . .

١١ - تفسير الخازن الموسوم بـ « لباب التأويل في معاني التنزيل » لعلاء
الدين أبي الحسن علي بن ابراهيم البغدادي الخازن وهو تفسير يعتمد

على الرأي فضلاً عن انه لا يذكر فيه السند كما ويتوسع في الروايات والقصص الواردة فيه . .

ولد الخازن في بغداد عام ٦٧٨هـ وتوفي عام ٧٤١هـ ودفن في مدينة حلب الشهباء في شمال سورية . .

١٢ - تفسير البيضاوي : الموسوم بـ « انوار التنزيل وأسرار التأويل » للقاضي ناصر الدين أبي الخير عبد الله بن عمرو بن محمد بن علي الأذربايجاني البيضاوي ، وهذا التفسير يعتمد على الرأي كتفسير الرازي ورغم انه تفسير مختصر إلا أنه دقيق في عباراته يصل إلى المعنى من أقرب الطرق . .

توفي البيضاوي في مدينة تبريز شمال غرب ايران عام ٦٩١هـ . .

١٣ - تفسير أبي السعود المسمى « ارشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم » لمحمد بن مصطفى العمادي ، وهذا التفسير يعتمد على الرأي وهو تفسير رائع من حيث حسن تعبيره وسلامة تفكيره .

ولد أبو السعود عام ٨٩٣هـ هجرية وتوفي في مدينة اسطنبول عام ٩٨٢هـ ودفن بجوار قبر الصحابي أبي أيوب الأنصاري^(٧) حيث حظينا بزيارتها هناك . .

١٤ - تفسير النسفي المسمى « مدارك التنزيل وحقائق التأويل » لأبي البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي ، يعتمد هذا التفسير على الرأي ، وقد اختصر النسفي تفسيره من تفسيري البيضاوي والكشاف وهو

(٧) أبو أيوب الأنصاري صاحب رسول الله ، وفي الخبر أنه عند وصول النبي (ص) إلى المدينة بعد هجرته من مكة رفقة الخليفة أبي بكر الصديق ، أشعر قادة أهل المدينة بأنه سينزل في الدار التي ستحط ناقته أمامه ، ففعلاً بركت أمام دار أبي أيوب الأنصاري حيث أقام عنده الرسول ، اشترك مع إحدى وحدات الجيش الإسلامي في غزوها للروم فقتل قرب اسطنبول ودفن هناك .

تفسير وسط بين الطول والقصر جمع فيه بين وجوه الاعراب والقراءات . .

توفي النسفي عام ٧١٠ هجرية .

١٥ - تفسير الطنطاوي : للاستاذ الحكيم الشيخ طنطاوي جوهر ويسمى « الجواهر في تفسير القرآن » وقد عني المفسر بالعلوم الكونية وعجائب الخلق حتى قيل فيه - كما قيل في تفسير الرازي - « فيه كل شيء إلا التفسير » .

ولد الطنطاوي عام ١٢٨٧ هـ وتوفي عام ١٣٥٨ هـ الموافق لعام ١٩٤٠ . .

١٦ - تفسير الميزان للسيد محمد حسين الطباطبائي . . ولد عام ١٩٠٢ م في مدينة تبريز بشمال غرب ايران ثم رحل إلى النجف الأشرف عام ١٩٢٥ للدراسة في حوزتها العلمية ، ثم ترك النجف عائداً إلى وطنه عام ١٩٣٥ وتولى عام ١٩٤٦ التدريس في مدينة قم المقدسة إلى أن وافها الأجل في ١٥ / ١١ / ١٩٨١ - رحمه الله .

١٧ - تفسير المنار للسيد محمد رشيد رضا ، وهو تفسير يعتمد على المأثور ، ولد محمد رشيد رضا عام ١٢٨٢ هجرية وتوفي عام ١٣٥٤ هـ وقبل ان يفرغ من اكمال تفسيره .

١٨ - تفسير الألوسي الموسوم بـ « روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني » لأبي الثناء شهاب الدين محمود شكري الألوسي ، وهو تفسير يعتمد على الرأي وهو من أوسع التفاسير واجمعها وقد تأثر المؤلف بتفاسير الرازي والسيوطي والبيضاوي والزمخشري بأسطاً كل ذلك بأسلوبه الأدبي الرفيع . .

ولد الألوسي في جانب الكرخ عام ١٢١٧ هـ وتوفي عام ١٢٧٠ أو ١٢٦٩ هـ ودفن في مقبرة الشيخ معروف الكرخي بجانب الكرخ ببغداد .

١٩ - تفسير البلاغي المسمى « آلاء الرحمن في تفسير القرآن »
للشيخ محمد جواد حسن البلاغي ، وقد توفي البلاغي في مدينة النجف
الأشرف عام ١٣٥٢ هـ ، وقد صدر الجزء الأول من التفسير فقط حيث
عاجلته المنية قبل اتمامه . .

٢٠ - تفسير شبر : للعلامة المحقق الجليل السيد عبد الله بن
محمد رضا شبر ، وللمؤلف كتب ومؤلفات عديدة ومهمة تبلغ السبعين
كتاباً ولو قسمت أجزاؤها على سني حياته لبلغت نحو كراسة واحدة عن
كل يوم لذا لقبه أهل زمانه بالمجلسي الثاني . .

ولد العلامة شبر في النجف الأشرف عام ١١٨٨ هجرية وتوفي في
مدينة الكاظمية عام ١٢٤٢ ودفن في رواق الامامين الكاظمين - ع -

٢١ - تفسير الخوئي الموسوم بـ « البيان في تفسير القرآن » للعلامة
المجتهد زعيم الحوزة العلمية السيد أبو القاسم بن السيد علي أكبر
الموسوي الخوئي ، وقد صدر الجزء الأول منه فقط والذي يضم مقدمة
مهمة لا يستغني عنها كل واع أو مثقف ، ونحن الآن في انتظار صدور
الأجزاء الأخرى حتى يسهم هذا التفسير العظيم مع بقية التفاسير الحية
في توعية المسلمين وتقريب حقائق القرآن وعلومه من اذهانهم من أجل
بناء جيل القرآن والاسلام . .

٢٢ - تفسير في ظلال القرآن « للكاتب الإسلامي المجاهد
والعقري الفذ سيد قطب وهو صاحب الدراسات الإسلامية العديدة
كالعدالة الاجتماعية في الإسلام والسلام العالمي والإسلام ومعركة
الإسلام والرأسمالية ومعالم في الطريق والتي ملأت فراغاً كبيراً في
المكتبة الإسلامية ، وكان الكتاب الأخير - معالم في الطريق - هو آخر

الكتب التي دبجها يراع الكاتب الفذ قبل استشهاده في صيف عام ١٩٦٦م ، وهذا الكتاب - بحق - مثل كتاب « شبهات حول الإسلام » لأخيه محمد قطب مؤلف ثوري وإسلامي محض يلقي الأضواء على دور ومهمة البعث الإسلامي ونقطة البدء فيه إذا ما أريد انقاذ البشرية من شقوة الجاهالة والجاهلية ..

اما عن تفسيره فان الغرض الأول منه هو « تبسيط المبادئ القرآنية للنشء فهو إلى التوجيه اقرب منه إلى التعليم »^(١٨) وهو بعد هذا يعد « أحدث تفسير صدر في العالم العربي ، وإلى جانب هذا التفسير له كتابان أولهما - التصوير الفني في القرآن - وثانيهما - مشاهد القيامة في القرآن - وكلها تنبع من روح واحدة وتتجه وجهة واحدة وهي محاولة فهم الصورة الفنية في القرآن »^(١٩).

كما وان تفسيره هو « تفسير كامل للحياة في ضوء القرآن وهدى الاسلام انتهى فيه إلى ان الانسانية اليوم في شقائها بالمذاهب الهدامة وصراعها الدامي من حين لاخر لا خلاص لها إلا بالاسلام ، كما وانه لا صلاح لهذه الأرض ولا راحة لهذه البشرية ولا طمأنينة لهذا الانسان ولا رفعة ولا بركة ولا طهارة ولا تناسق مع سنن الكون وفطرة الحياة إلا بالرجوع إلى الله ، والرجوع إلى الله له صورة واحدة وطريق واحد ... واحد لا سواه انه العودة بالحياة كلها إلى منهج الله الذي رسمه للبشرية في كتابه الكريم ، انه تحكيم هذا الكتاب وحده في حياتها والتحاكم اليه وحده في شؤونها ، وإلا فهو الفساد في الأرض والشقاوة للناس والارتكاس في الحمأة والجاهلية التي تعبد الهوى من دون الله »^(٢٠).

(٨) مباحث في علوم القرآن - الدكتور صبحي الصالح .

(٩) التعبير الفني في القرآن - الدكتور بكري شيخ أمين .

(١٠) ، (١١) مباحث في علوم القرآن - مناع القطان .

وهو من بعد ذلك يعد بحق « ثروة فكرية اجتماعية لا يستغني عنها المسلم المعاصر » (١١).

٢٣ - تفسير القنوجي : والموسوم بـ « فتح البيان في تفسير القرآن » ومؤلفه هو أبو الطيب محمد صديق حسن خان البخاري القنوجي الحسيني أمير ولاية بهوبال (١٢) في وسط الهند ، وهذا التفسير هو ملخص من تفسير ابن كثير ويمتاز بسلامته من التطويل والحشو .

(١٢) من الطبيعي أن الاستعمار البريطاني لم يكن في وسعه أن يحكم بلداً كالهند (قبل الاستقلال) تزيد مساحته على الـ ٤ ملايين كيلومتر مربع ويزيد نفوسه - حينذاك - على الـ ٤٠٠ مليون نسمة ويدينون بمذاهب وأديان مختلفة وينطقون بأكثر من ٢٠٠ لغة ولهجة ، لو أنه - الاستعمار - لجأ إلى الأساليب الديمقراطية والطبيعية المألوفة في الحكم والإدارة . .

لذا لم يجد هذا الاستعمار وسيلة ممكنة ومحكمة لإدارة هذه البلاد المترامية أجدى من تفريقها وتقسيمها إلى ولايات وإمارات عديدة بقصد تفتيت قدراتها المادية والبشرية ومذكيل في نفس الوقت الخصومة والبغضاء بين الطائفتين الأكثر إنتشاراً ونفوساً وقوة في البلاد وهم الهندوس والمسلمون . .

ووفقاً لذلك فقد قسّم المستعمرون البلاد (شبه القارة الهندية) ومن حيث الإدارة والحكم إلى قسمين كبيرين أحدهما حكموه حكماً مطلقاً ومباشراً وبحكام وموظفين بريطانيين وهو ما يسمى بالهند البريطانية ويبلغ عدد أقاليمه (١١) إقليم وهي أكثر وأكبر وأغنى الأقاليم الهندية نفوساً وصناعة وثراء وهذه الأقاليم هي « السند ، بلوجستان ، البنجاب ، الحدود الشمالية الغربية ، الأقاليم المتحدة (بوبي) ، بيهار ، البنغال ، آسام ، أوريسه ، الأقاليم الوسطى ، مراهشتر (بومباي) » . .

أما القسم الآخر وهو ما يسمى بـ هند الأمراء فعبارة عن عدة مئات من الولايات والإمارات قد تكون هذه صغيرة بحجم مدينة واحدة أو كبيرة تزيد مساحتها على بريطانيا وقد بلغ عددها عن الاستقلال في منتصف آب ١٩٤٧ (٥٦٢) إمارة وولاية مساحتها جميعاً في حدود ١, ٢ مليون كم^٢ ويقطنها حينذاك ما يقرب من ١٤٠ مليون نسمة وكانت تحكمها الأسر الأقطاعية وأبناء الليونات والشخصيات الموالية للإنكليز ، وهذا القسم وإن كان يحمل في الظاهر لافتة الاستقلال والحرية إلا أنه - في الحقيقة - لا يقل عن القسم الأول =

ولد القنوجي عام ١٢٤٨ هجرية وتوفي في عام ١٣٠٧ هـ . .

٢٤ - تفسير الجلالين : لجلال الدين محمد المحلي وجلال الدين

عبد الرحمن السيوطي ، حيث ابتداء الأول في التفسير من أول سورة الكهف إلى آخر سورة الناس ثم بدأ بتفسير الفاتحة وعند اتمامها آثره الله لجواره ، فجاء الثاني فأكمل تفسير بقية القرآن . .

وهذا التفسير يعتمد على الرأي وهو قيم مختصر العبارة سهل المأخذ ، وهو لهذا أكثر التفاسير انتشاراً في العالم الاسلامي رغم انه اصغرها شرحاً وحجماً . .

ولد الأول في مصر سنة ٧٩١ هـ وتوفي في أول يوم من عام

٨٦٤ هـ .

اما الثاني فقد ولد في سنة ٨٤٩ هـ وتوفي في سنة ٩١١ هـ .

٢٥ - تفسير النيشابوري : المسمى « غرائب القرآن و رغائب الفرقان »

لنظام الدين الحسن بن محمد النيشابوري ، يمتاز هذا التفسير بسهولة عباراته وهو مختصر لتفسير الفخر الرازي مع تهذيب كبير فيه . .

= في ولاء حكامه لإدارة المستعمرين ورغباته . .

وكان المستعمرون قد وضعوا عند كل حاكم أو أمير أو نواب أو مهراجا أو راجا أو خان (وهي اسماء حكام الولايات) مقيماً بريطانياً له حق التدخل في كل صغيرة وكبيرة ، وعلى كل حاكم أن ينفذ نصائح المقيم وإلا فقد عرشه وحكمه ، ولم يكن يهم - هذا المقيم - سوء الإدارة في الولاية أو الامارة أو الخسف الذي ينزله الحكام بأبناء جيلهم بقدر ما يهمه من استنزاف لثروة الامارة وضمان ولاء الحكام فيها للعصا البريطانية الغليظة . .

ومن هذه الولايات والامارات « حيدرآباد ، كشمير ، بهوآل ، بهاولبور ، خيربور ، قلات ، جنرال سوات ، مكران ، لسبيل ، هنزا ، جونا كاد ، محمود كباد . . الخ » . .

وللمزيد من المعلومات يمكن الرجوع إلى كتابنا « أضواء على شبه القارة الهندية » الذي سيرى وجه النور قريباً . .

توفي النيشابوري في عام ٧٢٨ هجرية . .

٢٦ - تفسير البحر المحيط : لأبي حيان الأندلسي وهو أثير الدين أبو عبد الله محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان الأندلسي الغرناطي . .

يضم هذا التفسير كثير من مسائل النحو ومسائل الخلاف بين النحويين حتى قيل انه « اقرب إلى كتب النحومنه إلى كتب التفسير » . .
ولد الأندلسي عام ٦٥٤ هجرية وتوفي في مصر عام ٧٤٥ هـ .

٢٧ - تفسير الخطيب الشربيني : والموسوم بـ « السراج المنير في الاعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير » ومؤلفه هو شمس الدين محمد بن محمد الشربيني القاهري الشافعي الخطيب .

وهذا التفسير هو خلاصة التفسير التي سبقته مع الدقة والايجاز ، كما وقد قام المؤلف بتفسير كل بسملة من القرآن غير تفسير سابقتها . .

توفي الشربيني عام ٩٧٧ هجرية .

٢٨ - تفسير ابن العربي : وصاحبه وهو الشيخ محي الدين محمد بن علي الطائي الأندلسي . .

وهذا التفسير هو على طريقة أهل التصوف وينتهي إلى سورة الكهف ، توفي المؤلف في عام ٦٢٨ هـ .

٢٩ - تفسير « روح البيان في تفسير القرآن » لأبي الفداء اسماعيل حقي . .

والتفسير هذا والذي اكمله عام ١١١٧ هجرية هو تلخيص لما في تفسيري البيضاوي وأبي السعود والمؤلف يتبع تفسير الآية باللغة العربية تفسيرها باللغة الفارسية - توفي أبو الفداء عام ١١٢٧ هـ .

٣٠ - تفسير « تنوير المقباس في تفسير ابن عباس » للفيروز ابادي الشيرازي ، وهذا التفسير ينسب إلى حبر الأمة ابن عباس وقيل انه للفيروز ابادي نفسه . .

٣١ - تفسير البرغاني : والمسمى « مفتاح الجنان في حل رموز القرآن » لمؤلفه العالم الفاضل الحاج الملا محمد صالح بن محمد البرغاني القزويني الكربلائي . .

ان التفسير المذكور يعتمد على المأثور (الأثر) ولم يألوا مؤلفه جهده في ضم وجمع الأخبار من بطون الكتب ، ولكنه ، كعادته - لم يبرز نوعاً من الاجتهاد الفني في تفسير الآية أو مناقشتها بل كان يقتصر على التفسير ضمن مفاهيم الأحاديث والأخبار المنقولة ، اضافة إلى ايراده لأراء كثير من المفسرين والمؤرخين عند تفسير كل آية . .

والمؤلف وهو أخ الفقيه الكبير الحاج الملا محمد تقي الرغاني المعروف بـ (الشهيد الرابع) (١٣) وكان (المؤلف) قد ولد في مدينة

(١٣) ولد الشهيد الرابع في برغان وبعدها استقر في قزوين ثم رحل إلى النجف الأشرف حيث تتلمذ على يد السيد علي صاحب الرياض وشارك مع الشيخ جعفر كاشف الغطاء في حمل لواء الجهاد ضد أعداء الإسلام . .

وبعد ذلك ترك النجف وعاد إلى قزوين في عهد السلطان فتح علي شاه القاجاري ومارس فيها التدريس والتأليف ، وعند استفحال أمر الشيعة والبابية حينذاك شمر الشيخ عن ساعد الجهاد وقام بمحاربتهم وتكفيرهم . .

وعندما كان الشيخ في مساء أحد الأيام متفرغاً للصلاة والدعاء في محراب المسجد دخل عليه بعض البابيين وطعنوه بالسكاكين والمدى حتى الموت ، ودفن في قزوين في مقبرة كبيرة عام ١٢٦٤ هجرية . .

وعلى ذكر الشهيد الرابع فلا ضير من أن تأتي بسرعة على حياة من سبقوه في الشهادة في سبيل الله .

فالشهيد الثالث هو القاضي ضياء الدين نور الله بن شريف الدين المرعشي الحسيني الشوشنري ، ولد عام ٩٥٦ هجرية وتعلم في مدينة « تستر » في =

برغان قرب قزوين عام ١٢٠٠ هـ وقضى عمره في قزوين ثم هاجر إلى كربلاء وتوفي فيها فجأة وهو في حال الدعاء عند ضريح الإمام الحسين - ع - ودفن بالحرم الحسيني وذلك عام ١٢٨٣ هـ وقيل ١٢٧٠ هـ .

٣٢ - تفسير الثعالبي : والموسوم بـ « الجواهر الحسان في تفسير القرآن » للإمام أبي زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي الجزائري المغربي . .

= خوزستان فنسب إليها وعاصر الشيخ البهائي ، ثم يعم وجهه شطر الهند في عهد الأمبراطور أكبر المغولي فقلده القضاء ليصبح قاضي القضاة وبعد وفاة الأمبراطور وتولى ابنه جهانكير السلطة سعى الوشاة عنده بأن القاضي يحكم بموجب الأحكام الإمامية فقط ولم يلتفت الأمبراطور لدعواهم واستمر الحساد يوشايتهم إلى أن رضخ الأمبراطور لدعواهم فجلده علماء السوء وعاظ السلاطين مائة جلدة سقط شهيداً تحتها عام ١٠١٩ هـ وله كتب ثمينة أهمها إحقاق الحق ، كما وله مقبرة ضخمة في مدينة أكرانجوب دلهي يرتادها الزوار . .

أما الشهيد الثاني فهو الشيخ زين الدين بن نور الدين العاملي ، ولد عام ٩١١ هـ وطاف مختلف الأقطار الإسلامية حيث عقد صداقات مع علماء الدين في هذه الأقطار ، وقد كتب رسالة دينية إلى قاضي القضاة في اسطنبول استرعت إعجابه وثناؤه . وعينه إثر ذلك كمسؤول عن إحدى المدارس الدينية في مدينة بعلبك ببلتان وطلب منه التدريس وفقاً للمذاهب الخمسة ، وإثر وشاية بعض وعاظ السلاطين أمر الخليفة العثماني بالقبض عليه وفعلاً قبض عليه ونقل إلى اسطنبول حيث حكم عليه بالموت على ساحل البسفور عام ٩٦٥ هـ ، وشيد له فيما بعد وفي موقع إعدامه ودفنه مزار كبير ، ومن مؤلفاته شرح اللمعة الدمشقية للشهيد الأول . .

أما الشهيد الأول فهو شمس الدين أبو عبد الله محمد بن جمال المكي الدمشقي ولد عام ٧٣٤ هـ ومارس الدرس والتدريس في مكة والمدينة ودمشق ولمدة ٤٠ سنة ، سجن في قلعة دمشق لولائه لأهل البيت - ع - في خلال سجنه ألف « اللمعة الدمشقية » وصدر حكم الموت عليه لإنكاره العلوية ، وطلب منه التوبة ليرفع عنه حكم الموت ، إلا أنه أصر على عقيدته ، لذا ضرب عنقه بالسيف في دمشق عام ٧٨٦ هـ وقبره هناك . .

ان هذا التفسير هو خلاصة مفيدة لعدد كبير من التفاسير السابقة ،
وقد جعل المؤلف رمزاً لكل تفسير ينقل عنه ، توفي الثعالبي بمدينة
الجزائر عام ٨٧٦ هجرية ..

٣٣ - تفسير « بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز »
لمجد الدين أبي طاهر محمد بن يعقوب الفيروز ابادي الشيرازي ..

في هذا التفسير يشاهد عدد كلمات كل سورة ومجموع فواصل
آياتها .. توفي الفيروز ابادي عام ٨٤٠ هـ ..

٣٤ - تفسير « معالم التنزيل » لأبي محمد الحسن بن مسعود بن
محمد المعروف بالفراء والبغوي .

يعتمد هذا التفسير على المأثور ، وتوفي البغوي عام ٥١٦ هـ .

٣٥ - تفسير « الدر المنثور في التفسير بالمأثور » للسيوطي وهو
الحافظ جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد السيوطي ، وهو
تفسير يعتمد على المأثور كما ورد في اسمه وقد اهتم المفسر بالنقل
والجمع من دون التمييز بين العث والسمن .. ولد السيوطي عام
٨٤٩ هـ وتوفي عام ٩١١ هجرية .

٣٦ - تفسير « فتح القدير » للشوكاني لمحمد بن علي بن محمد
بن عبد الله الشوكاني اليمني .

لقد جمع المؤلف في تفسيره هذا بين الرواية والدراية حيث نقل
كثيراً من الروايات الواردة عن السلف وآراء من سبقه من المفسرين ..
ولد الشوكاني عام ١١٧٣ هـ وتوفي في عام ١٢٥٠ هـ ..

٣٧ - تفسير القاسمي : الموسوم بـ « محاسن التأويل » لمحمد
جمال الدين القاسمي ..

ينقل المفسر بأمانة عن السابقين ويمتاز بوضوح عباراته وبساطة
بحثه ..

ولد القاسمي عام ١٢٨٣هـ وتوفي عام ١٣٣٢هـ .

٣٨ - « منهج البيان في تفسير القرآن » لمؤلفه حجة الإسلام السيد ابن الحسن بن العلامة الحجة آية الله العظمى السيد محمد حسن الرضوي .

ان هذا التفسير يعد أحدث تفسير صدر إلى الوجود حيث طبع عام ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م في إحدى المطابع العربية بمدينة كراچی بالباكستان ، وقد صدر الجزء الأول منه وينتظر ان تعقبه الأجزاء الأخرى بالتعاقب .

وهذا الجزء يضم التعريف بالقرآن الكريم وتاريخه وعلومه واسرار بلاغته واعجازه ومحكمه ومتشابهه وغير ذلك حيث يمكن اعتباره مقدمة جليلة للتفسير ، كما ان هذا الجزء يضم اضافة للمقدمة تفسير سورة الفاتحة وأربع آيات من مطلع سورة البقرة ، ويعتمد هذا التفسير على المأثور دون الرأي والذي لم يجوز الأخذ به . .

٣٩ - تفسير البرهان : للسيد هاشم البحراني - ويعتمد هذا التفسير على المأثور دون الرأي أيضاً .

٤٠ - تفسير الفرقان : للشيخ محمد الصادقي ، يقع في عدة مجلدات ، وصدر منه حتى اليوم عشرة اجزاء .

إعجاز القرآن

مركز تحقیق تفسیر و علوم اسلامی



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

الاعجاز هو حدث خارق للعادة ولقوانين الطبيعة مقرون بالتحدي وسالم من المعارضة وشاهد على صدق دعواه .

وليس الاعجاز وحده هو خارق للعادة بل هناك (٦) أقسام خارقة للعادة وللفادة نردها جميعاً وهي :^(١)

١ - الارهاص : وهو الذي يسبق البعثة ودعوى النبوة كإشارة أو تلميح لهما . .

٢ - المعجز : وهو ما يقدمه الأنبياء والمرسلون كدعوى لنبوتهم دون استطاعة أحد على الاتيان بمثلها أو ردها ويكون مع الدعوى بلا تهينة ولا مهلة .

٣ - الكرامة : وهي استجابة الدعاء في الصالحين والأبرار من الناس . .

٤ - الاستدراج : وهو مكر الله ازاء الفارق بالمعاصي حيث يُعطى بعض ما يتمنى خرقاً للعادة فيغتر ويزعم ان ذلك من كراماته وفضائله . .

٥ - المكذبة : وهي ما تكون مخالفة للدعوى فتكذب دعوى المدعي لوقوعها على خلاف ما أراد ، كما وقع لمسيمة حيث دعا لأعور فعميت العين الصحيحة ودعا لجريان ماء البئر فجف ماؤها . .

(١) ، (٢) منهج البيان في تفسير القرآن - السيد ابن الحسن الرضوي .

٦ - السحر : وهو عمل خارق يكون بعد تهيئة أسبابه على مهلة بدون الدعوى حيث ان سحرة فرعون طلبوا الحبال والتمسوا المهلة للتهيئة ..

وحيث ان المجال لا يسع هنا لشرح كل فقرة ومقارنتها بالاعجاز لبيان مدى الاختلاف بينهما ، لذا نكتفي هنا بشرح الاعجاز وانواعه وامده وأسبابه لارتباطه الوثيق بموضوع هذه الدراسة ان لم يكن أهم موضوع فيها . . « فالمعجز - اصطلاحاً - هو الأمر الذي يأتي به مدعي النبوة أو الامامة بعناية الله الخاصة خارقاً للعادة وخارجاً عن القدرة البشرية ونواميس الطبيعة مع مطابقته للدعوى واقترافه بالتحدي ليكون ذلك دليلاً على صدق دعواه » (٢).

والمعجزة إما تكون محدودة وحسية تشاهد بالعين والبصر يراها من حضرها فقط ولا يمكن لغيرهم مشاهدتها كما وتزول بزوال وقتها مثل معجزة النبي موسى أو النبي عيسى - عليهما السلام .

وإما ان تكون - المعجزة - عقلية تدرك وتشاهد بالبصيرة ويستمر مفعولها وتحديها إلى النهاية كما هي الحال في معجزة الرسول محمد (ص) وهي القرآن الكريم . .

والمعجزة متى ما كانت محدودة وقصيرة الأمد ولم يتسنى للبعيد ان يراها أو ان يلمسها قد تنقطع اخبارها المتواترة فلا يمكن لهذا البعيد لا سيما بعد مرور فترة طويلة ان تحصل له القناعة الكافية على صدقها وصحتها . .

فاذا ما كلفه الله تعالى - جداً - بالايمان بها كان ذلك من نوع التكليف بالمتنع وهو مستحيل على الله سبحانه فلا بد « اذن للنبوة والرسالة الدائمة المستمرة من معجزة تتجاوب معها في الديمومة والاستمرار والبقاء » (٣).

(٣) البيان في تفسير القرآن - السيد ابو القاسم الخوئي .

لذا فتأسياً على ما سبق نخلص للقول بأن الشرائع التي سبقت الاسلام قد باتت منتهية المفعول ومنقطعة الأثر بسبب انتهاء امد دليلها ومعجزتها ، وبقول آخر لزوال ومضي المعجزة التي شهدت على صحة تلك الشرائع والرسالات . .

بينما نرى الشريعة الاسلامية هنا تتفوق وتسبق ما عداها بسبب ان معجزتها وهي - القرآن - باقية وخالدة إلى آخر الزمان وكون التحدي والاعجاز فيها ظاهرة ومستمرة بوجه كل جيل وفي كل وقت وزمان لأنها من عند الله تعالى ولا صنعة لمحمد (ص) ولا لغيره فيها . .

أجل ان معجزة القرآن هي ابدية وهي بين أيدينا كما كانت في عهد اجدادنا وستظل امام احفادنا تطاول الخلود ولن تكون اسطورة في يوم ما ولن تصبح موضع الشك أبداً وسيحطم على صخرتها ويتناثر كل قلم يحاول التصدي لها أو يتحداها من قريب أو بعيد . .

وبصدد بيان وجه اعجاز القرآن فقد تكلم فيه فطاحل الكتاب والعلماء مشيرين إلى شتى أنواع وألوان الاعجاز واشكاله سواء ما كان منه في البلاغة والقصص والعلوم والفنون والتشريع والتصوير والفلسفة والاخلاق والسياسة والاقتصاد وفي غيرها . .

هذا وإذا لم نجد فروع هذه العلوم والفنون والآداب مبوية ومفصلة في القرآن الكريم كما هي في الكتب الموضوعة لهذه الغاية ، فاننا نجد فيه جميع اصولها واسسها ومبادئها والتي لا تشذ عنها مسألة واحدة يفرضها الواقع ، وقد تجلت هذه الحقيقة شيئاً فشيئاً وبمرور الأيام وتطور العلوم . .

فكلما اكتشف جديد وجدنا له اساساً في القرآن ولهذا قال ابن عباس « ان في القرآن معان سوف يفسرها الزمن »^(٤) .

(٤) علي والقرآن - محمد جواد مغنية .

وبشأن سبب الإعجاز في القرآن الكريم ومصدره وما اذا كان قد جاء عن طريق صرف الله سبحانه للناس ومنعهم عن الإتيان بمثله حين استعدادهم وشروعهم في محاولة التحدي ، ام ان هذا الإعجاز قائم على خلاف ذلك أي نجده ساطعاً وجلياً في نفس القرآن وفي بلاغته وتشريعاته وعلومه وقصصه وأحكامه وصحة معانيه وسلامته من جميع العيوب . . الخ وان الله تعالى لا يصرف ولا يعيق احداً ممن يقبل أو يسعى للتحدي .

لقد ذهب إلى الرأي الأول والمسمى « الصرفة » نفر قليل من الأدباء وارباب الفكر منهم النظام^(٥) وعبادة بن سليمان وهشام الفوطي وهم في عالم الأرقام والحساب لا يتجاوزون عدد اصابع اليد الواحدة . .

وقد كتب هؤلاء في سبيل الانتصار والدفاع عن فكرتهم وآرائهم في الصرفة ما يلي : انهم « لا يرون ان القرآن معجز لبلاغته أو فصاحته أو أي شيء آخر فيه حيث ان العرب وغيرهم قد كانوا قادرين ولا زالوا على ان يأتوا بمثله ، ولكن الله تعالى صرفهم وسبب صرفهم ومنعهم من كل ذلك تصديقاً منه لنبيه المرسل (ص) - فليس القرآن عندهم هو المعجز وانما المعجز عندهم هو صرف الله الناس عن الاتيان بمثله أو محاكاته »^(٦) أي ان المنع - لدنى هؤلاء - هو المعجز . .

كما واضاف هؤلاء في تأييد رأيهم ان الله تعالى « ما انزل القرآن

(٥) النظام هو أبو اسحق إبراهيم بن سيار بن هاني البصري شيخ المتكلمين وحجة المعتزلة ، وقد عاصر كل من الرشيد والمأمون ومات في خلافة المعتصم العباسي شاباً وفي سنة ٢٣١ هجرية عن عمر ٣٦ سنة ، ومن تلاميذه الجاحظ الأديب المعروف وإليه - النظام - تنسب المدرسة أو الفرقة النظامية وقد لقى هشام بن الحكم وأفاد منه كما وأخذ عن أبي هذيل العلاف ثم استقل عنه . .

(٦) تجديد ذكرى أبي العلاء - الدكتور طه حسين .

ليكون حجة على النبوة ، بل هو مثل بقية الكتب المنزلة من قبل ، انزل لبيان الاحكام والتعاليم من الحلال والحرام ، والعرب انما لم يعارضوه مع قدرتهم عليه لأن الله تعالى صرفهم عن ذلك ^(٧) .

وفي الحقيقة ان هذه الحجج والدعاوى هي هزيلة وواهية ولا تقف على قدميها ولا تصمد امام الحقيقة والواقع وليس لها وزن يقام كما سنرى قريباً . . اما الأكثرية من الأدباء وارباب القلم والفكر والتي تذهب إلى ان الصرفة ليست هي سبب الاعجاز وان الاعجاز قائم في نفس الكتاب ^(٨) في فصاحته وبلاغته وفنونه وعلومه وانظمته فتورد ادلة وحقائق عديدة من أجل اثبات رأيهم وقولهم ومنها ان الله تعالى لا يليق به ان يصرف الناس عن الاتيان بمثله - القرآن - وهو الذي يخاطبهم ويتحدثهم فيه وبكل صدق وصراحة بقوله « قل فأتوا بسورة مثله » ^(٩) فلا يمكن هنا والحالة هذه التوفيق والملائمة بين تحدي الله الناس بالاتيان بمثل هذا القرآن أو سورة من مثله وبين صرفهم عنه وهو ما تقوله الفئة الأولى لأن هذا الفعل يوقع في التناقض والتصادم ومحال على الله تعالى ذلك أبداً . .

ومنها أيضاً انه اذا لم يكن القرآن معجزاً لما فيه من الوان البلاغة وفنون الأدب والبيان لكان نزوله عن مرتبة البلاغة ودرجة الفصاحة ابلغ في الاعجوبة والاعجاز والتحدي والاتيان بشيء منه . .

ومنها لو أن العرب كانوا قد صرفوا عن معارضة القرآن فلم يكن من قبلهم من العرب مصروفين عنه بسبب انهم لم يتحدثوا به ، فربما كان من الطبيعي ان نجد ونقف على ما يناظر القرآن ويشبهه في كلام العرب السالفين وهذا ما لم نجده في الأدب العربي الخاص بهم . .

(٧) من بلاغة القرآن - الدكتور أحمد أحمد بدوي .

(٨) الإتقان في علوم القرآن - جلال الدين السيوطي .

(٩) يونس : ٣٨ .

ومنها ما قرأنا في خضم التاريخ - كما سيرد بيانه - من ان هناك كثيرين منذ فجر الاسلام حتى العصور المتأخرة حاولوا تقليد القرآن والاتيان بمثله أو شيء من مثله ، إلا ان حصيلة اعمالهم وثمره اتعابهم هذه لم تتعدى عن ان تكون كلمات وجمل هزيلة وجافة وغير منسجمة ولا منسقة ولا تقف ابداً بجانب اقل مستويات الأدب والثقافة والبيان . . . لذا فان الله سبحانه لم يصرف هؤلاء عن عملهم والذي تمخض عن عبارات وجمل ومقالات متداعية وضعيفة ، بل فتح امامهم أبواب التحدي ولا زال على مصراعيه . . .

ومنها كذلك انه لو كان عجز العرب عن المعارضة والصرفه غير صحيح لما استعظموا بلاغة القرآن وتعجبوا من بيانه وبلاغته - كما سيرد بيانه - وكما جاء على لسان بعض اعداء الاسلام كالوليد بن المغيرة وعتبة ابن ربيعة وغيرهم .

ولسنا الآن في صدد الاسهاب في هذا الموضوع أو ايراد كل ما كتب عن اعجاز القرآن ولو على وجه الايجاز والاختصار لأن الاشارة إلى اكثر من ذلك سيتطلب المزيد من البيان والوقت وهو يتعارض واسلوب هذه الدراسة . . .

هذا فضلاً عن ان موضوع اعجاز القرآن قد أصبح امراً وشيئاً مفروغاً منه بعد ان فلتت اسلحة المتحدين وباءت محاولاتهم وجهودهم بالفشل والخسران . . .

علماً بانه لو كان هناك شيء من التحدي - جدلاً - ولو بسورة واحدة فقط « لذكره ولرفعه الضالين ناراً على علم ولاحتفلت فيه الملايين من اعداء الاسلام والقرآن ولسجل في كتبهم وموسوعاتهم التي ملئت الخافقين وتلقوه بالفرحة والغبطة لأنها الحجة التي ما وراءها حجة » (١٠) .

(١٠) آلاء الرحمن في تفسير القرآن - الشيخ محمد جواد البلاغي .

فضلاً عن انه « قد مضت على نزول القرآن أربعة عشر قرناً ودخل القرن الخامس عشر باكتشافات جديدة ومخترعات مدهشة وهذه سنة ثلاث واربعمئة بعد الألف ولم يقدر أحد على معارضته ، فلو كان في وسع أحد الاتيان بمثل هذا القرآن أو بمثل سورة منه لأتى به ، وهذا من أعظم الدلائل على اعجاز القرآن وانه وحي الهي لا يشبه كلام الانس ولا كلام الجان »^(١١) . .

لذا فليس لدينا ما نقوله هنا إلا ان نذهب ونشد على عضد من صرّح بان « نفس موسى وعيسى - عليهما السلام - وسائر الأنبياء الآخرين لو جاءوا الآن لما سمعهم إلا الايمان القاطع بهذه المعجزة والاعتراف بصحتها وبقائها »^(١٢) مدى الزمن والدهر . .

اذن « فاعجازه - القرآن - من حيث الآية بداية ونهاية ومسافة وقافية وقد يكون الروي واحد ومقاطع صوتية متشابهة ، واعجازه في السورة من حيث تعدد فصولها والصورة الفنية فيها ، فسورة طويلة واخرى صغيرة وسورة بدأت بدعوى ثم اعقبها بادلة وبراهين ثم بصيغ مقاربة وحديث وآخر وقصة واخرى »^(١٣)

ورغم كل هذا وذاك فإنه نرى انه ليس من المنطقي أو المعقول في شيء ان نمر على موضوع اعجاز القرآن - والذي هو من أهم مواضيع هذه الدراسة - من دون ان نشير ولو بايجاز إلى بعض وجوه هذا الاعجاز واشكاله على ان نتولى أولاً تعداد بعض الأوجه المهمة في الاعجاز ثم نخرج على تبيان وكشف وجه واحد أو أكثر منه والذي له ارتباط وثيق بروح العصر وبالتقدم العلمي الذي تعيشه البشرية ، على ان نتوج كل

(١١) منهج البيان في تفسير القرآن - السيد ابن الحسن الرضوي .

(١٢) القرآن والعلم الحديث - عبد الرزاق نوفل .

(١٣) القرآن والعقلية العربية - نعمة هادي الساعدي .

ذلك بمقدمة قصيرة تبحث في موقف اعداء القرآن منه ، وكيف امكن للقرآن ان يأسر الباب وعقول كثير من هؤلاء فيعيدهم إلى صفوف المسلمين ليكونوا من انصار ودعاة الدين الجديد بعد ان كانوا من اشد الخصوم له

لقد نزل القرآن في بلد عربي وبين عوائل عربية كانت تعاني وتشكو من التأخر والانحطاط والتخلف في غالبية النواحي والبيادين إلا في الفصاحة والبلاغة والبيان والتدوين ، لذا نرى ان الله تعالى قد بعث لهؤلاء القوم كتاباً بلغتهم و « على المستوى الفني والبلاغي الذي كان عليه هؤلاء ولم يتخذ فناً أو صياغة أو اسلوباً أو نهجاً في الخطاب غير مألوف عندهم »^(١٤) ليكون حجة لصدق نبوة الرسول (ص) . .

ورغم المعارضة المستميتة التي وجهها القرشيون للحط من اشراق النبوة وطمس معالم الرسالة ورغم التهم والافتراءات الباطلة التي نثروها هؤلاء بسخاء في طريق الرسول (ص) وانطلاقة الدعوة ، رغم كل هذه وتلك لم تسمع قط بمحاولة جديدة أو تصميم صادق من قبلهم للاتيان بمثل هذا القرآن أو بشيء يسير منه ولو بمقدار سورة صغيرة واحدة عدا كلمات مضطربة لا يوحد لها نظام أو هدف محدد . .

لقد اراد نفر من المشركين - في عهد الرسول - ان يطعنوا بالقرآن عن طريق استخراج ما به من آيات غير فصيحة أو كلمات غير متداولة ليعلنوا عدم اعجاز القرآن - وقد قاموا باستخراج الكلمات الثلاثة وهي (يستهزىء ، كبار ، عجاب) وجاءوا إلى الرسول ليشعروه بما عثروا عليه ، وان هذا سيذهب باعجاز القرآن وروعته ، فأجابهم الرسول باحضار فصحاتهم وبلغائهم التباحث معهم في أمر هذه الكلمات ، وفعلاً قدم هؤلاء على الرسول (ص) وعند دخولهم قام لهم الرسول

(١٤) القرآن والعقلية العربية - نعمة هادي السعدي .

فقاموا ثم جلس فجلسوا معه ثم قام الرسول مرة أخرى فقاموا معه وجلس فجلسوا وهكذا إلى عدة مرات فما كان من كبيرهم إلا ان يخاطب الرسول بقوله : « اتستهزى بي وانا شيخ كبار ان هذا يا محمد لشيء عجاب » فأجاب الرسول بأن هذا الكلام هو جواب هؤلاء فانصرفوا . .

واذا ما كانت هناك وبعد وفاة الرسول (ص) أو قبلها بقليل ، اذا كانت هناك محاولات مشبوهة من قبل ادعياء النبوة كمسيلمة بن حبيب النجدي الكذاب في بني حنيفة باليمامة أو طليحة بن خويلد الأسدي في قبيلة بني سعيد أو سجاح بنت الحارث في بني تغلب أو الأسود العنسي في اليمن لمحاكاة القرآن أو الاتيان بمثله فان ما أورده هؤلاء من كلمات وأقوال لا يتعدى عن ان يكون هذيان محموم وسقطات مضطربة وغير مرتبطة بالقواعد النحوية والبلاغية . .

وباختصار فانها لا تصل إلى ألف باء الأدب واللغة فضلاً عن مستوى ارفع منه بقليل ، لذا آثرنا هنا ألا ننقل منها إلا نثراً قليلاً لأنها لا تستحق النظرة العابرة فضلاً عن قرائتها ودراستها بامعان وتدبر^(١٥) . .

لقد أورد مسيلمة الكذاب الذي زعم ان له قرآناً نزل عليه من

(١٥) ربما يظن البعض بان نجاح الإسلام وانتشاره وقهر مناوئيه قد طمس على آثار هؤلاء المناوئين له سواء الفكرية أو الأدبية أو غيرها ، وذلك لما نرى في عصرنا الحاضر من أن الكلمة المطاعة والأخيرة هي للغالب وان المغلوب سيناله الويل والشبور ، إلا أن الذي أوردناه عن آثار هؤلاء المناوئين للإسلام هو الحقيقة والواقع وذلك لسببين هما :

١ - إن للإسلام ورسالته حالياً أعداء كثيرون وهدفهم الأوحـد تشويه معالم هذا الدين بقلب الحق إلى باطل وبالعكس . فلو كان هناك أدب وفكر ، لمناوئي الإسلام لابرزوه وأذاعوه وهذا ما لم نجده في الكتب أو مكان آخر . .

٢ - إن التاريخ يضم كل صغيرة وكبيرة وكل غث وسمين حيث هو سجل ناصع للحياة ، ولم نشاهد في هذا السجل ما يشير إلى وجود تراث لأعداء الإسلام ومناوئيه . .

السماء ويأتي به اليه ملك يدعى « رحمن » أورد في قرآنه المزعوم ما يلي : « الباذرات زرعاً ، والحاصدات حصداً ، والذاريات قمحاً ، والطاحنات طحناً ، والعاجنات عجناً ، والخابزات خبزاً ، والشاردات ترداً ، واللاقمات لقماً ، اهالة وسمناً ، لقد فضلتم على أهل الوبر ، وما سبقكم أهل المدر ، ريفكم فأمنعوه ، والمنعتر فأووه ، والباغي فناوئوه الخ .

وقال أو أورد في مكان آخر من هذا القرآن المزعوم : « الفيل ما الفيل ، وما ادراك ما الفيل ، له ذنب قصير وخرطوم طويل » .

كما ورد فيه أيضاً « يا ضفدع بنت ضفدعتين ، نقي ما تنقين ، نصفك في الماء ونصفك في الطين ، لا الماء تكدرين ، ولا الشارب تمنعين » .

هذا « وكل كلامه على هذا النمط واه سخيف لا ينهض ولا يتماسك ، بل هو مضطرب النسيج مبتذل المعنى مستهلك من جهتيه » (١٦) .

اما الأسود العنسي الملقب بذي الخمار فله غريب وعجيب ونورد في أدناه احدى سورته التي يباري بها « سورة الأعلى » اذ يقول : « سبح اسم ربك الأعلى الذي يسر على الجبل فخرج منها نسمة تسعي بين اضلاع وحشى فمنهم من يموت ويدس في الشرى ومنهم من يعيش ويبقى . . . »

هذا وان آيات القرآن الكريم لم تشل أيدي وقلوب والسنة العرب عامة والقرشيين خاصة وتتحداهم في ان يأتوا بمثلها فقط وانما اسرت قلوب بعض هؤلاء واخذت بالبابهم واجرت على افواههم والسنتهم الحق

(١٦) إعجاز القرآن والبلاغة المحمدية - مصطفى صادق الرافعي .

(١٧) التصوير الفني في القرآن - سيد قطب .

والصدق عندما ادركوا ما فيها من البلاغة والبيان والحكمة الخ فضلاً عن ان « هذه الآيات كانت العامل الحاسم أو احد هذه العوامل الحاسمة في ايمان من آمنوا في أوائل أيام الدعوة يوم لم يكن للرسول (ص) حول ولا طول ويوم لم يكن للاسلام قوة ولا منعة »^(١٧).

فهذا الوليد بن المغيرة الذي عاش ومات على كفره لما سمع من النبي (ص) قوله تعالى : ﴿ إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون ﴾^(١٨) يجب قومه عندما سألوه عن حقيقة ما سمع من محمد (ص) بقوله : « انه سمع من محمد أنفاً كلاماً لا يشبه شيئاً من كلامنا ، انه ليس من كلام الانس والجن ، ان له لحلاوة وان عليه لطلاوة وان اعلاه لمثمر وان اسفله لمفدق وان اصله لعذق وان فرعه لجناة وانه ليحطم ما تحته وانه ليعلو ولا يعلى عليه » .

ولما طلبوا منه - وهو الشيخ الكبير المجرب الداهية - ان يصفه لهم قال : « قولوا ساحر جاء بقول يفرق بين المرء وأبيه وبين المرء وأخيه وبين المرء وزوجته وبين المرء وعشيرته »^(١٩) .

ف « انظر إلى هذا الرجل المعاند كيف اعترف الحق في أول أمره بحسب ذوقه العربي الذي كان مفطوراً عليه ، ولكن لما اعترته الحمية وغلبت عليه الشقرة عدل عن مقاله وعاد إلى ضلاله »^(٢٠) .

وذاك هو عتبة بن ربيعة الذي تبعته قريش ليفاوض ويساوم النبي (ص) في ترك دعوته لقاء مغانم ومنافع هائلة ومغرية لا يكاد يعود من عنده بعد ان يسمع كلامه حتى يجيب قريش وهم بانتظار قدومه بقوله :

(١٨) النحل : ٩٠ .

(١٩) القرآن - محاولة فهم عصري - مصطفى محمود .

(٢٠) منهج البيان في تفسير القرآن - السيد ابن الحسن الرضوي .

« . . . اني سمعت قولاً والله ما سمعت مثله قط والله ما هو بالشعر ولا بالسحر ولا بالكهانة، يامعشر قريش اطيعوني واجعلوها بي وخلوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه فاعتزلوه فوالله ليكونن لقوله الذي سمعت منه نبأ عظيم فان تصبه العرب فقد كفيتموه بغيركم وان يظهر على العرب فملكه ملككم وعزه عزكم وكنتم اسعد الناس به » .

وهذا مثل ثالث هو الخليفة عمر بن الخطاب (رض) قبل ان يشهر اسلامه تطرق اسماعه اخبار مقلقة مفادها ان شقيقته (فاطمة) قد اشهرت اسلامها - او صبات بمفهوم القرشيين حينئذ - فيذهب لتوه إلى دارها وهو يتميز من الغيظ مصمماً على الاجهاز عليها - ان ثبت لديه اسلامها - ليجعل منها عبرة لكل من يحاول أو يفكر في تبديل دين آبائه واجداده والدخول في الدعوة الجديدة التي جاء بها محمد (ص) . .

وعندما يقترب من دارها ويلججه يبطش بصهره (ختنه) سعيد ويلطم اخته لطمه يشج بها وجهها ثم يخطف من يد أخته - التي كانت ترتجف امامه - صحيفة خاصة ليرى حقيقتها وما هو مسطر فيها . .

ولكن ما ان يمرر بصره عبر هذه الصحيفة ويبدأ بقراءة ما تضم من كلمات وجمل تأخذه سنة من التفكير والتأمل العميق يتمخضان عن استيقاظ الضمير وحركة الوجدان بعد ان يدرك بان الذي قرأه ليس من صنع بني قومه ولا نظمهم ولا يشبه ما سمعه من كلام العرب واشعارهم فينطق لسانه بقولته الشهيرة : « ما احسن هذا الكلام واكرمه » .

لذا فيسأل بعد ذلك عن الدار التي يختبئ بها الرسول (ص) فيتجه صوبه مسرعاً وفي وسطه يشهر اسلامه بين صفوف الرسول ومن معه من المسلمين فيرتفع التكبير في اطراف الدار حتى خيف ان يصل التكبير إلى سماع القرشيين التي لا تبعد مساكنهم عن هذه الدار إلا بمسافة قصيرة ، ولكن الفرح الذي غمرهم والأمل الذي اصابهم كان اقوى من الخوف ومن بطش القرشيين بعد ان انضم إلى صفوفهم نصير

جديد له في قلوب المكيين رهبة وخشية عظيمين . .

وهذه الأسطر القليلة التي فصلت في نفس عمر بن الخطاب ونقلته
من صفوف المشركين إلى لواء الاسلام كانت آيات معدودة من سورة
طه . .

وتمضي السنون وتتلاحق الأيام فتتظافر تبعاً لها الجهود المربية
وتلتقي الآمال المشبوهة النيل من القرآن أو محاكاته ، ولكن كل ذلك
كان ينتهي إلى الفشل الذريع والخسران المبين . .

ولا ضير هنا من ان نورد لوناً آخر من هذه المساعي البائسة لنرى
كيف بائت آمال ابطالها بالخسران وكيف أعترف فرسانها بالفشل وعجزهم
عن محاكاة القرآن أو التصدي له .

وهذا اللون الجديد من هذه الجهود والمساعي المربية تلخص في
الرواية التالية والتي نقلها بتصريف^(٢١)



(٢١) المعجزة الخالدة - السيد هبة الدين الشهرستاني .
(٢٢) ولد عبد الله بن المقفع في البصرة في النصف الأول من القرن الثاني الهجري
(عام ١٠٦ هـ) وكانت - البصرة - حافلة بالأدباء والشعراء فبرع باللغة العربية
وآدابها وأصبح كاتباً للخليفة أبي جعفر المنصور ، ونشأ ابن المقفع - كأيه -
زرادشتياً وأسلم على يد عيسى بن علي عم المنصور وأصبح كاتباً عنده . .
ويرجع نسبه إلى الفرس ، لذا كان عريقاً في الفارسية عالماً بآدابها متمكناً من
أساليبها لأنها لغته ولغة آبائه . .

لذا فعندما أقدم على ترجمة كتاب (كلیلة ودمنة) من الفهلوية (الفارسية
القديمة) إلى العربية كانت ترجمته أمينة وصادقة . .

قتله عامل المنصور في البصرة في عام ١٤٢ أو ١٤٣ هـ وعمره لا يتجاوز
الأربعين سنة . . وسبب قتله هو تشدده في كتابة صيغة الأمان التي وضعها ليوثق
عليها المنصور أماناً إلى عبد الله بن علي حيث أفرط ابن المقفع في الاحتياط
بها حتى لا يجد المنصور منفذاً فيها للاخلال بعهده ، حيث غاظ المنصور ذلك
فأوعز إلى عامله لقتله ، ومن آثاره الأدبية هو « الأدب الصغير والأدب الكبير
والتيمة ورسالة الصحابة وكلیلة ودمنة » . .

يروى انه قد التقى في بيت الله الحرام عند مطلع الدولة العباسية أربعة من اقطاب الأدب وفرسان الزندقة والالحاد وهم عبد الكريم بن أبي العوجاء وأبو شاعر ميمون بن ديسان وعبد الله بن المقفع^(٢٢) وعبد الملك البصري ، فخاضوا في مسائل الحج ومناسكه والدعوة الاسلامية وما يذوقون في ظلها من صنوف التنكيل والمقاومة ، وقد استقرت آراؤهم والتقت افكارهم في معارضة القرآن ومحاكاته وكشف ما به من اخطاء لأنه لو تحقق لهم ذلك تمكنوا من اسقاط الشريعة وابطال مفعولها ، لأن هذه الشريعة تعتمد على القرآن ، فلو سقط القرآن - برأيهم - لسقطت الشريعة وانهدمت الدعوة . .

ولقد اتفق الأربعة على ان يتولى كل واحد منهم القيام بعبء نقض ربع من القرآن إلى نهاية السنة القادمة ، وبجمع الأرباع الأربعة إلى بعضها فسيكون كل القرآن قد تم نقضه وبذلك سيريحوا انفسهم وجماهير المسلمين من تكاليف الاسلام واعبائه من صلاة وصيام وزكاة وحج وجهاد الخ وستحقق بذلك مبادؤهم واهدافهم المتهرئة . .

فتفرق الأربعة كل إلى دياره ومصره حاملاً كل منهم ربع القرآن الذي وقع من نصيبه على ان يكون لقاءهم القادم في مثل هذا الوقت والمكان من السنة القادمة . .

ولما حان الوقت المحدد حضر الجميع ، وبعد ان استقر مكانهم واخذوا في التداول فيما بينهم عن اتفاقهم السابق حول نقض واستخراج القرآن كان ابن أبي العوجاء أول من رفع يده بالكلام حيث قال لرفاقه : « انه ليأسف ان يقدم اعتذاره الحار عما كلف به لأنه عندما راجع بعض الآيات التي كلف بنقضها ادهشته وسلبت افكاره واصمت سمعه وبصره عند مروره بالآية : ﴿ لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدنا ، فسبحان الله رب العرش عما يصفون ﴾^(٢٣) فانقطع عن اتمام عمله . .

(٢٣) الأنبياء : ٢٢ .

وجاء من بعده دور الثاني ميمون بن ديسان فاعتذر هو بدوره وقال : « إنه قد افزعته واذهلته الآية : ﴿ يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا له وإن يسلبهم الذباب شيئاً لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب ﴾^(٢٤) فشغل بها عن القيام بعمله المكلف به من قبل . .

وعندما جاء دور الثالث وهو عبد الله بن المقفع فإنه أبدى اعتذاره لأنه شعر بنفس ما شعر به زملائه عندما مرت من أمامه الآية : ﴿ وقيل يا أرض ابلعي ماءك ويا سماء اقلعي وغيض الماء وقضي الأمر واستوت على الجودي وقيل بعداً للقوم الظالمين ﴾^(٢٥) فاشغلته آية نوح هذه عن المضي في الأمر الذي اتفق عليه . .

أما الأخير وهو عبد الملك البصري فكانت آية يوسف وهي قوله تعالى : ﴿ فلما استئسوا منه خلصوا نجياً قال كبيرهم ألم تعلموا أن أباكم قد أخذ عليكم موثقاً من الله ومن قبل ما فرطتم في يوسف فلن ابرح الأرض حتى يأذن لي أبي أو يحكم الله لي وهو خير الحاكمين ﴾^(٢٦) هي التي ذهبت بلبه وصرفته عن الشروع في إنجاز العمل الموكل إليه .

وهكذا « سمع العرب آيات التحدي واشتهرت فيما بينهم ودارت على الستهم ولكن عجزوا عن معارضة القرآن ولو بمثل اقصر سورة منه مع انهم كانوا ائمة الفصاحة والبيان »^(٢٧).

ودار الزمن من بعد ذلك دورته وسار الفلك ليقطع القرون

(٢٤) الحج : ٧٣ .

(٢٥) هود : ٤٤ .

(٢٦) يوسف : ٨ .

(٢٧) منهج البيان في تفسير القرآن - السيد ابن الحسن الرضوي .

والسنوات حيث اوصلنا إلى عهد المبشرين والمتشككين واعداء الدين ، هؤلاء الذين نراهم يتعبون أنفسهم وينفقون الأموال الطائلة في الحط من منزلة الاسلام ومكانة الرسول الكريم (ص) وعظمة القرآن المجيد ، فلو كان في مكنة هؤلاء ان يعارضوا القرآن ولو بقدر سورة واحدة لما تخلفوا أو تأخروا لحظة واحدة ولكن هذا أعظم الحجج بيدهم لتقويض دعائم الاسلام واقرب الطرق لنسف وتحطيم حقائقه ومعالمه ولما كلفوا انفسهم عناء انفاق وصرف الأموال والاعتاب والجهود بدون طائل أو بدون نتيجة مثمرة ومضمونة (٢٨) . .

وعلى الرغم من كل ذلك نجد هناك وفي نفس الوقت افراداً بل جماعات كثيرة من غير المسلمين سواء من المستشرقين أو من غيرهم من حكموا ضمائرهم وحركوا وجدانهم واستيقظت قلوبهم فقالوا وكتبوا عن القرآن واعجازه وفنونه ومعارفه الكثير وقد تم جمع بعض أقوالهم وكتاباتهم في فصل مستقل باسم « القرآن في نظر غير المسلمين » في نهاية هذه الدراسة . .

مركز تحقيق تكملة علوم رسول



(٢٨) البيان في تفسير القرآن - السيد أبو القاسم الخوئي ، الإسلام على ضوء التشيع - الشيخ حسين الخراساني .

صُورٌ مِنَ الْإِعْجَازِ الْفَنِيِّ

فِي الْقُرْآنِ

مَرْكَزُ تَحْقِيقِ تَكْوِينِ عِلْمِ رَسُوْلِي



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

لقد سبق ان قلنا في الفصل السابق ان اعجاز القرآن الكريم لم يقتصر على وجه أو لون واحد وانما يقوم على وجوه ونواحي عديدة قد تعتبر كل واحدة منها معجزة قائمة بذاتها ، ومن أجل ايفاء الموضوع حقه سنشير في أدناه إلى غالبية وجوه الاعجاز في القرآن ثم نتناول واحداً أو أكثر منها بالشرح والتحليل من لها رابطة وعلاقة بروح العصر وبالتقدم العلمي والتقني الذي يعيشه المرء . . وهذه الوجوه هي :

١ - فصاحة الألفاظ والجمل وبلاغتها^(١) وسمو معناها وبيانها وجزالة منطقها وعذوبتها وبداعة نظمها وعجيب تأليفها وتناهيها في الكمال مما يجعل وقعها في النفوس كبيراً وتأثيرها في القلوب عظيماً^(٢)، كما لا يوجد في العربية أثر يجاريها في بلاغتها بحيث يحفظ جمال الاسلوب

(١) يقال أن الاصمعي سمع فتاة تقول قولاً بليغاً فتعجب من حسن حديثها وعذوبة منطقها وقوة فصاحتها فقال لها : قاتلك الله ما أفصحك . . . ؟ فأجابته ما أفصحني ، أين فصاحتني من فصاحة القرآن الكريم حين يقول في سورة القصص الآية ٧ : « وأوحينا إلى أم موسى أن أرضيعه فإذا خفت عليه فألقيه في اليم ولا تخافي ولا تحزني إنا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين » . .

فقد جمع الله تعالى في هذه الآية بين أمرين ونهيين وبشارتين وخبرين . . .
(٢) نشير إلى أن قادة قریش حينما كانوا يتفقون على أن لا يسمعوا كلام الله في مكة فإنهم كانوا لا يستطيعون صبرا على ذلك ، فإذا أصبح الليل تخفى كل واحد منهم وسار خلف جدران البيوت وجلس في الظلام ليسمع آيات الله يرتلها النبي (ص) وهو جالس في داره . .

مع هذا المقدار من الطول والاشتمال على الموضوعات المختلفة من الأوامر والنواهي والوعد والوعيد والقصص وغيرها . .

٢ - القوانين الحكيمة والتشريعات المفصلة والانظمة الكاملة والاحكام العادلة الرحيمة لكل ناحية من نواحي الحياة ولكل العلاقات القائمة بين الأفراد . .

٣ - الأسرار العلمية والفلكية التي لم تكشف وقائعها ولم تفتح أبوابها إلا في هذا الوقت وبعد اختراع المراصد والمجاهر الكبيرة . .

٤ - أنباؤه الغيبية واعلانه عن حوادث الزمان المستقبلية وخفايا الوقائع اللاحقة مما لا يقدر البشر عليه ولا سبيل لهم إليه ، وقد ظهر بعد ذلك صدقها وتحققها مائة في المائة . .

٥ - سلامته من أي نوع أولون من التعارض والتناقض والاختلاف والاغلاط والسهو والإشتباه (٣) .

٦ - ابتعاده عن الخرافات والأساطير التي من شأنها ان تسقط أمام العلم وتنحني بوجه تيار المعرفة والثقافة مع حملته الشعواء على هذه الاساطير وهذه الخرافات . .

٧ - قصصه البديعة وحوادثه التاريخية عن الايام الماضية والعصور البائدة التي عفا عليها الزمن واصبحت نسياً منسياً « فالإكتشافات التي تظهر في كل وقت تضيف حقائق تثبت أن القرآن هو أول تفصيل لما لم يكن معروفاً كالحفريات التي حققت قصة النبي يوسف وما قام به وقصة الطوفان وفلك النبي نوح وملكة سبأ » (٤) .

(٣) المعجزة الخالدة - السيد هبة الدين الشهرستاني .

(٤) القرآن والعلم الحديث - عبد الرزاق نوفل .

٨ - امثاله الشيقة والجميلة التي تقلب الغائب إلى حاضر والمعقول محسوساً والخيال واقعاً والخفي ظاهراً .

٩ - طراوته في كل زمان ومكان وكونه غضاً طرياً كلما تلي واينما قرىء من دون ان يجلب للمقرىء أو المستمع الملل والنفور . . وبهذه المناسبة نذكر أنه قيل للإمام جعفر الصادق ع - (٥) لم صار الشعر والخطب يمل ما أعيد منها والقرآن لا يمل . . . ؟

فأجاب : لأن القرآن حجة على أهل الدهر الثاني كما هو حجة على أهل الدهر الأول ، فكل طائفة تتلقاه غضاً جديداً ، ولأن كل امرئ متى أعاده وفكر فيه تلقى منه في كل مدة علوماً غضة ، وليس هذا كله في الشعر والخطب . .

١٠ - مباحثه الإلهية كأحسن وأكمل دراسة وبحث في علوم اللاهوت وفي كشف وبيان اسرار السماوات وفلسفة المبدأ والمعاد وقيام الساعة ووصف الجنة والنار والصراط والميزان . .

مركز تحقيقات الكمبيوتر علوم إسلامي

(٥) الإمام جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين السبط ابن علي بن أبي طالب - ع - وأمه أم فروة فاطمة بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر وهو سادس الأئمة عند الإمامية .

ولد بالمدينة عام ٨٣ هجرية ، وكان من عظماء العباد وأكابر الزهاد حتى قال فيه الإمام مالك : « ما رأيت عيني أفضل من جعفر بن محمد فضلاً وعلماً وورعاً » ، كما وقال الإمام أبو حنيفة فيه : « ما رأيت أفقه من جعفر بن محمد » .

وكان الإمام كالبحر من أي النواحي أتت ، وكانت أيامه في نهاية الدولة الأموية وبداية الدولة العباسية ، حيث أتت له في هذه الفترة ما لم يتهيأ لإمام قبله أو بعده لتبليغ رسالته العلمية والأخلاقية للناس حتى بات هناك (٤) آلاف راوية يقول كل واحد منهم « حدثني جعفر بن محمد » لذا نسب المذهب إليه . . توفي بالمدينة عام ١٤٨ هـ ودفن في البقيع مع أبيه وجده - عليهم السلام . .

١١ - « سهولة طريقه فهو خارج عن الوحشي المستكره والغريب المستنكر وعن الصنعة المتكلفة وكونه قريباً إلى الافهام وواضحاً للأنام وهو مع ذلك ممتنع المطلب وعسير المنال »^(٦) .

١٢ - كونه آخر الكتاب غنياً عن غيره وكون غيره من الكتب المتقدمة قد تحتاج إلى بيان يرجع فيه إليه »^(٧) . .

هذا وان كل ما اوردناه آنفاً عن وجوه الاعجاز والتي امكن جمعها من مصادر ومؤلفات عديدة يعدها السيوطي في الاتقان بأنها جزءاً واحداً من عشر معشار وجوه الاعجاز في القرآن الكريم ، وسواء اكانت وجوه الاعجاز بالعدد الذي ذهبنا اليه أو أكثر من ذلك باضعاف مضاعفة ، فاني ارى بان كل وجه واحد قد يعتبر معجزة قائمة بذاتها ليس في امكان الغير الاتيان بمثله وان ذهبت البعض كالزركشي في البرهان من ان الاعجاز في القرآن وقع بجميع ما سبق من الوجوه لا بكل واحد على انفراده لأنه جمع ذلك كله ، فلا معنى لنسبته إلى واحد منها بمفرده مع اشتماله على الجميع الخ

وكيفما كان الحال فإننا هنا سنتقصر في البحث والاشارة إلى وجهين فقط من الاعجاز واللتين وردتا في الفقرتين (٣ و ٤) والمتعلقتان بالابحاث العلمية والغيبية وذلك لارتباطهما بروح العصر ارتباطاً قد يفوق ما عداهما ، تاركين الوجوه الأخرى في مظانها ومصادرها . .

فبقدر تعلق الأمر بالميدان العلمي فنقول بان القرآن الكريم يشير في اماكن عديدة منه إلى ظواهر علمية وفلكية لم يتفهمها الناس حق فهمها إلا في العصور المتأخرة وبعد ان تطوّرت الاختراعات والابحاث العلمية ووصلت إلى درجة عالية من الرقي والإزدهار . .

(٦) إعجاز القرآن - أبو بكر الباقلاني .

(٧) الإتقان في علوم القرآن - جلال الدين السيوطي .

فمثلاً نأمل قوله تعالى ﴿والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ويخلق ما لا تعلمون﴾^(٨) ففي هذه الآية يعدّد القرآن الكريم وسائل النقل المعروفة منذ السنوات الغابرة إلى وقت قريب ، فلو وقفت هذه الآية عند ذكر الخيل والبغال والحمير لأصطدمت لا محالة مع الوسائط النقلية التي نجدّها الآن وبعد أن اوشكت الوسائط القديمة على الانقراض ، ولكن الله تعالى أعقبها بقوله : ﴿ويخلق ما لا تعلمون﴾ فجعلت الآية تتفق وكافة وسائط النقل الجديدة من طائرات وقطارات وبواخر وسيارات وغيرها^(٩) . .

وانظر إلى قوله تعالى : ﴿فلا أقسم بما تبصرون وما لا تبصرون﴾^(١٠) فإن القدامى عند ملاحظتهم للشطر الأخير من الآية « ما لا تبصرون » لم يتجاوز مدى تفسيرهم وتأويلهم لها عن معنى الجن والأرواح والأشباح إلا أنها الآن تستوعب كافة الأشياء التي اثبت العلم وجودها دون التمكن من رؤيتها بالعين المجردة كالإلكترونات والبروتونات والجراثيم والذرة^(١١) الخ

وتدبر كذلك قوله تعالى ﴿وجعلنا السماء سقفاً محفوظاً وهم عن آياتها معرضون﴾^(١٢) ألا تعني السماء هنا سماء الأرض وهو الجو المحيط بالأرض من كافة اطرافه ، وهذا الجو يحمي الناس من الشهب والنيازك التي تساقط منها يومياً مئات الأطنان . .

ولو كتب لهذه الشهب والنيازك والمكوّنة من الصخور والمعادن والاحجار السقوط على الأرض لدمّرت غالبية مناطق الأرض ولجعلت

(٨) النحل : ٨ .

(٩) في الإيمان والإسلام - أحمد حسين .

(١٠) الحاقة : ٣٨ .

(١١) في الإيمان والإسلام - أحمد حسين .

(١٢) الأنبياء : ٣٢ .

الحياة عليها قلقه ومربكة ان لم تكن معدومة ، ولكن عند مرور هذه الشهب بجو الأرض واحتكاكها بالهواء (تحترق نتيجة سرعة هذا الاحتكاك) قبل وصولها إلى سطح الأرض ، وتتحول أثر ذلك إلى ذرات وغبار تسبح في الجو .

كما ويحمي جو الأرض الانسان من الاشعاعات الكونية المهلكة والقادمة من الفضاء ويحميه أيضاً من الكهارب والاجسام الكهربائية الصغيرة الواردة من الأعلى . .

اذن هل سبقت هذه الآية العلم الحديث بألف وثلثمائة سنة وهل هي - الآية - إلا انعكاس لأحدث النظريات العلمية التي تشير إلى وقاية الجو المحيط بالأرض لسطح الأرض من فتك وتدمير الشهب والنيازك الساقطة عليه من الفضاء يومياً والتي تقدر بآلاف الاطنان من الصخور والأحجار كل يوم . .

ولاحظ أيضاً قوله تعالى ﴿ خلق الإنسان من علق ﴾^(١٣) ألا يتفق مفهوم الآية وروح العنصر - بعد اختراع المجاهر - والذي اثبت ان الماء الذي ينقل من الذكر إلى الأنثى عند الاتصال الجنسي ما هو إلا عدة ملايين (٣٠٠ - ٤٠٠) مليون من الحويمنات المنوية التي تشبه العلق في شكلها وهيئتها بان لها رأس ورقبة وذيل ، وعند التقاء أحد الحويمنات وهو الذي يفوز بقصب السبق بالبويضة الجاهزة عند المرأة تنقسم البويضة الملقحة على نفسها عدة انقسامات لتكوّن بعد ذلك الجنين الذي سيستقر في قعر الرحم ، ومن الجنين هذا يتكون الانسان بينما تهلك الملايين العديدة من تلك الحويمنات المنوية .

وتأمل قوله تعالى : ﴿ وارسلنا الرياح لواقح ﴾^(١٤) ألم تسبق هذه الآية الزمن بوقت طويل ، حيث ان العالم إلى ما قبل وقت قصير لم يكن

(١٤) الحجر : ٢٢ .

(١٣) العلق : ٢ .

ليعرف ان النبات كبقية الكائنات له عضو مذكر وآخر مؤنث وانه يتلاقح
كما يتلاقح الانسان وان الرياح هي الواسطة الرئيسية في كثير منها . .

وانظر الآن إلى الآية الأخرى وهي قوله تعالى : ﴿ وتريّ الجبال
تحسبها جامدة وهي تمر مرّ السحاب صنع الله الذي اتقن كل
شيء ﴾^(١٥) ألا تشير هذه الآية الكريمة بكل صراحة ووضوح إلى أن
الجبال تتحرك رغم ان رؤيتنا لها تدل على انها جامدة وثابتة في محلها ،
واذا ما تحركت هذه الجبال وهي متصلة بالأرض فهل يعقل ان تبقى
الأرض تحتها ثابتة أم انها تأخذ نفس حركتها ودورانها .

اذن ألا توحى هذه الآية وتشير بجلاء إلى حركة الأرض وهي
الحركة التي لم يدركها علماء الغرب إلا في العصور المتأخرة .
ويعد هذا تدبر هذه الآية « الذي جعل لكم الأرض مهداً »^(١٦) ألا
يشير الوصف هنا إلى المهد الذي يصنع للطفل الرضيع ليهتز تحته لينام
بكل سكون وهدوء .
وان الأرض هذه ذات الطول والعرض هي كالمهد في حركتها
الوضعية والانتقالية^(١٧) . .

ولاحظ أيضاً قوله تعالى : ﴿ يكور الليل على النهار ويكور النهار
على الليل ﴾^(١٨) ألا ترى ان مفهوم ووصف الآية لليل والنهار (الذي ينزل
الواحد منها على الآخر بفعل دوران الأرض المستمرة » المحيطين
بالأرض من كل الأطراف والجهات احاطة السوار بالمعصم وهو وصف
التكور ، وهل تكورهما هذا قد جاء إلا من شكل الأرض التي تحيط بها
من الداخل حيث ان تكويرهما يقتضي تكوير ما أنبسط عليها^(١٩) كما هو

(١٥) النمل : ٨٨ .

(١٦) طه : ٥٣ .

(١٧) البيان في تفسير القرآن - السيد أبو القاسم الخوئي .

(١٨) الزمر : ٥ .

(١٩) الإسلام روح المدنية - مصطفى الغلاييني .

الحال عليه في السوائل التي تأخذ شكل وهيئة قعر وجدران الاناء الذي تنسكب فيه . .

والآن هل للتكور معنى غير التحذب وهل التحذب إلا الكروية ، وهل هذه الآية إلا دليل ناطق على كروية الأرض وعدم تسطحها على عكس ما تصوّره الأقدمون وإلى وقت قريب من ان الأرض مسطحة ومستوية . .

وتأمل بعد الآن قوله تعالى ﴿ أو لم ير الذين كفروا أن السماوات والأرض كانت رتقاً ففتقناها ﴾ (٢٠) ألا تنطبق هذه الآية على النظرية العلمية الحديثة لخلق المجموعات الشمسية واصل الكون ، هذه النظرية التي تذهب إلى ان كافة النجوم والكواكب والمجرات كانت كلها منذ ملايين السنين كتلة واحدة تدعى « السديم اللولبي » وبطريقة غير معلومة وغير واضحة جرت عليه عدة انقسامات متتالية مكونة من ذلك المجموعات الشمسية ومنها (مجموعتنا الشمسية) والنجوم والكواكب التي تملأ سماء الدنيا .

وتدبر بعد هذا قوله سبحانه : ﴿ أيعجب الإنسان ان لن نجمع عظامه بلى قادرين على أن نسوي بنانه ﴾ (٢١) وهل البنان هنا إلا نهاية الأصابع وهي البصمات التي يستعملها الناس في التوقيع . .

ان هذه البصمات لا يمكن ان تتشابه بين شخصين اثنين رغم التشابه النسبي الملاحظ على بعض الاعضاء كالأعين والأنوف والأذان وغيرها ، لذا اشار الله تعالى إلى ان قدرته وسلطته تتمكن من اعادة وانشاء ادق شيء في الانسان وهي البصمات .

ان هذه البصمات لم يدرك الانسان كونها وحقيقتها إلا منذ مدة قريبة وفي سنة ١٨٨٤م على وجه التحديد عندما استعملت بريطانيا

(٢١) القيامة : ٣ .

(٢٠) الأنبياء : ٣ .

بصمات الأصابع لمعرفة هويات الناس وللتمييز ما بينهم . .

وانظر بعد هذا إلى قوله تعالى ﴿والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم﴾^(٢٢) ألا تتفق هذه الآية مع ما اثبتته العلم الحديث اذ كشف ان الشمس تتحرك مع مجموعتها بسرعة ١٩ كم في الثانية في اتجاه نقطة معينة . .

وتأمل قوله تعالى ﴿الم تر ان الله أنزل من السماء ماءً فسلكه ينابيع في الأرض﴾^(٢٣) فهل توحى هذه الآية إلى شرح دورة المياه الجوفية من السماء إلى سطح الأرض وجوفها وإلى الخزانات الجوفية ثم إلى نافورات وينابيع تعود إلى سطح الأرض من جديد^(٢٤) .

ثم انظر إلى قوله عز وجل ﴿وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة﴾^(٢٥) فهل تشير هذه الآية إلى ان القمر وهو آية الليل مظلم وان الشمس والتي هي آية النهار مضيئة حيث ان محور آية الليل هو جعلها مظلمة بنفسها وان نورها مكتسب من الشمس ، كما وان جعل آية النهار مبصرة أي مضيئة بنفسها لأن النور ذاتي لها^(٢٦) . .

ولاحظ أيضاً قوله تعالى : ﴿والسماوات ذات الارجع والأرض ذات الصدع﴾^(٢٧) فالسماوات في هذه الآية توصف بانها ترجع ما يصعد اليها ، وكلنا يرى بخار الماء يرجع إلينا مطراً ، كما ان الأمواج اللاسلكية والتلفزيونية ترتد إلينا هي الأخرى من السماوات اذا ارسلت إليها بسبب انعكاسها على الطبقات العليا الأيونية ، لذا نستطيع التقاط كافة الاذاعات والمحطات من الأرض بعد انعكاسها ولولا ذلك لضاعت الأمواج

(٢٢) يس : ٣٨ . (٢٣) الزمر : ٢١ .

(٢٤) القرآن - محاولة لفهم عصري - مصطفى محمود .

(٢٥) الاسراء : ١٢ .

(٢٦) الإسلام روح المدنية - مصطفى الغلاييني .

(٢٧) الطارق : ١١ .

وتشتت ، فالسماء اشبه بمرآة عاكسة ترجع ما يث إليها ، كما ان الأرض هي الأخرى ذات الصدع أي تنصدع ليخرج منها النبات ونافورات البترول والمياه المعدنية والعيون والبراكين (٢٨) . .

تعال معي لنرى سوياً هذه الآية وهي قوله تعالى : ﴿ فمن يرد الله أن يضلّه يجعل صدره ضيقاً حرجاً كأنما يصعد في السماء ﴾ (٢٩) . . ألا تدل هذه الآية على أن الصعود إلى الأعلى في السماء يسبب ضيقاً في الصدر وهو نتيجة طبيعية لنقص كمية الأوكسجين وانخفاض الضغط في طبقات الجو العليا ، وكل هذه الأمور لم تعرف إلا من مدة قريبة (٣٠) . . لذا نرى رواد الفضاء يرتدون ملابس خاصة تجعل كمية الأوكسجين والضغط دائماً وابتداً في داخلها في الوضع الطبيعي وكما هو على سطح الأرض ، وإلا فالموت المحقق سيكون في انتظارهم لا محالة . .

وأخيراً وليس آخراً نذكر القارئ ببعض الآيات العلمية التي تشير إلى الحديد واستعمالاته وخلقة الإنسان منذ استقرار النطفة في الرحم إلى أن يصبح سوياً وطبيعة الكون وخلقة كل حي من ذكر وأنثى من أجل البقاء واستمرار الحياة وكون هذه الخلقة منذ جاءت من الماء وطبيعة الأرض ومساكنها الخ . .

وأما فيما يتعلق الأمر بالفقرة الأخرى وهي الميدان الغيبي فنجد في القرآن الكريم تنبؤات عديدة تشير إلى حتمية وقوع حوادث في المستقبل القريب أو البعيد ثم يدور الزمن دورته لنرى صدق وتحقق هذه التنبؤات والحوادث مائة في المائة . .

وأول هذه التنبؤات تلك التي يشير إليها المؤرخون دوماً في كتبهم واختبارهم وهي الواقعة (المعركة) التي جرت بين الفرس والروم

(٢٨) القرآن - محاولة لفهم عصري - مصطفى محمود .

(٢٩) الأنعام : ١٢٥ .

(٣٠) الإسلام روح المدنية - مصطفى الغلاييني .

(الرومان) والتي انتصر فيها الفرس سلفاً وكانت في سنة ٦١٨ م ، كما وكانت قيادة جيوش الفرس بيد ملكهم (خسرو الثاني) وهذا الانتصار الذي تم للفرس أولاً أدى - حين وصول خبره إلى مكة - أدى إلى فرح وغبطة وتشمت القرشيين بالمسلمين ، لأن الرومان وهم اصحاب دين سماوي قد هُزموا واندحروا امام جيوش الفرس الذين لا يدينون بدين سماوي وكذلك الأمر سيكون في مكة حيث سيتنصر القرشيون وهم غير مرتبطين بدين سماوي على المسلمين الذين يدعون (بزعم القرشيين) انهم اهل دين جاء من السماء كالرومان . .

ولكن الوحي لم يكن ليترك الرسول (ص) والمسلمين فريسة هذه الشماتة وهذا الفرح الغامر والسرور الذي عاشه الكفار من قريش بل جاء ليخبرهم أمر الله وحكمه الذي لا مرد له وهو ان الرومان سيعيدون الكرة على الفرس وينتزعون منهم النصر في غضون وبحر عدة سنين^(٣١) . .

فما هي إلا سنوات معدودات وإذا بالرومان بقيادة امبراطورهم هرقل ينزلون بساحة جيوش الفرس بقيادة كسرى برويز^(٣٢) الهزيمة والخسران في الواقعة المعروفة باسم الزاب أو (نينوى) عام ٦٢٧ م . . . والآية أو الآيات التي نزلت في هذا الصدد هو قوله تعالى : ﴿الم ، غلبت الروم في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيفلبون في بضع سنين﴾^(٣٣) . .

(٣١) يروى هنا أن الخليفة أبا بكر الصديق كان قد راهن مشركي مكة على تحقق هذا التنبؤ فكسب الرهان بطبيعة الحال وأنفقه كله في الصدقة . .

(٣٢) كسرى برويز هو نفسه الذي أرسل إليه الرسول (ص) كتاباً يطلب فيه إشهار أسلامه ولكنه عرض أن يلبي نداء الإسلام مَزَقَ الكتاب وطلب من عامله على اليمن إيفاد من يجلب الرسول إليه ، وحين علم النبي (ص) بذلك قال: مَزَقَ الله ملكه . فكان كما قال النبي . .

وبرويز هذا هو حفيد كسرى أنوشروان العادل والذي ولد الرسول (ص) في عهده وقد طالما ردد الرسول أنه ولد في عهد كسرى العادل . .

(٣٣) الروم : ٢٠١ .

ومن هذه الغيبيات ما جاء في سورة اللمب وهي قوله تعالى : ﴿ تبت يدا أبي لمب وتب ما اغنى عنه ماله وما كسب ، سيصلى ناراً ذات لمب ، وامرأته حمالة الحطب ، في جيدها حبل من مسد ﴾ .

فهذه السورة مكية نزلت في بدء الدعوة الإسلامية وهي تعبّر بوضوح وجللاء عن السخط واللعنة الدائمة التي تصب على رأس هذا القرشي وزوجته فضلاً عن الإشارة إلى أن مصيرهما في الآخرة سيكون قطعاً إلى العذاب والنار . .

هذا وقد شاهدنا في خلال أحداث التاريخ الإسلامي أن كثيرين من ألد أعداء الإسلام قد تحولوا فيما بعد إلى أشد مدافع وذائد عنه بعد إسلامهم وانضمامهم إلى صفوف المسلمين .

فيا ترى ما هو الحال الذي سينجم فيما إذا كان أبو لمب أو زوجته كأحد هؤلاء الذين اشهروا إسلامهم فيما بعد وانضموا إلى جماعة المسلمين . .

إن الله تعالى علم بأن هذا الشخص وزوجته سوف يبقيان إلى الأبد على كفرهما وحربهما للرسول ولن يتشرفا مطلقاً بالدخول إلى الإسلام وإن اللعنة ستلحقهما حتى حتفهما وبعده . .

وهكذا تحقق صدق الآية حيث لم يزل أبو لمب ينقلب على أمواج الكفر ويظهر عدائه وبغضه للإسلام حتى هلك بعد واقعة بدر الكبرى عام ٢ للهجرة والتي لم يشهدها بنفسه ، فذهب مع زوجته يشيعهما العار والشنار إلى العذاب والعقاب الشديد (٣٤) . .

ومن الغيبيات أيضاً قوله تعالى ﴿ لئن علينا جمعه وقرآنه ﴾ (٣٥) وقوله ﴿ إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ﴾ (٣٦) . فقد أشارت هاتان الآيتان

(٣٤) في الإيمان والإسلام - أحمد حسين . .

(٣٥) القيامة : ١٧ . (٣٦) الحجر : ٩ .

إلى أن القرآن الكريم في حرز حريز ومحفوظ من التحريف والضياع والتبديل ، وأن كل يد مهما علت وسمعت لا يمكنها أن تتلاعب فيه ، وهكذا تحقق فيما بعد صدق الآيتين عن طريق عدم ضياع أو فقدان أية آية من كتاب الله والذي تم جمعه فيما بعد في المصحف الذي هو بأيدي المسلمين الآن وعلى الترتيب والطريقة التي اشرنا إليها من قبل . .

ومن المغيبات كذلك قوله تعالى ﴿ لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين محلقين رؤوسكم ومقصرين لا تخافون ﴾ (٣٧) فهذا الذي وعد به القرآن قد تحقق فعلاً فيما بعد ودخل المسلمون مكة المكرمة معتمرين وحاجين أولاً ثم دخلوها فاتحين ومتصرين وتمت بذلك إرادة الله وصدق كلامه ووعدته الذي لا مبدل له (٣٨) . .

هذا علماً بأن قريش كانت هي القبيلة الواسعة النفوذ والسلطان في الجزيرة العربية بما فيها مكة والحرم الشريف ، وكانت هي السبب في إيقاف حركة الدعوة الإسلامية في أنحاء الجزيرة ، ولما رأت العرب هذا الموقف الحازم من قريش إزاء الدين الجديد تريثت في الدخول والانضمام تحت لواءه لحين ظهور الحقيقة . .

ولكن لما تحقق وعد الله بانتصار المسلمين على قريش ودخولهم المسجد الحرام فاتحين دخلت القبائل العربية تترئى في الدين الجديد ، حتى لم يبق أحد - في عهد الخليفة عمر بن الخطاب - من لا يعتنق هذا الدين في طول الجزيرة العربية وعرضها . .

ومن المغيبات أيضاً قوله تعالى على لسان كفار قريش في يوم بدر ﴿ أم يقولون نحن جميع منتصر ، سيهزم الجمع ويولون الدبر ﴾ (٣٩) . .

(٣٧) الفتح : ٢٧ .

(٣٨) في الإيمان والإسلام - أحمد حسين .

(٣٩) القمر : ٤٤ .

وكان هذا عندما تقدم قائد قوات جيش الكفر في بدر (ابو جهل) نحو الصفوف الأولى من جيشه منادياً أو صارخاً بكل غرور وعلى مسمع من الرسول (ص) واصحابه منادياً : بأنه سينتصر اليوم حتماً على محمد واصحابه ، فانزل الله سبحانه الآيات المذكورة ليطمئن قلوب المسلمين والتي اوشكت بعضها ان تضطرب وتهلع عند سماع تهديدات أبي جهل المتقدمة ووعيده بتزاحم عدد جيشه وكثرته . .

فلم تمضي على هذه التهديدات إلا ساعات معدودة واذا بتلك الجموع الهائلة المحتشدة لقتال المسلمين تنكص على اعقابها وتترامض مسرعة إلى الخلف لا تلوي على شيء طلباً للنجاة والسلامة تاركة على ارض المعركة عدداً كبيراً من القتلى والجرحى منهم بعض قادتها وزهرات شبابها وعلى رأسهم صاحبه الوعد والوعيد « أبو جهل » نفسه الذي قتل في المعركة وذهبت روحه مشيعة بالذلة والهوان إلى السعير وبش المصير . .

هذا اضافة إلى آيات غيبية كثيرة كرؤيا الرسول أو الشجرة الملعونة أو ارسال الرسول بالهدى لآظهاره على الدين كله ، أو الأذن الذي سيلاقه الرسول الخ حيث تحقق كل ذلك جملة وتفصيلاً . .

العناية بالقرآن

مركز تحقیقات کتب و تاریخ علوم اسلامی



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

كانت العناية بالقرآن ورعايته ولا زالت واجباً وفرضاً أدبياً ودينياً على كل مسلم ومسلمة لأنه كتاب الله العظيم الذي لا يشوبه الباطل أو يأتيه الضلال وهو أيضاً معجزة الرسول (ص) والأساس الذي يقوم عليه الاسلام ، اضافة إلى ما يضم من علوم وفنون وآداب وتشريعات وافكار تضمن البشرية - عند العمل بها - التقدم والرقي والإزدهار . .

لذا فقد اولاه المسلمون ما يستحقه من المكانة الرفيعة والدرجة السامية واسبغوا عليه كل أسباب التكريم والتعظيم بما في ذلك حفظه وكتابته وطبعه وتحسينه واستخراج فرائده . . الخ .

فبصدد حفظه وتعلمه فقد كان المسلمون - قديماً وحديثاً - لا يألون جهداً في حفظ واستظهار شيء من القرآن قل أو كثر طلباً للشواب^(١) والعظة والتماساً للعبارة والتبرك وتقويماً للغة واللسان تأكيداً

(١) دون بعض المؤرخين في كتبهم اسماء كافة السور القرآنية ووضعوا أمام كل سورة مقدار الثواب والجزاء الذي سيناله المرء عند إتمام قرائتها مثل مائة حجة مقبولة أو صيام مائة شهر أو قيام ألف ليلة أو وزن كل سحاب مضي وكل سحاب أتى أو عشر حسنات بعدد المؤمنين والمنافقين أو عشر حسنات بعدد كل رملة على وجه الأرض أو كمن بايع تحت الشجرة مع الرسول (ص) أو حاسبه الله حساباً يسيراً أو سقاه الله من الرحيق المختوم أو لم يكتب من الغافلين . . الخ (مقدمتان في علوم القرآن - آرثر جفري) والحقيقة إن كل هذا هو مبالغه قبل أن يكون واقعاً ، فلكل سورة أجر وثواب عظيمين ولكن ليس كما هو مدون عند هؤلاء الناس . .

واستجابة لما ورد عن الرسول (ص) بقوله : « خيركم من تعلم القرآن وعلمه » وقوله (ص) : « حملة القرآن في ظل الله يوم لا ظل إلا ظله » وقوله أيضاً (ص) : « القرآن خير دواء » وقوله : « ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده » وقوله (ص) : « اعربوا القرآن والتمسوا غرائبه » . .

ومن أجل تعميم ونشر القرآن الكريم فقد ورد في الأخبار كراهية أخذ الأجرة على تعليم شيء منه وكذلك على نسخه ذهب البعض إلى إباحته لأن فيه منفعة بتعليم القرآن وتعميمه وحيث أنه يجوز جعله مهراً فإنه يجوز أخذ الأجرة عليه - إذ لو حرمت الأجرة لحرم جعله مهراً . .

لذا كان المسلمون يتنافسون ويتسابقون فيما بينهم في عدد المرات التي انتهوا (ختموا) بها قراءة القرآن كله ، كما وكانت تقام في المكاتب والمدارس وإلى عهد قريب مسيرات وحفلات خاصة على شرف الطالب الذي فرغ لتوه من ختم القرآن ، حيث تطوف المسيرة طرقات البلدة وهي تضم كافة الطلبة ويتقدمها الطالب الفائز بشرف الختم وتوزع عليه وعليهم الهدايا والأموال والتي ترد من أهل الطالب ومعلميه واصدقائه وأهل الخير .

ولغرض الحرص على حفظ القرآن الكريم ودراسته فقد تم تقسيم القرآن إلى احزاب وأجزاء وارباع حيث الاحزاب ستون والأجزاء ثلاثون والأرباع (٢٤٠) وتم تقسيم كل سورة إلى خمسيات (خمس آيات) وعشرات (عشر آيات) اضافة إلى تقسيم القرآن إلى :

١ - الطوال وهي سبع .

= والظاهر هنا انها وضعت حسبة من قبل واحد أو أكثر (بعد ان إنقطع الناس إلى صحيح البخاري وصحيح مسلم وتركوا القرآن) لأجل حث وترغيب الأفراد على قراءة القرآن وتفضيله على ما عداه فأخذها المؤرخون كحقيقة مسلم بها .

٢ - المئين وهي التي تزيد على المائة .

٣ - المثاني وهي التي تزيد عليها في عدد الآيات .

٤ - المفصل لكثرة الفصل بين سوره بالبسملة وتبدأ من سورة

(ق) أو الحجرات إلى نهاية القرآن . .

هذا وقد اصطلح الناس الآن على ان يسموا من يقرأ القرآن عن ظهر قلب ووفق قواعد التجويد بـ « الحافظ » ولمن يقرأ من المصحف وفق تلك القواعد بـ « القارئ » أو « المقرئ » . .

علماً بأن « القراءة في المصحف تعتبر أكثر أجراً واجزلاً ثواباً من القراءة عن ظهر قلب »^(٢) لأن الأولى تجمع بالاضافة إلى القراءة النظر إلى القرآن ، بينما تفتقر الثانية على القراءة فقط^(٣) ، لأن النظر إلى القرآن أو (في القرآن) عبادة . .

وطبيعي ان مجرد النظر إلى القرآن ليس هو فقط سبب الثواب وعلة الأجر وانما هو وسيلة وطريقة للاحتفاظ بالمصحف والاعتناء به وربما نسخه ، بينما القراءة عن ظهر قلب قد تؤدي إلى قلة الحاجة إلى نسخ القرآن وبالتالي ندرتها وفقدانها بمرور الزمن . .

ويذكر هنا ان الصحابة كانوا يقرأون في المصحف ويكرهون ان يمر يوم ولم يمتنعوا انظارهم برؤية المصحف الشريف^(٤) . .

(٢) البيان في تفسير القرآن - السيد ابو القاسم الخوئي ، التبيان في آداب حملة القرآن - يحيى شرف الدين النووي .

(٣) البرهان في علوم القرآن - بدر الدين الزركشي .

(٤) يروى عن الرسول (ص) بهذا الصدد قوله : « فضل قراءة القرآن نظراً على من يقرؤه ظهراً كفضل الفريضة على النافلة » .

ويروى أن إسحق بن عمار سأل الإمام الصادق - ع - وقال له : جعلت فداك إني أحفظ القرآن عن ظهر قلبي ، فأقرؤه عن ظهر قلبي أفضل أو أنظر في المصحف ، فأجابه الإمام : لا بل أقرأه وأنظر في المصحف فهو أفضل أما علمت أن النظر في المصحف عبادة . .

كما وكانوا يقرأون الآيات تجويداً والتجويد هو « إعطاء الحروف حقوقها وترتيبها ورد الحرف إلى مخرجه وأصله وتلطيف النطق به على كمال هيئة من غير اسراف ولا تعسف ولا افراط ولا تكلف »^(٥).

وقد تطورت طريقة تلاوة القرآن بمرور الزمن واتجهت نحو التحسين والكمال ، وقد امكن بذلك جمع القواعد والضوابط والمحسنات لهذه القراءة الكاملة في باب خاص دعي بـ « علم التجويد » ..

ان هذا العلم وان كان غير واجب الالمام بتفاصيله ودقائقه لمن يقرأ في القرآن أو يقرأ بعض سورة في الصلوات ، إلا ان معرفة ودراسة قواعده العامة وأوليائه - أي مراعاة الوقف التام والحسن والاتیان بالحروف على الهيئات المعتمدة ... الخ - واجب وضروري لكل هؤلاء ..

وقد ذهب البعض إلى انه يجب الإمتناع عن قراءة القرآن الكريم دون العلم المسبق باللفباء وقواعد التجويد العامة ، لأن الالمام بذلك سيجنب القارئ الأخطاء والمزالق عند القراءة والتجويد حيث سيقف في محلات الوقوف ويعطي كل حرف حقه فضلاً عن الادغام في حروف « يرملون »^(٦) ... الخ

وفي الحقيقة فان خير قراءة للقرآن تلك التي تكون اشد تأثيراً في

(٥) مباحث في علوم القرآن - مناع القطان .

(٦) من الأمثلة التي تعم فيها البلوى في القراءة نورد بعض النقاط التي ينبغي الإلتزام بها والتقيد بمضمونها .

على القارئ الكريم عند القراءة أن يسكن الحرف الذي يقع في نهاية كل لفظ أو جملة يقف عندها ، كما وعليه أيضاً إذا التقى لديه حرفان من حروف (يرملون) الستة أن يدغم الحرف الأول (فلا يقرأوه) في الحرف الثاني الذي عليه أن يقرأه ويظهر صوته ، وكمثل بسيط على ذلك هو أنه قد قرأ الآية « ولم يكن له كفواً أحد » أن يدغم النون باللام لتقرأ الآية هكذا « ولم يكن له كفواً أحد » ... وهكذا في بقية الحالات المماثلة ..

النفس ونخشوعاً في الفكر والبصيرة وهذه لا تتم إلا بحضور القلب وتدبر لمعاني الكلمات والتفكر في مقاصدها واهدافها والانفصال في مضامينها بعد الكون على الطهارة والاستعاذة من الشيطان الرجيم . .

علماً بأن « الاستعاذة عند التلاوة مستحبة غير واجبة بلا خلاف في الصلاة وخارج الصلاة »^(٧) وان « لا يقرأ العبد القرآن اذا كان على غير طهور حتى يتطهر »^(٨) . .

ونشير إلى ان القراءة المثلى للقرآن وسبيلها الصحيح ينبغي ان تكون وفقاً لما قاله الشاعر الباكستاني المسلم الدكتور محمد اقبال^(٩) وهو « اذا اردت ان تفقه القرآن ، عليك ان تقرأه كأنه نزل عليك وكأنك أنت الخاطب الرئيسي فيه والمعني به » . .

(٧) مجمع البيان في تفسير القرآن - أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي .

(٨) وسائل الشيعة - الشيخ محمد بن الحسن الحر العاملي .

(٩) العلامة محمد إقبال علم من أعلام الإسلام في هذا القرن وقائد من قادة الفكر النير في الشرق ورائد من رواد الإنسانية أوقف عقله وقلبه للمسلمين وللناس جميعاً . .

ولد في مدينة سيالكوت عام ١٨٧٦ م ، ويرجع نسبه إلى سلالة وثنية أسلم أحد أجداده قبل ٣ قرون ، وبعد إنهائه للدراسة الثانوية في ١٨٩٥ م انتقل إلى لاهور ليدخل في جامعتها (جامعة البنجاب) ثم التحق بجامعة كمبردج عام ١٩٠٥ فنال منها شهادة الفلسفة الاخلاقية . ثم تابع دراسته في جامعة ميونيخ حيث نال فيها شهادة الدكتوراه عام ١٩٠٨ م وكانت رسالته « تطور الميتافيزيقيا - ما وراء الطبيعة - في بلاد فارس » . .

وكان إقبال من الدعاة الأوائل لقيام الباكستان من الولايات والأقاليم التي تقطنها الاكثرية المسلمة سواء في شعره أو نثره أو خطبه ، وكان أول ما صرح به بصدد قيام الباكستان هو ما جاء في الخطاب المسهب الذي ألقاه عام ١٩٣٠ م في اجتماع الرابطة الإسلامية الذي انعقد في مدينة الله آباد ، إلا أن هذه الفكرة لم تؤيدها الرابطة ولم تتبناها إلا بعد عشر سنوات أي في عام ١٩٤٠ وفي خلال اجتماع الرابطة في لاهور وصدر البيان الختامي في ٢٣ / ٣ / ١٩٤٠ م =

أو كما قال الامام محمد عبده^(١٠) - رحمه الله - حاكياً عن نفسه :
« اني عندما أسمع القرآن أو اتلوه أحسب اني في زمن الوحي وان
الرسول (ص) ينطق به كما انزل عليه - أو نزل به عليه »

أما بصدد كتابة وطبع المصاحف فقد تطوّرت وتدرّجت منذ القدم -
حيث يحتاج الكاتب حينئذ الى مدة طويلة لكتابة مصحف واحد -
حتى هذا الوقت والذي يمكن فيه طبع آلاف النسخ كل يوم وهذا التطور
والتدرج قد تم على الوجه التالي :

= بضرورة إيجاد حكومة ديموقراطية إسلامية تجمع بين الولايات والأقاليم التي
للمسلمين فيها أكثرية . .

إشترك إقبال في مؤتمر الطاولة المستديرة الذي عقد في لندن عامي ١٩٣١ و
١٩٣٢ لتقرير مستقبل الهند .

توفي في ٢١ / ٤ / ١٩٣٨ وكان آخر ما قاله قبل رحيله « إن المسلم يلقي
الموت مسروراً وإن المسلم لا يرهب الموت وإذا جاءه لقيه مسروراً » . . ودفن
في مقبرة ضخمة تقع قرب مسجد البادشاهي في لاهور . .
توفي إقبال دون أن يرى الباكستان الذي كان أول من دعا إليها وحرص على
قيامها . .

ولقد تم الإشارة إلى حياة هذا المفكر الإسلامي بصورة مفصلة في كتابنا
« أضواء على شبه القارة الهندية » . .

(١٠) ولد محمد عبده في مصر عام ١٨٤٨ ويرجع نسبه إلى الترك ، تعلم
القراءة في منزله ثم دخل في المسجد الأحمدي بطنطا لتعلم تجويد القرآن ثم
انتقل إلى مجالس العلم بنفس المسجد ، ثم انقطع عن طلب العلم لشردي
طريقة التعليم وعاد إلى مدينته ليمارس الزراعة فيها ، ويلتقي به أحد أقاربه
فيحبب له العودة لطلب العلم فيعود إلى طنطا لتلقي العلم فيها حيث إشتهر بين
الطلاب بذكائه ، ثم التحق بالأزهر من عام ١٨٦٥ إلى ١٨٧٧ ليصبح بعد ذلك
مدرساً فيه وقد قال عن نفسه - فيما بعد - يصف تلك المرحلة « أنه قضى اثني
عشر عاماً في الأزهر ولكنه قضى حياته كلها بعد ذلك يحاول تنظيف عقله مما
حفظه في هذه السنوات الأثني عشرة » وكان خلال وجوده في الأزهر يطالب
بإصلاحه وتجديد مناهج التعليم فيه والخروج على طرق التدريس العقيمة

لقد كانت المصاحف في صدر الاسلام لا تباع بالعمرة^(١١) وانما يأتي الرجل بورقة بيضاء عند المنبر في المسجد فيقوم المحتسب فيكتب له من أول سورة البقرة حتى يأتي غيره لإكمال ما ابتدأه الأول وهكذا حتى يتم تدوين المصحف^(١٢) . .

وعلى هذه الطريقة سار الحال لفترة قصيرة حتى تطلب الوضع الجديد وجود كثيرين من المؤمنين والصالحين يتفرغون للكتابة المصاحف نظراً لعدم اختراع المصاحف بعد . .

= السائدة ، ثم عمل على إيقاظ الأمة وتنويعيتها ودعا لتكوين نشيء جديد يصارع الطغیان والاستبداد ويعمل لاقرار العدل والسلام ، واثرها حكم عليه وفي عام ١٨٨٢ بالنفي من مصر ثلاث سنوات فرحل إلى بيروت ثم إلى باريس حيث التقى في باريس بجمال الدين الافغاني وأسس معه جمعية العروة الوثقى ومجلتها ، ثم رحل إلى بيروت ليتعد عن العمل السياسي إلى التأليف حيث كتب شرح نهج البلاغة ومقامات بدیع الزمان وبدأ في شرح القرآن إلا أنه تركه لحصوله على السماح بالعودة إلى مصر ، فعاد إليها عام ١٨٨٨ ، وتقلد فيها مناصب مختلفة كمستشار في محكمة الاستئناف ثم عضواً في مجلس الشورى ثم مفتياً للديار المصرية وعضواً في مجلس إدارة الأزهر ، فقام بإصلاح المحاكم الشرعية و الأزهر بإدخال العلوم الحديثة في مناهج التعليم فيه ، إلا أنه جوبه بمعارضة الخديوي عباس حلمي والمشايخ وخصومه التقليديين ، فحورب محاربة شعواء ، وقد قاوم الشيخ ذلك إلى أن تحطمت أعصابه وأصبح نهياً للباس والقنوط ، ثم أخذت قواه تتحطم شيئاً فشيئاً حتى إعترضه المرض ثم ما لبث أن رحل إلى جوار ربه في ٢١ / ٧ / ١٩٠٥ كشهيد الإصلاح والحرية وكثائر ومجاهد ضد الاستبداد والتسلط والاستعمار . .

وعلى فراش الموت نظم هذين البيتين :

ولست أبالي أن يقال محمد ابل ام اكتضت عليه المآثم
ولكن دنياً قد أردت صلاحه مخافة أن تقضي عليه العمائم

(١١) بصدد بيع وشراء المصاحف ورد في الخبر أنه إذا أردت أن تشتري مصحفاً فقل اشترى منك ورقه وأديمه والدفتين وعسل يدك بكذا وكذا . .

(١٢) تاريخ القرآن - محمد طاهر الكردي .

وقد كان البعض من هؤلاء يكتب مصحفاً واحداً أو خمسة أو عشرة في العمر ، كما وتمكن قلائل من كتابة مائة مصحف في حياتهم ، حيث كان الواحد منهم يحتفظ لنفسه بنسخة من هذه المصاحف ويقدم البقية كهدية إلى المساجد والتكايا ودور العلم ومعاهد التدريس طلباً للأجر والتماساً للثواب من عند الله تعالى . .

وطبيعي ان هذا العمل - الكتابة - كان يحتاج إلى صبر طويل ومجهود شاق فضلاً عن الأموال والامكانيات المطلوبة لتغطية نفقات الصرف طيلة سنوات الكتابة والتدوين . .

ولولا ان قلوب هؤلاء الكتاب كانت عامرة بالتقوى والأمل برحمة الله تعالى ورضوانه لما كان في مكنة الواحد منهم خط أو كتابة هذا القدر من المصاحف الكريمة ومراجعتها من بعد ذلك من أجل تصحيح كل ما قد يقع فيها من أغلاط كتابية والتباسات وردت سهواً عند الكتابة . .

كما وقد اسهم الخطاطون المسلمون بدورهم في تجويد القرآن وتحسين خطه وكتابته ، فقد ظهر جملة من هؤلاء الخطاطين ممن اشتهر بجمال الخط وبديع الرسم وبراعة التصوير ، مما اكسب الخط القرآني جمالاً وروعة . .

ولا يخفى هنا ان الخط هو من الصنائع المدنية والتقدمية وانه يتطور بتطور المجتمع وعمرانه وثقافته وفنونه ، لذا كان امراً طبيعياً ان يتطور الخط والكتابة بتطور المجتمع العربي والاسلامي وان يواكب مسيره وتقدمه . .

لقد كان العرب قبيل الاسلام يكتبون بالخط الحيري - نسبة إلى الحيرة - وهو الخط السرياني ثم سمي هذا الخط أو نشأ عنه بعد الاسلام ما يسمى بالخط الكوفي^(١٣) (أو النبطي) ، وقد ظل الخطاطون يكتبون

(١٣) الفهرست - ابن النديم .

المصاحف بالخط الكوفي هذا حتى مطلع القرن الخامس الهجري ، ثم صاروا يكتبونها بخط الثلث حتى القرن الثامن أو التاسع الهجريين على الأكثر ، ولما ظهر خط النسخ الذي هو أجمل الخطوط وهو أساس الخط العربي إلى اليوم صاروا يكتبونها به إلى عصرنا الحاضر . .

وكان القرآن يضم حينئذ كافة النقاط والحركات التي لا نزال نستعملها حتى الآن في كتاباتنا من دونما زيادة أو نقصان^(١٤) . .

هذا وقد كان الملوك والسلاطين وأرباب المال في السابق ينفقون المبالغ بسخاء وكرم في سبيل اقتناء أندر المصاحف الخطية والتي كتبها عظماء الخطاطين ومشهورهم ، كما وكانوا يوعزون اليهم أو لغيرهم بتذهيب المسافات والمساحات التي تفصل ما بين السطور أو التي تقع ما بين الكتابة وأطراف الورقة . .

كما وحرص هؤلاء وغيرهم من المسلمين على تجليد هذه المصاحف تجليداً فنياً ودقيقاً محافظة على الأوراق داخلها من ان تسقط أو تتمزق ، فضلاً عن اعطاء المصاحف منظراً جميلاً وجذاباً . .

وكان هؤلاء ينفقون على هذا التجليد - أو التفسير كما يعرف في بلاد المغرب - وخصوصاً في رسم اللوحات والتقاسيم الهندسية والفنية على أغلفة المصاحف الخارجية هذه والتي لا تقل روعة وجمالاً عن تلك اللوحات التي نجدها الآن على واجهة السجاد الكاشاني والكرماني ، كانوا ينفقون على كل هذه مبالغ جسيمة من المال . .

كما وادى تبرك المسلمين بتلاوة المصحف إلى ابتكار وسيلة تتفق مع جلستهم الشرقية وتجعل المصحف في وضع مكرم له ومريح لهم إلى صنع الرحلة - كرسي المصحف - وذلك من لوحين من الخشب متداخلين بطريقة التعشيق من الوسط كأنهما كفان قد شبكت أصابعهما وتفننوا في

(١٤) تاريخ القرآن - أبي عبد الله الزنجاني .

زخرفة هاتين اللوحتين بالزخاريف النباتية والكتابات المختلفة^(١٥) . .

ولأجل حفظ المصحف في مكان أمين ونظيف عند عدم الحاجة إلى قراءته - أي بعد الفراغ من قرائته - صنع المسلمون صناديق من الخشب المطعم بالنحاس أو الفضة أو بالزخاريف المختلفة حتى أصبحت تحفة فنية يشار لها بالبنان^(١٦) . .

وكان الملوك والسلاطين وأرباب المال المشار إليهم وغيرهم من رجال المسلمين حين كانت المصاحف خطية ولم تطبع بعد يحرصون على مراجعة مصاحفهم بأنفسهم أو عن طريق الآخرين لأجل تصحيح أو التثبت من عدم وجود أية غلطة نحوية قد ترد فيها أو نتيجة سهو أو غفلة قد يقع فيه الكاتب أو الخطاط عند كتابته لهذه المصاحف . .

ونذكر بهذه المناسبة هنا أن أحد الملوك السالفين كان قد وضع جائزة ثمينة تدفع على الفور لكل شخص يعثر على غلطة كتبت في مصحفه الخطي سهواً ، وكان قد وضع هذا المصحف في متناول كل شخص يطلبه لقراءته وملاحظته للفوز بالجائزة الموعودة . .

وقد تعب جمع كبير من الناس في تصفّحه وتلاوته من دونما طائل ، حتى تمكن أحد المخطوطيين من العثور - بعد جهد جهيد - على التباس بسيط كان قد جرى عند كتابة الآية التالية من قبل الكاتب ، والآية الكريمة كاملة هي : ﴿ إِنْ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفُلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ ﴾^(١٧) . .

والالتباس هذا قد ورد عن طريق تقديم الجيم على العين في لفظة « النعجة » الثانية فكانت « نعجة » فنال بسببها صاحب الحظ السعيد هذا على الجائزة كاملة مع تقدير الملك وأعجاب المسلمين به . .

(١٥) ، (١٦) المصحف الشريف - الدكتور محمد عبد العزيز مرزوق .

(١٧) ص : ٢٣ .

ولم يكتفي هذا المحفوظ بجائزته بل اعاد الكرة لعل طموحه يوصله إلى نيل جائزة أخرى ، إلا ان جهوده مع جهود غيره باثت بالفشل والخسران . .

وقد كان هؤلاء الملوك والسلاطين والأمراء يحتفظون بمثل هذه المصاحف الثمينة لديهم لتبقى اثراً خالداً وذكرأ حميداً ، وقليل منهم من كان يبغى القربة - من وراء ذلك - أو الفوز برضوان الله . بينما البقية كانت تفعل ذلك ليقال بان الملك الفلاني يحتفظ بآثمن واندر مصحف في العالم وان الأمير الفلاني عنده أجمل وابدع مصحف في البلد من دون ان يقوم هذا أو ذاك بقراءته يومياً^(١٨) أو تطبيق احكامه عليه وعلى رعيته .

علماً بان اختراع المطابع - كما سيرد تفصيله بعد قليل - وضبط طباعة المصاحف عند الطبع قد أراحت المسلمين والحكام من الاحتفاظ بالمصاحف الخطية إلا ما ندر ، فضلاً عن اتقاء الجهد والعناء لمراجعتها وتحسين خطها وتذهيبها . .

وبصدد لمس القرآن وحروفه فالوارد انه لا يجوز لغير المتطهر أن يلمس كتابة القرآن ولو كانت هذه الكتابة حرفاً واحداً فقط ، ولا ضمير عليه هنا من لمس جلد القرآن واطراف صفحاته دون حروفه ، كما وله القراءة فيه أو عن ظهر قلب وان كان يستحسن له ويفضل ان يكون على طهارة . .

وبصدد المجنب - سواء من المحلال أو الحرام - فيكره له القراءة

(١٨) في الأثر : هناك ثلاثة يشكون إلى الله تعالى :

١ - مسجد خراب لا يصلي فيه أهله .

٢ - عالم بين جهال .

٣ - مصحف معلق قد وقع عليه الغبار لا يقرأ فيه .

في القرآن مطلقاً حتى يتطهر بالغسل وذهب كثيراً إلى حرمة ذلك^(١٩) . .
كما ويكره له قراءة أكثر من سبع آيات عن ظهر قلب وكلما زاد في القراءة
على ذلك تضاعفت هذه الكراهة . .

أما آيات السجدة فلا يجوز للمجنب قراءة أي شيء منها بتاتاً ،
وعند قراءتها من قبل غير المجنب فعليه أن يسجد على الأرض أو
الفرش وعلى كل من يسمع هذه الآيات تتلى أن يقوم بدوره بالسجود
على الأرض ، حيث أن حكم القارئ والمستمع لها في السجود
سواء^(٢٠) . .

وقيل هنا أن حكم آيات السجدة تسري حتى على أولئك الذين
يسمعون تلاوتها من المذيع أو مكبرة الصوت ونحوهما .

أما عن طباعة المصحف الشريف فنشير إلى أن اختراع المطابع تم
في المانية عام ١٤٣١م^(٢١) ، وكانت حينئذ بصورتها البدائية والأولية ،
وقد مضى عليها فترة طويلة حتى تطورت وتحسنت ، ثم دخلت بعد ذلك
إلى ايطالية وفرنسة وبريطانية وبعد ذلك بفترة طويلة انتشرت في سائر
أنحاء العالم . .

وأول ما طبع القرآن الكريم كان في مدينة البندقية (فينيسية)

(١٩) علوم القرآن - أحمد عادل كمال ، آداب حملة القرآن - يحيى شرف الدين

(٢٠) هناك دعاء خاص يقرأ عند السجود استحباباً وهو « لا إله إلا الله حقاً حقاً ، لا
إله إلا الله إيماناً وتصديقاً ، لا إله إلا الله عبودية ورقاً ، سجدت لك ربي تعبداً
ورقاً لا مستكبراً ولا مستنكفاً ، وها أنا ذا عبد ذليل فقير مسكين بك مستجير »
كما وهناك أدعية أخرى يخير المرء بقراءة أحدها . .

(٢١) كان فن الطباعة معروفاً في شرق آسيا قبل مدة طويلة من اختراع المطابع
خلال القرن الخامس عشر في أوربا ، وقد كان أهل الصين في القرن الحادي
عشر يستخدمون مطبعة مصنوعة من الخزف الصيني ، كما أنهم طبعوا كتاباً للصلاة
في سنة ٨٩٨م . .

بإيطالية عام ١٥٣٠م ولكن السلطات الكنسية التي كانت تتمتع حينئذٍ بسلطات ونفوذ مطلق اصدرت حكماً قاسياً وشديداً يقضي بإعدام نسخه واتلافها وهي لا تزال في المهد ولم ير النور بعد ، لذا لم تتسرب منه أية نسخة إلى أي بقعة من اطراف العالم^(٢٢) . .

وبعد ذلك بحوالي قرن ونصف أي في سنة ١٦٩٤ الموافق لسنة ١١١٣ هجرية تمكنت إحدى مطابع هامبورغ بالمانية من طبع المصحف الشريف ، ثم بعد ذلك بربع سنوات طبع المصحف في مدينة باردو في فرنسا . .

ويقال بصدد نسخ المصحفين الانفين انه لم يعد لهما ذكر ولا وجود في كافة انحاء العالم الاسلامي وغير الاسلامي أيضاً عدا نسخة واحدة منهما قيل انها موجودة الآن في دوايب دار الكتب المصرية بالقاهرة ، ولا نعلم على وجه اليقين كيف تسربت هذه النسخة إلى هناك ولم تصل إلى هناك ولم تصل إلى أية مكتبة أخرى في العالم . .

والظاهر هنا مما تقدم ان الطباعات الأولى للقرآن كانت في محيط أوروبا وفي نطاق محدود بسبب عدم وصول المطابع وانتشارها في العالم الاسلامي ، فضلاً عن ان طبعه هناك لم يكن لهدف أو غرض روحي أو ديني وانما كانت تطبع هناك نسخ محدودة بقصد الاحتفاظ بقسم منها كأثر تاريخي ثمين أو تقديم بعضها إلى احد سلاطين وملوك المسلمين في ذلك الوقت بقصد ضمان امتيازات خاصة في بلادهم أو أمل الحصول على مبالغ طائلة من المال . .

لذا نرى انقراض أو ندرة هذه الطباعات من القرآن الكريم من الوجود . .

اما عن طباعة المصاحف في العالم الاسلامي أو بقول آخر عن

(٢٢) تاريخ القرآن - محمد طاهر الكردي .

الطباعة التي تولاهها المسلمون فنشير إلى ان أول طبعة اسلامية خالصة للقرآن قد قام بها مولاي عثمان في مدينة لينغراد في روسيا القيصرية عام ١٧٨٧م ، وظهرت اثرها طبعة تماثلها في مدينة قزان بجنوب روسيا ، ثم طبع القرآن بعد ذلك طبعة هجرية في طهران عام ١٨٢٨م وذلك في عهد الملك فتح علي شاه القاجاري^(٢٣) . .

ثم ظهرت اثر ذلك طبعات عديدة للقرآن الكريم في مدينة حيدرآباد بالهند ، وبعد ذلك طبع المصحف في مدينة الاستانة (اسطنبول) حاضرة الخلافة العثمانية عام ١٨٧٧م^(٢٤) وبعدها انتشرت

(٢٣) القاجاريون هي العائلة التي حكمت إيران للفترة من (١٧٩٥ - ١٩٢٤) ومن أشهر ملوكها هو فتح علي شاه (١٧٩٧ - ١٨٣٤) ومحمد شاه وناصر الدين شاه (١٨٤٧ - ١٨٩٦) ومظفر الدين شاه (١٨٩٦ - ١٩٠٧) ومحمد علي شاه (١٩٠٧ - ١٩٠٨) وأحمد شاه والذي أطاح به رضا شاه الكبير (والد الشاه محمد رضا بهلوي) سنة ١٩٢٣ وتوج نفسه ملكاً على إيران عام ١٩٢٦ ، وقد اتخذوا جميعاً طهران عاصمة لملكهم ، علماً بأن عائلة الزنديون هم الذين كانوا يحكمون إيران قبل القاجاريين وللفترة من (١٧٥٠ - ١٧٩٤) ورئيسها هو كريم خان زند الذي اتخذ مدينة شیراز حاضرة لملكه . .

وقبل الزنديين حكم الأفشاريون إيران وللفترة من (١٧٣٦ - ١٧٤٧) برئاسة مؤسسها نادر شاه الذي فتح غزنة وكابل ودلهي واستولى على كنوز الأخيرة ومن غنائمه هناك عرش الطاووس الموجود حالياً في قصر كلستان بطهران وكثير من مخلفات العائلة المغولية الحاكمة في الهند ، وقد اتخذ مدينة مشهد عاصمة له ، ولنادر شاه قلي قبر ونصب جميل في عاصمة ملكه مشهد . .

وقبل الأفشاريين كان الصفويون هم الحاكم لإيران وللفترة (١٥٠٢ - ١٧٣٦) ومؤسس هذه العائلة هو الشاه إسماعيل الصفوي (١٥٠٢ - ١٥٢٤) والشاه عباس الكبير (١٥٨٧) وقد اتخذوا إصفهان عاصمة لهم بعد أن كانت قزوین وقبلها تبريز هي العاصمة . .

أما غالبية قبورهم فتضمها مدينة أردبيل لأنها مسقط رأسهم . .

(٢٤) دخلت المطابع إلى تركية في عهد السلطان أحمد الثالث ، وقد منع الأخير طبع المصاحف بالمطبعة لأسباب لا نعرف حقيقتها على الرغم من إفتاء مشيخة الإسلام بجواز استعمال المطابع للطبع . .

طباعة المصاحف في مصر وبقية اطراف العالم الاسلامي وبشكل موسّع ومتقن . .

ولعل اجمل الطبعات الحديثة للقرآن الكريم وادقها هي التي ظهرت عام ١٣٤٢هـ المصادف لعام ١٩٢٣م بمصر وبإشراف مشيخة الأزهر وقرار اللجنة المؤلفة من قبل الملك فؤاد الأول^(٢٥) (ملك مصر السابق) وقد كتب وضبط على ما يوافق رواية حفص لقراءة عاصم ، حيث تلقى المسلمون هذه الطبعة بالقبول والاستحسان واوشكت النسخ التي تطبع وتصور من عليها ان تكون اكثر واوسع من اي طبعة اخرى متداولة بين المسلمين ، لاجماع العلماء والفقهاء في مشارق الأرض ومغاربها على الدقة والضبط الذي يتحلى بها في رسمه وكتابته . .

كما وهناك طبعات دقيقة وانيقة لمصاحف تم طبعها في بغداد ودمشق وبيروت وطرابلس وطهران وكراچي وحيدرآباد بالهند . . . وغيرها .

واحدثها هو « مصحف المدينة النبوية » والذي طبع في المملكة العربية السعودية بتوجيه وإيعاز من خادم الحرمين فهد بن عبد العزيز آل سعود . . .

وفي عهد خلفه السلطان عبد الحميد الأول أجزى طبع المصاحف بالمطبعة ، وفي عهد خلفه السلطان محمود الأول زاد الاهتمام والعناية الكبيرة بطبعها . .
(٢٥) توفي الملك فؤاد الأول عام ١٩٣٦ وخلفه على العرش ولده الملك فاروق الذي أطاح به الجيش المصري صبيحة يوم ٢٣ تموز ١٩٥٢ . .



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

طرائف الإحصائيات والفرائد



مركز بحوث علوم القرآن



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

لما كان القرآن الكريم كتاب المسلمين الأول ودستورهم في الدنيا واملهم في الحياة ، لذا فقد حرص هؤلاء منذ فجر الاسلام حتى الآن على دراسته وسبر اغواره للوقوف على احكامه وتشريعاته للاستعانة بها في اداء عباداتهم بصورة تامة والاهتداء بها في معترك حياتهم . .

وقد زاد البعض على ذلك فقام بمسعى آخر هو استخراج وجمع ما يضم القرآن من فرائد وغرائب ونوادر وارقام من أجل استيعاب معانيها والتفاعل معها واستظهارها . .

وبقدر تعلق الأمر بالارقام أو الاحصائيات فنشير إلى ان هذه تشبه إلى حد كبير تلك التي نجدتها في عالم الاقتصاد والمال والتخطيط والانتاج الزراعي والصناعي والتي تسهل الوقوف عن كثب على تزايد أو نقصان كل مادة عبر السنوات أو على اعداد أو حجم ما موجود من امور اخرى كعدد الحيوانات في قطاع معين أو عدد اشجار جنس معين كالنخيل في العراق مثلاً . . حيث ان الاطلاع على هذه الاحصائيات والارقام ستساعد على حل كثير من المعضلات الاقتصادية والتجارية وبالتالي تلافي كل الاخطاء التي قد تقع في هذا الميدان أو ذاك . .

وقبل ان ندخل في ميدان الاحصائيات في القرآن الكريم نشير إلى احصاء اسلامي قديم قدم التاريخ الاسلامي كان هذا قد جرى في السنوات الأولى للهجرة ولعله أول احصاء في العالم الاسلامي ذلك انه حدث ان اراد الرسول (ص) احصاء عدد المسلمين فقال : (ص) « اكتبوا إلى كل من تلفظ بالاسلام » فكتبوا ذلك فكان الف وخمسمائة رجل وهو عدد كافة الرجال من المسلمين ، وكان اذا نودي للزحف يعرف من تخلف عنه (ص) بعد احصاء الحاضرين فيلومه اذا كان تخلفه قد تم

بدون عذر شرعي أو سبب معقول . .

ان الاحصائيات أو الأرقام التي سنسجلها عن القرآن الكريم وان كانت لا تضر من يجهلها ولا تنفع من علمها نفعاً هائلاً ، إلا انها تسجل مدى أو ارتباط المسلمين بكتابهم الكريم ومدى العناد والجلد الذي تحملوه في استخراج مثل هذه الاحصائيات من القرآن الكريم . .

ان هذه الاحصائيات تخص نواحي عديدة ومختلفة من القرآن مثل عدد سوره وآياته وعدد المرات التي ذكرت فيه فريضة معينة كالصلاة أو الزكاة أو الجهاد أو عدد المرات التي ذكر فيه لفظ الجلالة (الله) أو اسماء الأنبياء أو عدد الحروف أو النقط . . . الخ . . . وحيث أن أسلوبنا في البحث بهذه الدراسة هو الايجاز وان ايراد كل ما وقع بأيدينا من الأرقام قد يأخذ حيزاً كبيراً قد يتعارض مع اسلوب البحث ، لذا آثرنا هنا ايراد بعضها وهو ما يتعلق بالطريف واللذيذ منها وهي هذه : ان عدد آيات القرآن الكريم هي

٦٢٣٦	آية	ان عدد آيات القرآن الكريم هي
٤٦١٣	آية وقيل ٤٧٨٠ آية	ان عدد الآيات المكية هي
١٦٢٣	آية وقيل ١٤٥٦ آية	ان عدد الآيات المدنية هي
٧٧٩٣٤	كلمة	ان عدد كلمات القرآن هي
١٠٢٥٠٣٠	نقطة	ان عدد نقط القرآن هي
٣٢٣٦٧٠	حرف وقيل ٣٢١٢٥٠ حرف	ان عدد حروف القرآن هي
٤٨٨٠٠	حرف	ان عدد الفات (جمع الف) في القرآن هي
١١٢٠١	حرف	ان عدد الباء في القرآن هو
١٠١٩٩	حرف	ان عدد التاء في القرآن هو
١٢٧٦	حرف	ان عدد الثاء في القرآن هو
٣٢٧٣	حرف	ان عدد الجيم في القرآن هو
٣٩٩٣	حرف	ان عدد الحاء في القرآن هو
٢٤١٦	حرف	ان عدد الخاء في القرآن هو

وهكذا ترد اعداد الحروف تباعاً حتى آخرها وهو حرف الياء حيث	
ان عدد الياءات في القرآن هي ٢٥٩١٩ حرف :	
وإن عدد فتحات القرآن	٥٣٢٤٣ فتحة
وعدد كسرات القرآن	٣٩٥٨٢ كسرة
وعدد ضمات القرآن	٨٨٠٤ ضمة
وعدد مدات القرآن	١٧٧١ ضمة
وعدد شدات القرآن	١٢٥٣ شدة

وقد احصى البعض بعد هذا لفظ الجلالة (الله) في القرآن فظهر انه قد ورد فيه (٩٨٠) مرة . .

ويروى هنا ان الحجاج بن يوسف الثقفي أو غيره كان قد « جمع القرآن والحفاظ والكتاب لديه وقال لهم : اخبروني عن القرآن كم حرف هو . . . ؟ فحسبوا فقالوا بعدده (كما جاء أنفاً) ثم سألهم عن نصفه فاذا بالقرآن ينتهي في سورة الكهف في فاء أو تاء (وليتلف) ثم سألهم عن أثلثه فاذا الثلث الأول يقع في رأس مائة من سورة براءة والثلث الثاني يقع في رأس مائة وواحد من سورة طسم الشعراء والثلث الثالث ما بقي من القرآن ، ثم سألهم عن أسباعه فاجبروه بذلك »^(١).

وهناك من درس وتتبع الآيات القرآنية الكريمة لمعرفة الآية التي هي اشد ما تكون وطأة على الكافرين وتلك التي هي ارحم آية في القرآن فضلاً عن الآية التي تجمع خصال الخير والنهي عن الشر . . الخ فظهر من ذلك ان اشد آية في القرآن هي قوله تعالى : ﴿ فذوقوا فلن نزيدكم إلا عذاباً ﴾^(٢).

بينما ظهر أن ارحم آية فيه هو قوله تعالى : ﴿ قل يا عبادي الذين

(١) علوم القرآن - أحمد عادل كمال .

(٢) النبأ : ٣٠ .

اسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعاً
أنه هو الغفور الرحيم ﴿٣﴾.

أما أجمع آية في القرآن فهو قوله تعالى : ﴿ إن الله يأمر بالعدل
والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم
لعلكم تذكرون ﴾ ﴿٤﴾.

كما وقام فريق آخر باحصاء أسماء الأنبياء والرسل الذين ورد
ذكرهم في القرآن الكريم لمرة واحدة أو أكثر على وجه الصراحة (لا
الإشارة) حيث ادخلهم في رجز بديع ليتمكن حفظه بسرعة وهو :

الرسول الذين في القرآن	خمس وعشرون فخذ بياني
هم آدم إدريس نوح هود	يونس الياس اليسع داود
ثم شعيب صالح أيوب	هارون ثم يوسف يعقوب
اسحق إبراهيم لوط موسى	ذو الكفل يحيى زكريا عيسى
ثم سليمان واسماعيل	خاتمهم محمد جليل

واذ نحن بصدد الشعر ، فقد قام البعض بتضمين القرآن في الشعر
وهذا يعد من أنواع البديع مثل :

انلني بالذي استقرضت خطأ واشهد معشراً قد شاهدوه
فان الله خلّاق البرايا عنت لجلال هيبتة الوجود
يقول : « اذا تدانتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه » ﴿٥﴾
أو مثل القائل :

قد قلت لما حاولوا سلوتي « هيهات هيهات لما توعدون » ﴿٦﴾ .
وكذلك قول من قال :

وفتية في مجلس وجوههم ربحانهم قد عدموا الثقيل
« دانية عليهم ظلالهم وذللت قطوفها تذليلاً » ﴿٧﴾ .

(٣) الزمر : ٥٣ . (٤) النحل : ٩٠ . (٥) البقرة : ٢٨٢ .
(٦) المؤمنون : ٣٦ . (٧) الإنسان : ١٤ .

هذا وهناك الكثير من الأدباء والكتاب ممن يدخل الآيات الكريمة أو مقاطع منها بين سطور أو ثنايا كتاباتهم أو ان يصدّروا بها مؤلفاتهم ، مما يكسبها طابعاً جميلاً وتصويراً بديعاً فضلاً عن وقعها الحسن على الاسماع والنفوس .

كما ونشاهد أيضاً من يسجل بعض الآيات كتلك التي تأمر بالعدل والدعوة إلى الكفاح والجهاد^(٨) والعمل الصالح أو تجري مجرى الحكمة والمثل أو القول الحسن أو الأنفاق في سبيل الله أو تجنب الظلم والبغي أو الحكم بالعدل والانصاف أو امهال المدين والمعسر . . . الخ اجل نشاهد من يسجل كل أو بعض هذه الآيات على لوحات فنية وبخط بارز وجميل لتوضع على جدران البيوت والدكاكين والمحلات العامة لتبقى معانيها على تماس وارتباط دائم باعمال وسلوك الناس . .

ونجد أيضاً في صدر الاسلام وبعده من يحفظ شيئاً من القرآن لأجل ان ينطق به عوضاً عن الكلام الاعتيادي مؤدياً نفس المعنى والمقصد أو ما يشير اليه . .

وهذا ان دل على شيء فانما يدل على مدى حفظ هؤلاء المسلمين وسرعة ايرادهم أو تذكرهم الآية أو الآيات المطلوبة من خضم آيات القرآن التي تتجاوز الستة آلاف آية .

ولا ضير في ختام هذا الفصل من ايراد قصة طريفة قامت باداء دور البطولة فيها فتاة مسلمة ومهما قام الشك في صحتها (القصة) إلا انها

(٨) ومن هذا النوع ما يشاهد في القاهرة المعز قرب ساحة التحرير من جهة الكوبري ، حيث أقيم قوس كبير قرب الكوبري وقد وضع فوقه صورة مجسمة كبيرة تمثل جندياً مصرياً ويده رشاشته وهو في وضع الاستعداد ودوّنت تحت الصورة هذه الآية من سورة (ق) وهي : « يوم يسمعون الصيحة بالحق ذلك يوم الخروج » . .

تشير إلى المدى الذي ارتبط القرآن بحياة الناس وسلوكهم ومعاشهم سواء الرجال منهم أو من يطلق عليهم بالجنس الناعم .

وبهذه المناسبة وقبل الولوج إلى اصل القصة نقول بان الاسلام لا يفرق بين الجنسين في شيء منهما متساويان في كافة الحقوق والواجبات والتكاليف الدينية والمالية - واذا ما كان هناك فرق او خلاف يذكر ما بينهما فهو ذلك الذي يخص طبيعة عمل المرأة ويحسن وضعها وشكل حياتها .

وكم كان بوجدنا ان نضع النقاط على الحروف فيما يتعلق بالمساواة التي اشرنا اليها ، إلا ان ذلك سينقل البحث من قصة طريفة لامرأة تحفظ الكثير من القرآن ولا تتكلم إلا به إلى موضوع حقوق المرأة في الاسلام والذي كتب فيه المئات من المفكرين المسلمين واهم من كتب عنه هو الأخ محمد قطب في كتابه شبهات حول الاسلام ولم يدع فيه زيادة لمستزيد . .

اما القصة الفريدة والتي نكتب عنها بتصرف فهي : (٩)

قال بعضهم : انقطعت عن طريق القافلة المتجهة صوب الديار المقدسة مرة بمسافة قصيرة فوجدت سودة ، فأقربت منها فتجلب لي انها امرأة فقلت لها من انت ، فأجابت : « وقل سلام فسوف تعلمون » فسلمت عليها ثم استفسرت منها عما تعمل في هذا المكان النائي عن الطريق فقالت : « من يهدي الله فلا مضل له » فقلت لها هل انت من بني الانسان ام من غيره فأجابت : « يا بني آدم خذوا زينتكم » فقلت لها من اين اقبلت إلى هذا المكان فأجابت : « ينادون من مكان بعيد » فقلت لها إلى أي مكان متوجهة فقالت : « والله على الناس حج البيت » فقلت لها متى انقطعت عن طريق القافلة فقالت : « ولقد خلقنا السماوات

(٩) زينب الكبرى - الشيخ جعفر النقدي .

والأرض في ستة أيام » فقلت لها هل ترغبين في تناول شيء من الطعام فأجابت : « وما جعلناهم جسداً لا يأكلون الطعام » فاطعمتها مما كنت أحمل من الزاد ثم قلت لها استعدي للرحيل للحاق بالقافلة فقالت : « لا يكلف الله نفساً إلا وسعها » فقلت هل أحملك معي على الناقة فقالت : « لو كان فيهما الهة إلا الله لفسدتا » فنزلت من الناقة واركبتها عليها فسمعتها تقول عند الجري : « سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين » . . ولما ادركنا مشارف القافلة قلت لها هل لك احد من قريب أو عزيز فيها فأجابت : « يا داود انا جعلناك خليفة في الأرض ، وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل ، يا يحيى خذ الكتاب بقوة ، يا موسى اني انا الله » فناديت برفيع صوتي بالأسماء الأربعة (داود ، محمد ، يحيى ، موسى) فإذا بأربع شباب برزوا من قلب القافلة وتوجهوا نحونا فقلت لها هل لهؤلاء القادمين قرابة منك فقالت : « المال والبنون زينة الحياة الدنيا » فلما وصلوا إلى جوارها قالت لهم : « يا ابت استأجره ان خير من استأجرت القوي الأمين » فاعطوني شيئاً من المال ثم قالت لهم : « والله يضاعف لمن يشاء » فزادوا في العطاء ، ثم سألتهم قبل ان اودعهم عن قرابة المرأة منهم فقال كبيرهم هي والدتنا ، ما تكلمت معنا ومع غيرنا منذ عشرين سنة إلا بالقرآن الكريم وعلى النحو الذي سمعت باذنك منها . .

وأخيراً - وليس آخراً - نشير إلى احجام المصاحف التي خطت في العالم حتى الآن .

فبصدد اكبر مصاحف العالم فيقال انه المصحف الموجود في خزانة دار الكتب بميدان باب الخلق بالقاهرة ويبلغ وزنه طنين كما وان حجم الصفحة الواحدة منه تبلغ ١٧٥ × ١٢٠ سم ويتألف من ٧ أجزاء ومحرو بخط النسخ وعلى الجلد ومستعمل فيه الذهب في أجزاء مختلفة من صفحاته ووقفاته ، وله غلاف جميل هو آية في الروعة والفن يتسع

للأجزاء السبعة وهو من الفضة الخالصة ومحلى بالياقوت ، وقد كتب في القرآن الحادي عشر الهجري^(١٠) ..

وقد قدّمه إلى مصر نواب « أمير » مقاطعة (ولاية) بهوبال^(١١) وهي إحدى الولايات التي كانت تشكل منها الهند قبل الاستقلال والذي تم في منتصف شهر آب ١٩٤٧ ..

أما عن اصغر المصاحف في العالم فهناك مصاحف لا تتعدى عن أن تخرج عن حجم نواة التمر سعة ، وكما يشاهد في العلب الذهبية التي توضع على الصدور وغيرها لغرض التبرك وذلك لتعذر وضع مصاحف كبيرة في هذه المواقع ..

وبين حجم هذا المصحف وذاك نجد العشرات من المصاحف وبأحجام وقياسات مختلفة تلبي كل طلب وتلائم مع كل نظر ..



مركز تحقيقات كميوتير علوم إسلامي

(١٠) مجلة الوعي الإسلامي العدد ٣٧ مقال السيد صلاح عزام حول المصاحف النادرة في العالم ..

(١١) أشرنا في فصل « بعض التفاسير المتداولة » إلى حقيقة هذه الولايات والإمارات وكيف قام المستعمرون الإنكليز بإيجادها من أجل إحكام سيطرتهم على كل التراب الهندي وقمع كل تمرد وعصيان قد يعلن ..

القرآن في نظر غير المسلمين

مركز تحقيقات علوم إسلامي



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

قلنا في فصل سابق ان الدنيا لم تعد اناساً منصفين وعادلين من غير المسلمين - سواء أكانوا مستشرقين أو غيرهم - ممن كتب الحقيقة وسجل الواقع عن القرآن وعن الاسلام وعن الرسول محمد (ص) بل ما اكثر هؤلاء في هذا العصر الذي غلبت وطغت فيه الابحاث العلمية والحقائق التاريخية على الاهواء ونزوات النفس وكل المفتريات التي ليس لها ظل من الحقيقة ولا سند من الواقع والتي كانت تزدهر وتنتعش في عهود التخلف والجهل وفقدان الوازع الروحي والاخلاقي ، وهي العهود التي عفى عليها الزمن وان كانت بعض رواستها تعمل في ادمغة البعض ، إلا انها - بمرور الوقت - ستطهر الأرض منها وتذهب إلى العدم غير مأسوف عليها . .

وليس في استطاعتنا هنا - ونحن نسعى دوماً للإيجاز والاختصار - ان نورد قائمة باسماء كل هؤلاء المنصفين وأرباب القلم الحر أو ان نسطر كل ما خطت أقلامهم عن القرآن أو الاسلام أو النبي الكريم (ص) ، حيث ان ما كتبه هؤلاء عن القرآن فقط واحكامه وعلومه وكيف انه يضم القانون الجزائي والمدني والنظام الاجتماعي التي يوجّه مسيرة المسلمين من كل لون أو قومية أو جنس فضلاً عن تحديد واجبات وصلاحيات السلطات في الدولة وعلاقاتها بالفرد وتنظيم وسائل الانتاج وتوزيع

الشروة^(١) . . . الخ اجل ان ما كتبه هؤلاء عن القرآن فقط يملأ كتباً ومجلدات يمكن لأي فرد الرجوع اليها عند الحاجة . . .

وحيث ان بحثنا في هذا الفصل يتناول هذا الذي كتبه هؤلاء عن القرآن الكريم وانه بعد هذا لا يمكن ان نورد كل ما كتبوه ، لأن ايراد ذلك يتطلب دمج كتبهم ومجلداتهم بهذا الكتاب ، وحيث ان ما لا يدرك جلّه لا يترك كله ، وهي ما نقوله القاعدة الفقهية المعروفة ، لذا آثرنا هنا ان نختار ونقدم شذرات وعبارات عما صح قوله عن هؤلاء إزاء القرآن الكريم . . . ليقف المسلمون على حقيقة ما يقوله غيرهم عن كتابهم ليزدادوا يقيناً وثباتاً ، وليراجع ضعاف العقيدة منهم أنفسهم من أجل تصحيح افكارهم وتقويم سلوكهم . . . واذا كانت هناك كلمة قصيرة توجه لهؤلاء - ضعاف العقيدة - فهو انهم اذا ما وجهوا نشاطهم لدراسة الاسلام دراسة موضوعية وما يضم من تشريعات وانظمة بالقدر الذي وجهوه لدراسة سواه من الأنظمة والمبادئ الوضعية الرائجة لكانت لهم نظرة اخرى في هذه المبادئ والأنظمة - ولأقروا بعدما بان في مكنة الاسلام ودستوره الخالد ان يرضى طموحاتهم بحل مشاكل المجتمع الاجتماعية والاقتصادية والسياسية حيث لا يجدون في ظله - عند التطبيق - من يعيش في القمم وبكسوح المستضعفين ومن يعيش في الحضيض تحت أسواط المستكبرين ، بل الجميع في كنفه سواء ولا يأكل احد إلا من سعيه وجهده

(١) نشير بهذه المناسبة إلى أن الكاتب الفرنسي الشهير فكتور هيجو صاحب كتاب «البؤساء» قال بعد أن تجلّى له بكل وضوح ما يضم القرآن من علوم وفنون وآداب وتشريع . . . الخ قال كلمته المشهورة « إن القرآن شبيه بالسوق التي يمكن أن تزودك بكل شيء » . .

كما ونذكر أيضاً أن مؤتمر متشرعي العالم الذي جمع أهل الرأي والفقه من مختلف البلدان والذي عقد في لاهاي عاصمة هولندا قد قرر : « إن الشريعة الإسلامية المنبثقة من القرآن تحمل العناصر الكافية التي تجعلها صالحة للتطبيق والتطور مع حاجات الزمن والعصر » . .

هذا ونضع امام هؤلاء وسواهم بعض ما قاله غير المسلمين عن القرآن وفنونه وآدابه تفيدهم وايانا من اجل الزيادة في اليقين والايمان ، وهي مجموعة من كتب ومصادر كثيرة ومختلفة^(٢) وهي على التوالي :

١ - قال الأستاذ سنايس : « ان القرآن هو القانون العام الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه فهو صالح لكل زمان ومكان فلو تمسك به المسلمون حقاً وعملوا بموجب تعاليمه واحكامه لاصبحوا سادة الأمم كما كانوا أو بالأقل لصار حالهم حال الأقوام المتمدنة » . .

٢ - وقال المستير بورسوت سميث : « من حسن الحظ الوحيد في التاريخ ان محمداً اتى بكتاب هو آية في البلاغة ودستور للشرائع والصلاة والدين في آن واحد » . .

٣ - وقال المستشرق الألماني الدكتور سومبس : « يقول بعض الناس ان القرآن كلام محمد - وهو خطأ محض - فالقرآن كلام الله تعالى الموحى على لسان محمد ، فليس في استطاعة محمد ذلك الرجل الأمي في تلك العصور الغابرة ان يأتي بكلام تحار فيه عقول الحكماء ويهدي من الظلمات إلى النور ، وربما تعجبون من اعتراف رجل أوروبي بهذه الحقيقة » . .

« اني درست القرآن فوجدت فيه تلك المعاني العالية والأنظمة المحكمة وتلك البلاغة التي لم اجد مثلها قط في حياتي جملة واحدة منها تغني عن مؤلفات ، وهذا ولا شك اكبر معجزة اتى بها محمد عن ربه » .

(٢) محمد والقرآن - الشيخ كاظم آل نوح ، المعجزة الخالدة - السيد هبة الدين الشهرستاني ، لماذا اخترنا الدين الإسلامي - السيد محمد الرضي الرضوي ، قالوا في الإسلام - الشيخ حسين خضر الظالمي ، الإسلام روح المدنية - مصطفى الغلاييني .

٤ - وقال المستشرق ماكس منني : « ان مرشد المسلمين هو القرآن وحده والقرآن ليس بكتاب ديني فقط بل هو يرشد الإنسان إلى وظائفه اليومية ، والاحكام الإسلامية التي لا توجد في القرآن ولا في السنة توجد في الفقه الواسع الذي هو علم الحقوق الإسلامي » ..

٥ - وقال الدكتور غوستاف لوبون الفرنسي الجنسية : « التعاليم الاخلاقية التي جاء بها القرآن هي صفوة الآداب العالية وخلاصة المبادئ الخلقية الكريمة وهي اسمى بكثير من آداب الانجيل » ..

٦ - وقال ادوار لوهارت : « اشرق القرآن بصعقهم نوراً يا له من نور وهو نور حكمة القرآن الذي انزله على صدر نبيه المبعوث لا محالة لإرشاد البشر وابقى لهم دستوراً لن يضلوا ابداً وهو القرآن الجامع لمصالح دنياهم ولخير اخرهم » ..

٧ - وقال الفيلسوف الفرنسي الشهير رنيان : « ان في دين الإسلام تعاليم ومبادئ عالية القيمة رفيعة المقام وما دخلت في حياتي مسجداً من مساجد المسلمين إلا شعرت بجاذبية نحو الاسلام ، بل تأسفت ألا اكون مسلماً ويلوح لي ان الشيخ جمال الدين^(٣) الذي زودني بطائفة من

(٣) جمال الدين الافغاني من قادة الاصلاح في العصر الحديث ، ولد في قرية اسد آباد قرب همدان عام ١٨٣٩ (١٢٥٤ هـ) ويرجع نسبه إلى الإمام علي - ع - ، رحل مع أبيه وهو صبي إلى أفغانستان ودخل المدارس الشرعية في كابل لدراسة الآداب العربية وعلوم الشريعة والحكمة والمنطق ثم هاجر إلى العتبات المقدسة وسكن كربلاء وواصل دراسته في تحصيل العلوم الدينية في مدرسة السردار حسن خان الدينية في كربلاء ثم رحل إلى الهند للوقوف على أحوالها الاجتماعية ثم تركها إلى البلاد العربية ليستقر عام ١٨٥٧ في مكة المكرمة ، فشهد تجمع المسلمين ففكر في إنشاء جامعة كبرى لهم فأسس جمعية أم القرى وهي أشبه ببرلمان اسلامي كبير . .

ثم عاد إلى الافغان بعد أن استوزره ملكها شير علي خان إلا أن المؤامرات والفتن التي حيكت ضده دعتة عام ١٨٦٩ للخروج منها شطر الهند ، وفي الهند =

الآراء الهامة تعينني على نظريتي الأساسية وهي ان الاسلام (في النصف الأول من وجوده) لم يحل دون استقرار الحركة العلمية في الأراضي الإسلامية . . .

= أخذ بشحن أبنائها بروح الوطنية والدفاع عن حقوقهم ، مما دعت حكومة الهند لأن تضعه في إحدى البواخر المتجهة إلى السويس تخلصاً منه ، وبعد وصوله إلى مصر مكث فيها قليلاً ثم توجه عام ١٨٧٠ إلى اسطنبول استجابة لنداء السلطان العثماني عبد العزيز الذي سمع بدعوة جمال الدين الإسلامية ومكانته المدنية في نفوس الناس لغرض الاستفادة منها في استقرار سلطانه وثبات ملكه . .

وفي الاستانة (اسطنبول) اختلف جمال الدين مع شيخ الإسلام حسن أفندي بخصوص محاضرة ألقاها جمال الدين في دار الفنون أشار فيها إلى : « أن المعيشة الإنسانية أشبه شيء ببدن الحي وإن كل صناعة بمنزلة العضو فالملك كالمنخ والحداثة كالعضو والزراعة كالكبد . . الخ ولا حياة للجسم إلا بالروح وروح المعيشة الإنسانية النبوة والحكمة . . » وقد حرص - شيخ الإسلام - الوعاظ للنيل منه واتهامه بالإلحاد والمروق من العقيدة . .

وقد انقسم الناس فريقين أحدهما معه والآخر ضده ، لذا طلب السلطان منه مغادرة البلد فغادرها إلى القاهرة عام ١٨٧١ ومكث فيها (٨) سنوات أنشأ خلالها مدرسة سخرها لخدمة الشعب وقد حرص المصريين للمطالبة بحقوقهم والدفاع عن كرامتهم وسحق أعدائهم ، مما دعا السلطات المختصة للقبض عليه في ٢٨ / ٤ / ١٨٧٩ حيث حمل إلى السويس ومنها إلى الهند ، ومن الهند إنجه إلى بريطانية وتعرف فيها على كثير من مفكرينها ، ثم توجه إلى باريس حيث إحتل فيها منزلة سامية ومكانة رفيعة في نفوس المسلمين . .

ولقد كتب إلى تلميذه وصديقه محمد عبده الذي كان في بيروت ليوافيه في باريس وجاءه بعد ذلك حيث أسسا معاً جمعية العروة الوثقى ومجلتها ، وكان الهدف منها إيقاظ الشرق وحشه على النهوض وتحريره من الاستعمار وتشكيل الحكومات الدستورية وتحقيق الإصلاحات الاجتماعية والقضاء على الفساد والمرض .

ثم غادر باريس إلى إيران بعد أن سبقته شهرته إليها ومنها إلى موسكو ولينغراد (عاصمة القيصرية) حيث مكث في أخيره (٤) سنوات ثم غادرها إلى أوروبا ثم عاد إلى إيران بعد ذلك حيث حرص على وضع دستور للبلاد للحد من سلطات =

٨ - وقال الكونت هنري دكاستري : « لو لم يكن في القرآن غير بهاء معانيه وجمال مبانيه لكفى بذلك ان يستولي على الأفكار ويأخذ بمجامع القلوب . . »

٩ - وقال رينورت : « يجب أن نعترف بأن العلوم الطبيعية والفلسفة والرياضيات التي انتعش في أوروبا في القرن العاشر مقتبسة من القرآن بل ان أوروبا مدينة للإسلام . . »

١٠ - أما جويت فقد قال : « القرآن يجذب القاريء بمحاسنه ويولع فيه ولعاً زائداً لكثرة فصاحته وبلاغته . »

١١ - وقال الدكتور موريس الفرنسي : « إن القرآن أفضل كتاب أخرجته الصناعة الأزلية للبشر . »

١٢ - وقال المستر كوزان دي بيرسونال : « أما مسألة الوحي بالقرآن فهي أكثر اشكالاً وأكبر تعقيداً لأن الباحثين لم يهتدوا إلى حلها حلاً مرضياً ، والعقل حار كيف يتأتى ان تصدر الآيات من رجل أمي وقد اعترف الشرق

مركز بحوث ودراسات إسلامية

= الحاكم مما أوعز صدر السلطان ناصر الدين شاه قاجار ، فغادر إيران إلى البصرة ثم إلى لندن فاستقبل . .

وقد طلب منه السلطان عبد الحميد الموافقة على ترشيحه لمنصب شيخ الإسلام إلا أنه رفض ذلك وطلب منه منصباً يستطيع من خلاله تغيير النظام القائم وفسح المجال للمواطنين لسماع شكواهم ، لذا فقد فترت العلاقات ما بينهما وتراخت ووصلت إلى حد الصدام . .

ثم أصيب جمال الدين عام ١٨٩٧م بالسرطان ، وظل المريض يسري في جسده حتى وافاه الأجل في ٩ / ٣ / ١٨٩٧ وقد أمر السلطان عبد الحميد بأن يدفن جثمانه من غير احتفال وأن تصدر أوراقه وكتبه ومنع الصحف من كتابة شيء عنه كما ودفن في مقبرة مجهولة . .

وفي كانون الأول من عام ١٩٤٤ تم نقل رفات جمال الدين في احتفال عظيم إلى كابل عاصمة الافغان ليوارى في مقبرة تتناسب والخدمة التي قدمها للمسلمين . .

قاطبة انها آيات يعجز بني البشر عن الاتيان بمثلها لفظاً أو معنى ، آيات لما سمعها عقبة بن ربيعة (المقصود هو عتبة بن ربيعة أو الوليد بن المغيرة كما تقدم ذكره) حار في جمالها ، وكفى رفيع عباراتها لاقتناع عمر بن الخطاب فأمن برب قائلها ، وفاضت عين النجاشي ملك الحبشة كما تلى جعفر بن ابي طالب سورة زكريا (المقصود هي سورة مريم) وما جاء في ولادة يحيى صاح القس ان هذا الكلام وارد في موارد عيسى - ع -

١٣ - وقال الدكتور شبلي شميل : « إن في القرآن يحمل بين طياته عوامل عامة وفيها من المرونة ما يجعلها صالحة للأخذ بها في كل زمان ومكان ، ان القرآن يحمل بين طياته عوامل النجاح فنراه يصف العلم ويحث عليه ويصف الجهل ويحذر منه ويتحدث عن الصلاح ويأمر به ، ولم يترك فضيلة إلا أوجبها وحث عليها .

وله شعر طريف بهذا المعنى نقل منه هذه الأبيات :

اني وان انكرت دين محمد	هل اكفرن بمحكم الآيات
وبما حوت من ناصح الألفاظ من	حكم وراذع للهوى وعظمت
وشرائع لو انهم عملوا بها	ما قيدوا العمران بالعادات
نعم المدبر والحكيم وانه	رب الفصاحة مصطفى الكلمات
رجل الحجاز رجل الفصاحة والعلم	بطل حليف النصر في الغايات
ببلاغة القرآن قد جلب النهى	وبسيفه انحنى على الهامات

١٤ - أما بولا تيتلر فقد قال : « من الصعب أن يظن الإنسان في أمره أن قوة الفصاحة الإنسانية تؤثر ذلك التأثير القرآني خصوصاً وأنها تصدر عالية بغير ضعف ابداً وتتجدد رفيعة إذ تقصر دون تمثيلها رجال الأرض وملائكة السماء » . .

١٥ - وقال المستر جان تودثون كرو الفرنسي : « وقذف في نفس

محمد (ص) مجموع كتاب مملوء بالاسرار الالهية واوحى إليه حقائق تجتاز مسافة عقله الطبيعي لذلك علّم الإنسان بالقلم علّمه ما لم يعلم ، هذا هو سر الوحي وهو سر الكلمة المكتوبة وكانت الكلمة المكتوبة وحياً إلهياً ..

١٦ - وقال الاستاذ دي منته من أهالي سويسرا في كتابه محمد والقرآن : « لقد منع القرآن الذبائح البشرية وواد البنات والخمر والميسر وكان لهذه الاصلاحات تأثير غير متناه في الخلق بحيث ينبغي ان يعد محمد (ص) في صف اعظم المحسنين للبشرية » ..

وقال في مكان آخر « ان الانقياد لارادة الله يتجلى في القرآن بقوة لا تعرفها النصرانية » ..

١٧ - وقال الاستاذ جونسون بصدد القرآن : « هو صيحة نبوية تسمو إلى شفاف القلب له من المعاني ما يناسب الجمع ويصلح لكل زمان آنست اليه وتعالّت فيه جميع الأصوات في مختلف العصور راضية أو مكرهة وكان له صدهاء في القلوب المختارة فدفعها إلى الغلبة والنصر في الدنيا وتكوين قوة جديدة استطاعت ان تدفع شعاع الحضارات الاغريقية الآسيوية عبر الظلام المخيم فوق أوروبا المسيحية عندما كانت المسيحية في ذلك الوقت ملكة الظلام » .

١٨ - وقال المستشرق الأمريكي ر. ف. بودلي في كتابه الرسول حياة محمد والذي طبع في اللغة العربية لأكثر من مرة : « بين ايدينا كتاب معاصر فريد في اصالته وفي سلامته لم يشك في صحته كما انزل أي شك جدي ، وهذا الكتاب هو القرآن وهو اليوم كما كان يوم كتب لأول مرة تحت اشراف محمد وعلى الرغم من ان الافكار قد دوّنت في الرقاع وسعف النخيل والعظام في لحظات غريبة فالسور والآيات الأصلية قد حفظت ..

وهذا الكتاب ليس مجموع أحاديث أو تقارير يفترض منها أن

محمدًا قد قالها ، فهي نفس الآيات التي أملاها بنفسه يوماً بعد يوم وشهراً بعد شهر خلال حياته ، وإن الحسنة الوحيدة في طريقة زيد أنها كانت أمينة فوق الشبهات فلم يفعل شيئاً ليضيف فقرات أو يضع جمل ربط أو يحذف أو ينسخ تفاصيل تشين الاسلام . .

لقد عمل باخلاص لا يمكن تصوره ، وحتى انه لما انتهى من نشر القرآن كان الكتاب من عمل مؤلفه (الله) ومؤلفه فقط . .

والمهم ان القرآن هو العمل الوحيد الذي عاش اكثر من اثني عشر قرناً دون ان يبدل فيه ولا يوجد شيء يمكن ان يقارن بهذا ادنى مقارنة لا في الديانة اليهودية ولا في الديانة المسيحية .

١٩ - وقال دفرجة في كتابه (العالم - جزيرة العرب) : « في القرآن اصول دينية واخلاقية وفلسفية وقوانين سياسية وحربية وقانون مدني ينظم سير علاقات الناس بينهم ، وفي كل وجه من وجوه الحياة العظيمة » . .

٢٠ - كما وقال ادوار جيبون : « إن دين محمد خال من الشكوى والظنون والقرآن أكبر دليل على وحدانية الله بعد أن نهى النبي عن عبادة الأصنام والكواكب وهذا الدين أكبر من أن تدرك أسرار عقولنا الحالية » . .

٢١ - وقال المؤرخ الشهير دوايبورت : « ان القرآن اعنى القانون الإسلامي العمومي حافل بالقوانين مدنية وتجارية وحربية وقضائية وجنائية جزائية وانه يبحث عن الأمور الدينية وشؤون البشر في الحياة من الحقوق الشخصية والاجتماعية والأمور الصحية ويبحث عن الفضيلة والأمانة والعصيان والقصاص عن الجناية في هذه الحياة والحياة الآخرة » . .

٢٢ - وقال الأستاذ بثورت سميت في كتابه المسمى « حياة محمد » بالحرف الواحد : « ان محمداً (ص) لمؤسس امة ومملكة وديانة وهذا

امر لم يوجد له سبق مثال ولن يوجد وهو امي لا يعرف القراءة والكتابة وقد جاء بكتاب مشتمل على دستور الشرائع والعبادات واخبار الأمم وهو نقي العبارة من الألفاظ المستهجنة باهر الحكمة والحقائق وهو انظم معجزة له (ض) والحق يقال انه لمعجزة .

٢٣ - وقال واشنطن ايرفيج : « القرآن فيه قوانين زكية سنية » .

٢٤ - وأخيراً - وليس آخراً - قال جيبون: « القرآن مسلم به من حدود الاقيانوس الاتلانتيكي إلى نهر اليغانغستي بانه الدستور الاساسي ليس لاصول الدين فقط بل للاحكام الجنائية والمدنية والشرائع التي عليها مدار حياة نظام النوع الانساني وترتيب شؤونه » . .

هذا ولا حاجة هنا لايراد أقوال وكلمات للكتاب شرقيين غير مسلمين مثل جورج جرداق وبولس سلامة وفيليب حتي وجورجي زيدان وسليمان كتاني الخ بصدد القرآن وعلومه وفنونه وذلك لأن كتبهم ومؤلفاتهم هي في متناول الجميع وان بعضها قد طبع لعدة مرات .

واشير بعد هذا إلى بعض الأفراد من غير المسلمين والذين اطلعوا على الاسلام والقرآن عن كثب حيث تجلّى لهم حقيقتهم فما كان منهم في هذه الحالة إلا أن يتخلوا عن عقيدتهم السابقة وينضموا تحت لواء الاسلام ومنهم الدكتور محمد اسد الذي نجد افكاره معكوسة في كتبه العديدة مثل كتابي الاسلام على مفترق الطرق وفي الطريق إلى مكة ومنهم الدكتور أحمد سوسة الذي اشهر اسلامه وكشف علة ذلك في كتابه في طريقي إلى الاسلام . .

ومنهم الكاتب الكبير الاستاذ علي بن ربن الطبري الذي اشهر اسلامه وقال بعد ذلك بالحرف الواحد : « حينما كنت مسيحياً كنا أقول كما يقول عم لي متعلم بليغ بأن اسلوب القرآن ليس معجزاً وليس من

علامات النبوة لأنه في استطاعة الناس كلهم ، ولكن عندما حاولت تقليده وأطلعت على مدلول كلماته علمت بان اتباع القرآن على حق فيما يدعون له لأنني لم أطلع على كتاب يأمر الخير وينهى عن الشر كالقرآن فعندما يحمل لنا شخص كتاباً يحمل نفس المميزات ويوحى إلينا بهذه الطلاوة وتلك الروعة في القلوب ويجوز مثل هذا النجاح ويكون في نفس الوقت أمياً لم يتعلم أبداً فنّى الكتابة والبلاغة فهذا الكتاب يكون بلا شك من علامات النبوة . .

ومنهم الدكتور جرينه المسلم الفرنسي الشهير الذي كان عضواً في البرلمان والذي قال حينما سئل عن سبب دخوله في الاسلام : « لقد تبعت كل الآيات القرآنية التي لها ارتباط بالعلوم الطبيعية والصحية والطبية فوجدتها منطبقة كل الانطباق على معارفنا الحديثة فاسلمت لأنني تيقنت ان محمداً أتى بالحق الصراح قبل الف سنة من غير ان يكون له مدرس من البشر ، ولو ان صاحب كل فن من الفنون أو علم من العلوم قارن كل الآيات القرآنية المرتبطة بما يعلمه حسياً كما قارنت انا لأسلم دون ريب ان كان خالياً من الأغراض »

ومنهم المستر ر . دي كيري المسيحي الانكليزي الذي اشهر اسلامه وكان قد سئل بعد ذلك عن علة اسلامه فأجاب : « اني قد نشأت على الديانة المسيحية واجريت علي جميع آدابه ورسومه ولكن عندما ظهرت لي هذه الحقيقة الواقعية وهي تطابق ما ساقنتي اليه نظرياتي الشخصية وجميع ما قرأته حول الدين الاسلامي وما أجده في أقوال النبي محمد وتعاليمه من الأجوبة الكافية على جميع مسائلتي العويصة عند ذلك غمرتني حالة بهجة وسرور أترك تصويرها إلى فكرة القارىء . .

وكلما قرأت سورة من القرآن كانت الحقائق الواقعية تتجلى لي واحدة اثر اخرى فاحمد الله تعالى حيث تقبل بلطفه وكرمه استسلامي للديانة الاسلامية . .

ومنهم اللورد هيدلي رئيس الجمعية الاسلامية حيث نرى انه بعيد اشهار اسلامه الف كتاباً يحمل اسم « ايقاظ العرب للاسلام » وما ورد فيه بحق القرآن كثير ننقل منه هذه الأسطر وهي : « اذا قارنا الطرق المتخذة عند المسلمين عند ابداء آرائهم بالطرق المتبعة بين ناشري الدين المسيحي دهشنا من الفرق البين بينهما اذ الاول يتسنى عن روح الحب والتسامح بينما الآخر يظهر كثيراً من الإكراه واللعنة ، فالتعليمات التي وردت في القرآن سهلة المأخذ جداً وقد بينت بأسهل لغة ، واضاف انه ليس هناك اي ابهام أو غموض في الآيات القرآنية ، فما اعظم الفرق بين الطريقة التي ينشر بها المسلمون الذين يتبعون تعاليم القرآن دينهم ، وتلك الطريقة البغيضة التي اتخذها هؤلاء الذين يسعون في ان يوزعوا جذوات نار وسيوفاً شتى من الدين المسيحي » . .

هذا ونورد هنا محاوره طريفة لرجل انكليزي كان يعرف اللغة العربية وكان يعمل رباناً لاحدى السفن التجارية حيث سمع قوله تعالى : ﴿ أو كظلمات في بحر لجي يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض إذا أخرج يده لم يكد يراها ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور ﴾ (٤) . .

فسأل هذا الرجل عن القائل لهذا الكلام فقالوا له ان هذا هو من القرآن الكريم الذي أوحى إلى النبي محمد (ص) فقال : هل ركب محمد البحار فأجابوه : لا فقال : ان هذه الصورة الحقيقية لا يعرفها إلا من عاش في البحار عشرات السنين ولا تحدث إلا نادراً ، ولو حدث لما كان في استطاع أحد ان يصورها هذا التصوير الفني البديع الذي صورها به القرآن ، فليس هذا القول بقول بشر بل هو قول الله سبحانه . .

وأخيراً - وليس آخراً - نشير إلى ظاهرة ملموسة عاصرها ابناء هذا

الجيل تتعلق بالأثر الذي تركه القرآن والاسلام في نفوس شعب صديق
وكبير في العالم حيث اضاء لهم سبيل الهداية والرشاد فتركوا ما كانوا
يؤمنون به من عقائد وافكار ليدخلوا في دين الله افواجا . .

وهذه الظاهرة نجد لها ساطعة في اقطار شبه القارة الهندية ،
فالمعروف ان عدد المسلمين في شبه القارة عند الاستقلال في آب من
عام ١٩٤٧ كان بحدود ٩٥ مليون نسمة ، إلا ان هداية القرآن وأنوار
الاسلام امكن لهذا الرقم من ان يتضاعف إلى ما يقرب من أربع مرات -
من دون استعمال العنف والقوة بل ان المسلمين في بعض هذه الاقطار
هم ضحية العنف والارهاب - ليصبح العدد حالياً كما يلي :

٩٥ مليون	١ - الباكستان
١٠٠ مليون	٢ - بنغلادش
١٥٠ مليون وقيل أكثر من ذلك	٣ - الهند
٣٤٥	المجموع

وطبعي ان زيادة السكان في العالم أو في المنطقة بمرور الوقت
لها دخل كبير في تضاعف السكان وان كانت هذه بحدود ١٠٠ ٪ خلال
٣٨ سنة وليست بحدود ٤٠٠ ٪ كما هو حال نفوس المسلمين في اقطار
القارة - والذي يرجع - كما قلنا إلى فعل القرآن وهدايته للناس ،
واخراجهم من الظلمات إلى النور . .



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

الحروف المتقطعة
في أوائل السور

مركز تحقيقات الكمبيوتر والعلوم الإسلامية



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

ان كل فرد يختم القرآن الكريم ستمر عليه وفي مطلع ٢٩ سورة من سوره البالغة ١١٤ سورة ستمر عليه حروف متقطعة يتعذر على غالبية الناس معرفة مغزاها وفلسفتها . .

وهذه الغالبية عندما تطالعهم هذه الحروف قد لا يكلفون انفسهم مؤونة الوقوف عندها لأجل تدبرها واستيعابها بل يمرون عليها مر الكرام ، وإذا ما لفتت هذه الحروف تساءل البعض منهم فلا يكلف هذا البعض نفسه للوقوف على ماهيتها ، ومن كلف نفسه منهم فهو لا يتلقى ممن يستفسر منهم إلا جواباً جاهزاً وكاملاً لا يضيف إلى معلوماته شيئاً وهو « ان الله تعالى هو اعلم بمراده منها وانه لا يعلم تأويلها إلا هو » . .

والحقيقة هنا هو ان هذا الجواب الموجز هو الذي تلتقي عنده كافة اقوال الفقهاء والأدباء وهو جواب مرن وشامل يستوعب كل معاني هذه الحروف مهما تعددت واختلفت . . .

ورغم هذا فإن البعض من هؤلاء الأدباء والفقهاء لم يكتفوا بهذا الجواب الشامل للحروف هذه ، وهذا هو دأبهم دوماً - بل انطلقوا مسرعين للبحث والاستقصاء في بطون الكتب ووراء الروايات والأخبار عليهم يقفون على خيط رفيع يوصلهم للعثور على المزيد من المعاني والأغراض الخفية لهذه الحروف والتي لا يمكن - بحال من الأحوال - ان تنزل على الرسول (ص) عبثاً من دون ان تكون مثقلة وحيلى بالأغراض والمعاني المختلفة - ولأنهم أيضاً : « انكروا ان يكون في كتاب الله

تعالى ما ليس مفهوماً ، وان هذا يتنافى مع ما وصف به القرآن الكريم من انه نزل بلسان عربي مبين^(١) وانه لا يجوز ان يرد في كتاب الله تعالى شيء لا يفهمه الناس تبعاً لما جاءت به الآيات الكريمة والأخبار والعقل بذلك . .

ان الحروف المتقطعة في أوائل السور مثل « الم ، المص ، ق ، ص ، كهيعص ، حم » هي في الحق من الآيات المتشابهة التي لا سبيل للوقوف على معناها وان الله ورسوله والراسخين في العلم هم وحدهم ينفردون بمعرفة حقيقتها واسرارها دون سائر الناس لأنها « سر هذا القرآن » كما ينقل عن الشعبي^(٢) . . او كما يروى عن الامام علي - ع - بقوله : « ان لكل كتاب صفوة وصفوة هذا الكتاب حروف التهجي » . او كما يؤثر عن أبي بكر الصديق (ص) بقوله : « في كل كتاب سر وسره في القرآن أوائل السور » . .

او قول ابن مسعود : « ان هذه الحروف علم مستور وسر محجوب استأثر الله سبحانه به »

ولكن هؤلاء القسم من الأدباء والفقهاء حاولوا عند وصولهم عند هذه الحروف التخفيف من حدة وغلواء تشابهها بالبحث في كافة المظان

(١) مجلة الوعي الإسلامي الكويتية - العدد ٢٣ .

(٢) الشعبي هو ابو عمرو عامر بن شراحيل الشعبي الكوفي ولد عام ٢٠ للهجرة وهو من التابعين ، روى عن عمر وعلي وابن مسعود ولم يسمع منهم ، اصبغ قاضياً للكوكة وكان يفتي رغم وجود كثير من الصحابة ، ويجلس له كثير من أهل العلم يأخذون عنه مما يدل على مبلغ علمه وعظيم حظه وعلوم منزلته بين أتباعه ومعاصريه . .

ويقال عنه أنه كان يتحرّج عن الاجابة في كتاب الله إذا لم يكن لديه شيء من السلف ، حيث يروى عنه قوله : « ثلاث لا أقول فيهن حتى أموت : القرآن والروح والرأي » . .
توفي عام ١٠٩ للهجرة . .

والمصادر عن اسرارها ومعانيها . .

وحيث ان كل هؤلاء لم يرتادوا سبيلاً واحداً - في البحث والتقصي - لذا فقد تمكن كل واحد منهم من العثور والوقوف على معنى واحد لهذه الحروف أو أكثر . .

ومن جمع المعاني إلى بعضها سيظهر انها « تزيد على ٢٠ معنى »^(٣) وان اهمها هي :

١ - قيل انها تدل على اسماء السور حيث تعرف كل سورة بما افتتحت به منها ، فلو قال القائل قرأت سورة « كهيعص » أو سورة (ص) عرف الناس ما قرأ هذا القائل . .

وحين تتكرر هذه الحروف في اكثر من سورة فحينئذ تضاف هذه الحروف إلى اسم السورة الثاني فيقال « حم السجدة » أو « الم البقرة » وهكذا ، وذلك على النحو الذي نجده عند الناس حين تشابه اسماءهم فتميز في هذه الحالة باضافة لفظ الأب أو اللقب اليها فيرتفع التشابه ما بينها . .

٢ - وقيل انها اسماء القرآن . .

٣ - وقيل ان اسماء الله تعالى منقطعة ولو أحسن الناس من تأليفها لعلموا منها اسم الله العظيم . .

٤ - ويجعلها البعض حروفاً مأخوذة من صفات الله تعالى ، حيث يجتمع بها في المفتوح صفات كثيرة ويكون هذا فناً من فنون الاختصار عند العرب ، وهذا الاختصار نجده عند العرب بكثرة .

فقد قال الوليد بن عتبة في رجزه :

قلت لها قفي فقالت قاف

(٣) منهج البيان في تفسير القرآن - السيد ابن الحسن الرضوي .

أي انها قالت وقفت وقد اقتصرها على القاف فقط .
كما وقال زهير :

بالخير خيرات وان شراً فـ لا اريد الشر إلا ان تا
أي وان شراً فشر وإلا ان تشاء .
وكما قال الآخر :

ناد وهموا ألا الجمو ألاتا قالوا جميعاً كلهم ألاف
أي ألا تركبون والا فاركبوا .
وقوله (ص) : « كفى بالسيف شا » أي شافياً .

وعلى هذا الرأي فان كل حرف من هذه الحروف اشارة خاصة
لصفة من صفات الله تعالى .

٥ - ويذهب البعض إلى أن هذه الحروف هي ثناء اثنى الله تعالى
به على نفسه . .

٦ - وقيل انه قد أريد بها القسم ، وكأن الله سبحانه قد أقسم
بالحروف المتقطعة كلها واقتصر على ذكر بعضها من ذكر جميعها . .

وهذا يشبه قول القائل عندما يقول تعلّمت « ا ب ت ث » حيث ان
معنى هذا القول انه قد تعلم كافة الحروف الثمانية والعشرين^(٤) لا
الأحرف (الحروف) الأربعة فقط . .

(٤) إن الحروف في اللغة العربية هي (٢٨) حرف كما هو معروف وفي اللغة
الانكليزية (٢٦) حرف وفي اللغة الاوردية (الهندية) ٥٣ حرف وفي اللغة
السندية ٥٢ حرف . . . الخ . .

وبهذه المناسبة نشير إلى واقعة طريفة حول عدد حروف العربية ، وهو أن أحد
الأدباء كان قد كلف أحد الصبيان الأذكياء بالذهاب إلى الشاعر أبي العلاء
المعري (المولود عام ٩٧٣ والمتوفى عام ١٠٥٨ م) ليخبره بأنه القائل لهذا
البيت :

٧ - وقيل أيضاً أنها وردت في صدر السور لتكون أول ما يقرع الأسماء وتثير الأذهان للاصغاء والانصات كحروف التنبيه والافتتاح ، وانه سبحانه لم يستعمل الكلمات المتداولة والمشهورة في التنبيه والافتتاح مثل ألا وأما لأنها تستعمل بكثرة في كلام الناس ومتعارفة ما بينهم . .

وحيث ان القرآن لا يشبه كلام الناس ، لذا جيئت بالفاظ تنبيه وافتتاح لم تعهد من قبل لتكون ابلغ في قرع الاسماع واشد اشارة لاستماعها وتقبلها . .

٨ - وقيل ان الحروف التي جاءت في فواتح السور إنما هي رموز لحركة السورة الموسيقية والنغم الصوتي .

٩ - ويرى آخرون ان المراد بها - بعد حذف المكرر - هو مدة بقاء هذه الأمة أو آجال الآخرون . .

١٠ - وقيل انها تدل على انقطاع كلام واستئناف كلام آخر ، حيث ان العرب اذا استأنفوا كلاماً فمن شأنهم ان يأتوا بشيء غير الكلام الذي يريدون استئنافه فيجعلونه تنبيهاً للمخاطبين على قطع الأول واستئناف الكلام الجديد . .

= وأنى وان كنت الأخير زمانه لآت بما لم تستطعه الأوائل

فإن أجاب بالإيجاب فليقل له : إن الأوائل قد جعلوا الحروف العربية (٢٨) حرفاً فهل لك أن تزيد عليها بحرف واحد ، وإن سألك من أرسلك فقل له أخي الصغير . . وفعلاً جاءه الصبي وأخبر أبا العلاء بالشعر فأجاب بالإيجاب فطلب منه الزيادة فتعثر الشاعر وقال لن أتمكن ولكن أخبرني من بعثك ، فأجابه الصبي : أخي الصغير فرد الشاعر : بل استاذك الكبير . وبرواية أخرى ، فلما أنصرف الصبي ، سأل عنه أبو العلاء فقل له هو ابن فلان ، فقال : قريباً يموت ، فلم تمضي أيام حتى مات الصبي ، فقال أبو العلاء : ذكاه قتله . . وكان الصبي هنا قد ذهب من تلقاء نفسه من دون توصية أحد وفقاً للرواية الأخيرة . .

١١ - ويرى البعض أن كل واحد من هذه الحروف يدل على فعل من الأفعال فالألف معناه الف الله محمداً فبعثه نبياً واللام لأمة الجاحدين . . . الخ .

١٢ - وهناك من قال بأنه لو جمعت هذه الحروف كلها في مكان واحد وحذف ما تكرر منها لوجد أن الحروف المتبقية هي ١٤ حرف نوراني يجمعها قولك « صراط علي حق نمسكه » .

١٣ - ومن قال ان مجموع حروف هذه الفواتح بعد حذف المكرر يفيد العبارة « صح طريقك مع السنة » .

١٤ - وقيل أن القرآن مؤلف من حروف التهجي المعروفة والتي جاء بعضها مقطوعاً منفرداً وجاء تمامها مؤلفاً مجتمعاً ليتبين العرب ان القرآن نزل بالحروف التي يعرفونها فيكون ذلك نداءً لهم ودلالة على عجزهم ان يأتوا بمثله وانه من عند الله لا من البشر . .

١٥ - وقيل اخيراً - وليس آخرأ - انها تشمل على اشارات ومعاني لا يفهمها إلا الرسول الأعظم (ص) والغرض منها هو اعلام الناس بأن القرآن المعجز مركب من هذه الحروف والذي يتألف منها كلامهم فعجزهم رغم ذلك عن تحديه دليل على انه من عند الله تعالى . .

ونحن هنا وبعد استعراض كل ما امكن جمعه عن المعاني الخاصة بهذه الحروف لا نستطيع ان نضع اصبعنا على أي من هذه الفقرات لنقول انها هي المراد بها وان ما عداها ليس كذلك ، فقد تكون كلها صحيحة وقد يكون آخرها هو القول الفصل وقد يكون غير هذا وذاك . .

وكل الذي نستطيع ان نقوله بثبات هو ان نعود كرة اخرى الى مطلع هذا الفصل لنضم صوتنا الى اصوات الاكثرية الساحقة من الفقهاء والأدباء والتي تذهب - في تفسير هذه الحروف - الى ان الله سبحانه هو

الذي يعلم سر هذه الحروف ومغزاها الحقيقي لأنها من الآيات المتشابهة التي تحتل أكثر من تأويل وتفسير .

وفي ختام هذا الفصل نورد اتماماً للفائدة جدولاً توضيحياً للسور القرآنية المفتحة بالحروف المتقطعة ليسهل على القارئ الكريم معرفة كل سورة منها والحروف المبتدأة بها . .

جدول احصائي للسور القرآنية المبتدأة بالحروف المتقطعة

وعدها ٢٩ سورة

التسلسل	الحروف	اسماء السور التي وردت فيها	عدد السور
١ -	الم	البقرة ، آل عمران ، العنكبوت ، الروم ، لقمان ، السجدة .	٦
٢ -	المص	الأعراف	١
٣ -	الر	يونس ، هود ، يوسف إبراهيم ، الحجر	٥
٤ -	المر	الرعد	١
٥ -	كهيعص	مريم	١
٦ -	طه	طه	١
٧ -	طسم	الشعراء ، القصص	٢
٨ -	طس	النمل	١
٩ -	يس	يس	١
١٠ -	ص	صاد (ص)	١
١١ -	حم	غافر ، فصلت ، الزخرف ، الدخان ، الجاثية ، الأحقاف	
١٢ -	حمصق	الشورى ١	
١٣ -	ق	قاف (ق)	١
١٤ -	ن	القلم	١
المجموع			٢٩



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

خلق القرآن وقدمه

مرکز تحقیقات علوم قرآنی



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

قصة خلق القرآن وقدمه محزنة ومؤلمة ومشوبة بمزيد من الدموع والدماء ، فهي وان كانت لا تتعلق بأي اصل من اصول الدين أو فروعه إلا انها اقامت العالم الاسلامي واقعدته لفترة طويلة من الزمن وأحدثت بين ابنائه من الفرقة والخلاف ورغم اشتراكهم في الشهادتين والكتاب والقبلة والفرائض والامور الأخرى - احدثت من الفرقة ما بينهم ما يتعذر على الاستعمار واعداء المسلمين بإمكانياتهم المادية والعسكرية من احداث شطراً منه في بحر عشرات السنين . .

ان هذا الخلاف الذي استعز بين المسلمين حول هذا الموضوع لم يكن ليرتضيه الاسلام أو القرآن نفسه في شيء ، بل انه قد جاء من خلف ظهورهما وعبر النظرة الضيقة التي كان يحملها أولئك الذين اشعلوا هذه الحرب ووقدوا هذه الفتنة . .

ولو ادرك هؤلاء ملياً حقيقة المفاهيم الاسلامية وما تدعو اليه من تسامح وتساهل لما حدث الذي كان ولما تلتطخ التاريخ بالدماء والعنف ولعاش الجميع اخوة متحابين كالجسد الواحد واليد الواحدة . .

والحقيقة ان مأساة حكاية خلق القرآن وقدمه قد اصبحت في ذمة التاريخ وليس لها مكان الآن أو في المستقبل لا سيما بعد ان طغت الافكار والتيارات السياسية المختلفة على عقول غير قليل من المسلمين وغدت هذه الافكار هي المفرقة بينهم دون سواها غالباً . .

هذا وقد بلغت فتنة خلق القرآن وقدمه ذروتها القصوى في أواخر القرن الثاني للهجرة عندما تولى المأمون العباسي^(١) زمام الحكم وقيامه ببذل التسهيلات بوجه ترجمة الكتب اليونانية والفلسفية إلى اللغة العربية ووضعها في متناول أبناء الشعب ، إضافة لمباركة الخليفة للمناظرات والمناقشات التي تحدث بين الناس والتي تخص مواضيع الطبيعة وما وراءها ومسائل العدم والوجود وغيرها . .

ولو ان الأمر قد وقف عند حدود المطالعات والمباحثات البحتة في مسائل ما وراء الطبيعة أو في المواضيع الفلسفية لكان الأمر ولمرّ مروراً سريعاً من دون ان يحس به أحد . .

ولكن تدخل بعض الخلفاء والحكام السافر ودس انوفهم في خضم هذه المناقشات والانتصار لهذه الفكرة تارة ولتلك تارة اخرى مع استعمال العنف في اشاعة الفكرة التي ينتصر لها قد زاد في الطين بلة واخرج هذه المناظرات من مجرد بحث وجدل منطقي وفكري إلى حرب مستعرة الأوار تلتهم الأخضر واليابس من دون ان تترك شيئاً . .

مركز تحقيق التراث والعلوم الإسلامية

(١) ولد المأمون عام ١٧٠ هـ وقد تولى الخلافة بعد قتل أخيه الأمين عام ١٩٨ هـ ، حيث قال الأخير قبل ذلك وعند توليه الخلافة بعد وفاة الرشيد بخلع المأمون عن ولاية العهد وإسنادها إلى ابنه موسى ، مما أدى إلى نشوب الحرب بين الأخوين واستعانة المأمون بالقوات الفارسية لاجتياح بغداد عاصمة الخلافة وقتل أخيه الأمين . .

وكان المأمون من عظماء الخلفاء العباسيين حيث قرب الحكماء والشعراء وطلب ترجمة الكتب المختلفة إلى العربية ، وكان سمحاً يميل إلى الإقناع والمناقشة وإحتمال آراء المتناظرين وإن كانت هذه لا تتفق مع آرائه وميوله . .

اسند المأمون ولاية العهد إلى الإمام علي بن موسى الرضا - ع - إلا أن الإمام توفي في عهد المأمون مما اضطره إلى تولية أخيه محمد المعتصم محل الإمام الرضا ، أمه فارسية وكذلك زوجته . .

توفي في بلاد بيزنطية شمال طرسوس عام ٢١٨ هـ . .

وعن حقيقة خلق القرآن وقدمه نشير في البداية إلى ان المسلمين جميعاً قد اتفقوا من دون خلاف يذكر على ان الله تعالى يتصف بالكلام وانه متكلم ، وان القرآن الكريم هو كلام الله سبحانه ولكنهم بعد هذا اختلفوا حول ماهية هذا الكلام وأساسه . .

فترى فئة من المسلمين ان القرآن الكريم هو قديم بدليل هو « ان الله تعالى متكلم بكلام نفسي ازلي قديم زائد عن ذاته وغير منفك عنها وان القرآن معنى قائم بذات الله وقديم بقدمه »^(٢) وانه احدى صفاته الذاتية . .

بينما ترى الفئة الثانية من المسلمين وتذهب إلى فكرة خلق القرآن وحدوثه بدليل تورده مفاده « ان الله تعالى متكلم بذاته بدون كلام زائد عنها وانه يخلق الحروف والاصوات في الأغراض فتقرأ وتسمع ، وان القرآن باعتبار انه متصف بما هو صفات المخلوق وسمات الحدوث من تأليف وتنظيم وانزال وكتابة وسماع وحفظ وناسخ ومنسوخ هو مخلوق »^(٣) ولا يصح ان يكون قديماً وازلياً ، اضافة إلى ذلك فإن القرآن « مؤلف من الحروف والكلمات ولا بد ان يكون لها ولتأليفها بداية ونهاية ولا بد من ان يكون له علة في ايجاده ووجوده لأنه ليس بواجب الوجود فان واجب الوجود واحد هو الله تعالى وليست علة وجود الموحى منه إلا خلق الله خالق كل شيء ، فقد قال سبحانه - انا جعلناه قرآناً عربياً - والجعل هو المخلق وكل مجعول ومخلوق له بداية »^(٤) .

وهذا الذي قيل في خلق القرآن وقدمه لو اردنا ان نترجمه ونقلبه إلى اسلوب سهل وبسيط ليتمكن فهمه من قبل القراء الكرام لاصبح كما يلي :

تذهب الفئة الأولى من المسلمين إلى ان الله تعالى قديم (وهذا

(٢) ، (٣) القرآن المجيد - محمد عزة دروزة .

(٤) آلاء الرحمن في تفسير القرآن - محمد جواد البلاغي .

امر مسلّم به عند الفئة الثانية أيضاً) ولهذا يجب أو يلزم ان يكون كلامه النفسي المقبل به ابدأ ولا يمكن سلبه عنه مثله قديماً . .

بينما ذهبت الفئة الثانية إلى ان كلام الله تعالى مخلوق كخلقه تعالى لبقية الأشياء والحاجات متى اراد وحين يشاء لأنه كلام لفظي والتكلم من الصفات الفعلية . .

وفي الحق اذا كان لي ان ادلو بدلوي في هذا الموضوع فإني ارى - بعد المرور على حجج الطرفين واستعراض آرائهم - ان دلائل وتعليلات الفئة الثانية بصدد خلق القرآن تتفق مع المنطق والعقل وتتلاءم مع العلم وتطور الفكر الحديث . .

لذا فإنها أقوى حجة واثباتاً - لديّ - من الأولى مما لا مجال للتفصيل أو للايضاح باكثر من هذا وسواء أضّم القارئ الكريم صوته إلى صوت الفئة الثانية في تأييد خلق القرآن أو انتصر لمن قال بقدمه ، فليس لصوته أو صوت غيره كبير أهمية أو عظيم اثر بعد ان اصبحت القضية برمتها في ذمة التاريخ ويات امرها نسبياً منسياً .

كما ولم يكن ليخطر على بالي قط ان أشير إلى هذا الموضوع في هذه الدراسة لولا الرغبة والحرص مني على تسجيل لون من ألوان التفكير الاسلامي اشغل صفحات طويلة وعريضة من التاريخ في العصر العباسي الأول وادنى إلى تعذيب وسجن وازهاق ارواح كثيرة من الناس كان المفروض فيهم ان يتموا حياتهم بسلام وان يسهموا في انعاش الحركة الفكرية والثقافية في العالم . .

الاسراء والمعراج



مركز تحقيقات علوم القرآن



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

في القرآن الكريم وعلى وجه التحديد في سورتي الاسراء والنجم اشارات واضحة وظاهرة إلى إسرائ ومعراج الرسول (ص) ، رغبتنا ونحن على الأبواب الأخيرة للكتاب ان نلقي بعض الضوء عليها لنرى مدى مطابقتها وارتباطهما بروح هذا العصر ، عصر الذرة والأقمار الصناعية كما يسمونه . .

والمقصود من الاسراء هنا هو سير وسفر الرسول (ص) ليلاً من مكة المكرمة شطر المسجد الأقصى في مدينة القدس حاضرة فلسطين^(١) . والمسجد الأقصى - كما هو معروف - كان القبلة الأولى للمسلمين قبل ان يغيرها الله ويجعل اتجاه الصلاة شطر المسجد الحرام بمكة المكرمة بعد الهجرة المباركة . .

(١) نشير هنا إلى أنه ليس لليهود ولا لغيرهم من القوميات والأديان ممن حكم فلسطين أي حق بها بضاهي حق العرب والمسلمين أو يضارعه بها للأسباب التالية :

١ - إن اليهود لم يحكموا فلسطين بأكملها إلا لمدة جد قصيرة وفي جزء من حكم النبي داود وولده سليمان - ع - والبالغة ٧٣ سنة من عام (١٠٠٠ - ٩٢٧) ق . م .

٢ - إن اليهود لم يحكموا إلا مناطق صغيرة من فلسطين وفي مدة قصيرة ومتفرقة قبل حكم النبي داود وخلال حكمه وبعد حكم النبي سليمان وفي مدة ٣٤١ سنة . .

٣ - إن الحكم اليهودي لأرض فلسطين قد زال منذ سنة ١٣٥ م زوالاً تاماً

اما المراد من المعراج فهو صعود وارتقاء الرسول (ص) من المكان الأخير - قبة الصخرة في القدس - تلقاء السماوات العليا . .

اما موعد ووقت الاسراء والمعراج فقد اختلف الرواة والمؤرخون بشأنهما ، إلا أن القولين المرجحين عنهما هو انهما قد تما في مكة المكرمة بالتأكيد وقبل الهجرة ، وفي السنة الثانية عشر أو العاشرة من بعثة سيد المرسلين (ص) . .

وكانت واقعة الاسراء والمعراج محك لايمان بعض المسلمين ، كما وكانت - في نفس الوقت - تحدي صارخ ومجابهة مكشوفة مع القرشيين ممن كان يعبد الاصنام والأوثان ولم ير نور الاسلام وهدايته بعد . .

فالقليل من المسلمين ممن لم يتجاوز الاسلام ما وراء الستهم وممن كانوا يعبدون الله على حرف قد ارتدوا إلى ظلمات ضلالتهم السابقة حين سمعوا بقصة اسراء الرسول (ص) ومعراجه ، حيث ظن هؤلاء القلة من المرتدين ان كل شيء يرى بالعين المجردة أو يمسك باليد يحكم بصحته ووجوده ، وان ما دون ذلك لا يعدوا عن ان يكون خيالا وأوهاما أو حديث خرافة . . ولم يصل إلى فكرهم بعد ان هناك اشياء وامور لا تعد ولا تحصى لا يمكن ان ترى بالعين المجردة رغم انها موجودة وثابتة امامنا وجود الانسان نفسه وثبات القلاع والرواسي . .

وحتى تقسيم فلسطين في عام ١٩٤٨ (وهي مدة تمتد لمدة ١٨١٣ سنة) . .
٤ - إن العرب والمسلمين حكموا فلسطين لمدة طويلة تزيد على ١٢٤٠ سنة عدا - فترة حكم الصليبيين - عند غزوهم لها والتي تبلغ ١٩٢ سنة . .
ولم يحدثنا التاريخ أن أمة من الأمم استوطنت هذه البلاد وحكمتها بمثل المدة التي استوطن بها العرب والمسلمون وحكموها ولا بما يقاربها ، وإن حكم العرب والمسلمين لفلسطين لم يأتي نتيجة لغزوها أو الاستيلاء عليها لنهب خيراتها ، وإنما بقصد نشر رسالة السماء العادلة وتحرير سكانها من جور الحكام والظالمين والتشريعات التعسفية السائدة في تلك البلاد . .

اما بقدر تعلق الأمر بالفئة الضالة الأخرى وهم القرشيون الذين لا زالوا على دين آبائهم واجدادهم فقد اتخذ هؤلاء من واقعة الاسراء والمعراج نقطة ضعف ووثوب لشن المزيد من التضليل والافتراء بوجه الدعوة الاسلامية مشيرين إلى ان قوافلهم وسائر ابناء البشر يحتاجون إلى شهر كامل ليصلوا إلى مشارف الشام أو شهراً للعودة إلى اماكن انطلاقهم من هناك ، فكيف - يا ترى - تمكن محمد بن عبد الله (ص) من الوصول إلى تلك الديار والارتقاء إلى السماء والعودة إلى عقر داره في بحر ليلة واحدة أو دونها . . فهذا الشيء - بزعمهم - هو منتهى الضلال والكذب . .

ولكل هؤلاء جاءهم الرسول (ص) بآيات وبيانات قاطعة تشير إلى صدق ويقين اسرائه ومعرجه ، منها انه قد شاهد في طريقه - فيما شاهد - وفي اماكن ومواقع معينة حدها لهم بدقة ، شاهد قوافل متعددة تعود ملكيتها لهم واشعرهم أيضاً بعدد جمال كل قافلة واتجاه سيرها . . ولكنهم - بعد وقوفهم على حقيقة هذه المشاهدات عند وصول القوافل اليهم - والتي كان المفروض ان تكون هذه سبباً لانضمامهم تحت لواء الدين الجديد وحمل مشعله ورسالته ، لم يزدادوا إلا تصلباً في عنادهم وانغماساً في غيهم مبررين كل الذي سمعوه من الرسول (ص) بأنه السحر المبين بعينه والباطل الذي لا حق وراءه . .

وليس هذا القول من هؤلاء الضالين بغريب أو عجيب علينا اذا ما علمنا بان هذا السلوك هو نفس سلوك اعداء الحقيقة وخصوم العقيدة في كل زمان ومكان . .

اما عن كيفية اسراء الرسول (ص) وهل كان ذلك بالجسم والروح وبما عليه من ملابس ام انه كان بالروح فقط وهو ما يشبه الرؤيا التي تمر على الانسان حين النوم . . لقد ذهب القسم الأكبر من علماء وفقهاء المسلمين إلى ان الاسراء كان بجسد الرسول وروحه وملابسه بل

وبخفه وعمامته وذلك بدليل ثابت وقاطع وهو انه لا شيء يحول دون اسائه (ص) بهذه الكيفية طالما ان رغبة الله وارادته أثرت له ذلك . .

وان هذه الرغبة والارادة الإلهية حين ارادت سابقاً ان تكون الملكة بلقيس مع عرشها والذي كان يربض على مرتفعات اليمن السعيدة وعلى بعد عدة آلاف من الكيلومترات ، ان يكون كلاهما بين يدي النبي سليمان - ع - في حاضرة ملكه القدس لم يقف أي شيء حائلاً دون وصولهما في طرفه عين . .

أضف إلى ذلك ان الاسراء لو كان بالروح - وهو كالرؤيا في المنام - كما يذهب اليه بعض علماء المسلمين لما قامت قيامة قريش ضد النبي أو لما ارتد من المسلمين من ارتد حين سماع الواقعة ، لأن الرؤيا في المنام ليست بحدث خارق أو معجزة كبيرة يحسب له حساب ، بل هي (الرؤيا) تمر على كل الناس عند المنام . .

لذا فان « استنكار ومعارضة كل هؤلاء لواقعة الاسراء انما جاء لأنهم علموا وسمعوا بانها تمت بجسد الرسول (ص) وروحه وملا بيه وعلى خلاف ما تقضي به السنن الطبيعية المتعارفة »^(٢).

ان هذا الرأي عن كيفية الاسراء هو الذي يذهب اليه الغالبية من علماء المسلمين وهو ما نعتقده أنه الصحيح ، وسوف لن نمر على رأي من يقول خلاف ذلك ، لأن ادلتهم لا تقف امام حجج الأكثرية . .

اما بيت القصيد في بحث الاسراء والمعراج^(٣) فهو ان الاسراء - في الحقيقة - كان على خلاف السنن والقوانين الطبيعية إلا انه اريد به ان

(٢) الإسلام ظهوره وإنتشاره في العالم - حامد عبد القادر .

(٣) لقد ذكر الاسراء قبل المعراج ليكون دليلاً على صحة قوله (ص) بصعوده إلى السماء والتقاؤه مع الأنبياء السابقين ورؤيته لنعيم الجنة ونيران الجحيم وذلك تدرجاً في وقع الخبر على نفوس الناس وهو ما يعرف بـ « التدرج في المعجزة » . .

يكون معجزة اخرى للرسول (ص) تدعم معجزته الأولى وهو القرآن الكريم .

والمعجزة بطبيعتها تسير على خلاف القوانين والسنن الطبيعية كما هو معروف طبعاً وإلا لم تكن معجزة ولم تكن تحدياً ، بل ستكون حادثاً بسيطاً أو واقعة عابرة في مقدور كل فرد الاتيان بمثلها أو خيراً منها . .

واننا حين نؤمن بالغيب ومقدرته على الاتيان بالخوارق والمستحيلات لاثبات دعوة خاصة أو حادث خطير ، لا نملك إلا الإيمان - إيمان العجائز - وبعناد بآية الإسراء وهي قوله تعالى : ﴿ سبحان الذي اسرى عبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا أنه هو السميع البصير ﴾ (٤) . وبآيات المعراج وهي قوله تعالى : ﴿ . . . وهو بالأفق الأعلى ، ثم دنا فتدلى ، فكان قاب قوسين أو أدنى فاوحى إلى عبده ما أوحى ما كذب الفؤاد ما رأى ولقد رأى من آيات ربه الكبرى ﴾ (٥) . إيماناً يستوعب كل نتيجة تترتب عليها ويسع كل ما فيها من معالي ومن دون أن يداخل هذا الإيمان القويم والراسخ قليل شك أو ريب (٦) .

(٥) النجم : ١٨ .

(٤) الاسراء : ١ .

(٦) نشير بهذه المناسبة إلى أن دانتى في الكوميديا الالهية قد تأثر بالإسلام وبمعراج الرسول (ص) على الخصوص تأثراً هائلاً واسع المدى يتغلغل حتى في تفاصيل تصويره للجهنم . .

فمن يقرأ الكوميديا الالهية يرى بام عينيه بان ثمة مشابهات وثيقة وتامة بين ما جاء في بعض الكتب الإسلامية عن معراج النبي (ص) وما في « رسالة الغفران » لأبي العلاء المعري وبعض كتابات محي الدين محمد بن علي بن محمد بن العربي الاندلسي المولود عام ٥٦٠ هـ والمتوفى في عام ٦٣٨ هـ في دمشق والمدفون فيها من ناحية وبين ما في الكوميديا الالهية . .

وهذه المشابهات الدقيقة والكاملة لم تكن أمراً عارضاً أو تولد خواطر بل هي تأثر مباشر بالتصورات الإسلامية للأخرة بما فيها تفاصيل ووقائع المعراج الذي قام به الرسول (ص) . .



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

الحروف السبعة



مركز تحقيقات الكمبيوتر علوم إيس دي



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

جاء في الروايات المختلفة بأن القرآن الكريم قد نزل على سبعة حروف ، ومن يروى عنه هذا الخبر يسند الأدلة والبراهين إلى وقائع تخص وجود الحروف السبعة في القرآن جرت في عهد الرسول (ص) فأيدها بنفسه ولم يعارضها أو ينفيها . .

كما ويسند هؤلاء إلى الرسول (ص) أيضاً احاديث واقوال توحى بوجود هذه الحروف في القرآن منها قوله (ص) لقد « نزل القرآن عليّ على سبعة احرف فمن قرأ على حرف منها فلا يتحول إلى غيره رغبة عنه » . .

وقوله (ص) أيضاً : « ان هذا القرآن نزل على سبعة احرف فاقرؤوا ما تيسر منه » .

وقوله (ص) كذلك : « انزل القرآن على سبعة احرف كل كاف شاف ما لم تختتم آية عذاب بآية رحمة ، أو آية رحمة بآية عذاب » . . وكذلك أيضاً ما ورد في الخبر « ان الله يأمرك ان تقرأ امتك القرآن على سبعة أحرف فأبما حرف قرؤوا فقد اصابوا » . .

وقبل ان ننتقل إلى ما يقوله الآخرون في الرد على من يقول بوجود الحروف السبعة في القرآن نحب ان نوضح ما هو المقصود من احرف القرآن السبعة عند من يقول بوجودها . .

لقد اختلف الرواة والمؤرخين في تعليل هذه الحروف ومعناها
« بسبب ان الرسول (ص) لم يفسر المقصود منها وكذلك لم يفعل احد
من الصحابة لأن امرها كان واضحاً إلى حد لا يحتاج إلى تفسير ، وقد
جاء التابعون من بعدهم وارادوا تفسيرها فذهبوا فيها مذاهب
شتى »^(١) حيث وصلت إلى اربعين قولاً^(٢) فيها من التناقض العجيب
العجاب ، وها نحن أولاء نشير إلى أهم المعاني للحروف هذه :

١ - قيل انه يراد منها سبعة أوجه من المعاني المتقاربة باللفاظ
متقاربة مثل عجل واسرع واسع ، ومثل اقبل وتعالى وهلم ..

٢ - ويرجع البعض معنى الأحرف السبعة ما يشتمل اختلاف اللهجات
وتباين مستويات الاداء الناشئة عن اختلاف الألسن وتفاوت التعليم
وكذلك ما يشمل اختلاف بعض الالفاظ وترتيب الجمل بما لا يتغير به
المعنى المراد^(٣) ..

٣ - وقيل ان الأحرف السبعة هي القراءات السبع والتي كانت موجودة
وباقية في القرآن إلى عهد عثمان فحصرها الأخير في حرف واحد واحرق
بقيتها اي (الحرف الستة) أما « الحرف الذي ابقاه فهو حرف قریش
والذي اختلفت لهجات القراء فيه فمد بعضها وقصر البعض وفخم فريق
ورق فريق ونقل طائفة واثبت أخرى »^(٤) أو وزع قسم من الأحرف
السبعة على المصاحف أي وضع في كل مصحف من المصاحف التي
استنسخها قراءة خاصة على الترتيب الذي اشرنا اليه من قبل في فصل
الجمع الثاني والثالث للقرآن ..

(١) التعبير الفني في القرآن - الدكتور بكري شيخ أمين .

(٢) الإثنان في علوم القرآن - جلال الدين السيوطي ، فضائل القرآن - إسماعيل بن
كثير القرشي .

(٣) تاريخ القرآن - الدكتور عبد الصبور شاهين .

(٤) القرآن - محمد صبيح .

٤ - وذهب البعض إلى أن معناها هي الأبواب السبعة التي نزل منها القرآن وهي الأمر والزجر والحلال والحرام والمحكم والمتشابه والأمثال . .

٥ - وقيل ان المراد منها هي الأساليب والأغراض السبعة الموجودة في القرآن وهي الأمر والزجر والترغيب والترهيب والجدل والقصص والمثل . .

٦ - وقيل كذلك انها تشير إلى اللغات الفصيحة من لغات العرب والمتوزعة في القرآن ، فالبعض بلغة قريش والبعض بلغات هذيل وهوازن واليمن وكنانة وتميم وثقيف . .

٧ - وقيل ان الحروف السبعة معناها لغات سبعة غير عربية جاءت في القرآن لكنها اتفقت في لفظها ومعناها في العربية واللغة الاعجمية كالفارسية والهندية والعبرية والرومية واليونانية والحبشية والقبطية . .

٨ - وقيل هي لغة الكعبين وهما كعب بن عمرو وكعب بن لؤي ولهما سبعة لغات . .

٩ - وقيل أيضاً أن الأحرف تشير إلى أن القرآن له معنى ظاهر وسبعة معاني باطنة . .

١٠ - وقيل ان الأحرف السبعة هي وجوه الاختلاف في القراءات . .

١١ - وقيل انها الناسخ والمنسوخ والمحكم والمتشابه والمجمل والمفصل والتأويل . .

١٢ - وقيل ان المقصود بالأحرف السبعة مجرد التوسعة أما العدد فغير مقصود . .

١٣ - وقيل ان المقصود هو طريق التلاوة وكيفية النطق بها من اظهار وإدغام وتفخيم وترقيق وإمالة وإشباع ومد وقصر وتخفيف وتليين .

١٤ - وقيل أخيراً - وليس آخراً - هي سبع لهجات أو لغات من لغات مضر التي كانت فصيحة كل الفصاحة ولغاتها سليمة كل السلامة من الدخل والشواثب وكانت لغة مضر تنتظم سبع لغات لقبائل سبع هي هذيل وكنانة وقيس وضبة وتميم والأزد وقريش . .

هذا وإن الرأي الأخير (الرابع عشر) هو الذي يحضن بغالبية الأصوات عند من يقول أو يذهب إلى وجود الأحرف السبعة في القرآن الكريم . .

علماً أنه بسبب وجود هذه الحروف في المصاحف إضافة إلى عدم وجود النقط والحركات في القرآن في صدر الإسلام هي التي سببت الخلافات والمنازعات بين فئات المسلمين في المدينة المنورة أو في الأمصار الإسلامية حيث تمسكت كل فئة بصحة قرائتها على حساب القراءات الأخرى ، والتي تطورت (الخلافات) إلى عراك مسلح ما بينهم مما دفع الخليفة عثمان بن عفان إلى حصر الحروف السبعة في حرف واحد فقط في المصاحف التي استنسخها ومن ثم توزيع هذه المصاحف على الأمصار الإسلامية واحراق ما عداها على التفصيل الذي سبق بيانه في مكانه .

كان كل هذا هو ما يقوله البعض من علماء وفقهاء المسلمين بصدد وجود الحروف السبعة في القرآن ومعانيها .

أما البعض الآخر من هؤلاء فتذهب إلى خلاف هذا القول عن حقيقة هذه الحروف وأساسها في القرآن الكريم حيث تذهب استبعاد وجود هذه الحروف في القرآن « لأن القرآن لم ينزل على سبعة حروف وإنما نزل بحرف واحد على نبي واحد ، وأنه يجوز القراءة بما يتداوله القراء بينهم من القراءات وإن الإنسان مخير بأي قراءة منها شاء قرأ ويكره

تجريد قراءة بعينها»^(٥) رغم ان البعض منهم قد قيدها بكون القراءة هذه يلزم ان تكون متعارفة في زمان أهل البيت - ع -^(٦) .

اما ادلة هذه الفئة وحججها التي تقدمها في نفي وجود الحروف السبعة فكثيرة منها عدم التواتر في نزول القراءات السبع ووجود التناقض الكبير في معنى وحقيقة هذه الحروف السبعة . .

فمن تناقض احد تلك الروايات - كما تقول هذه الفئة على سبيل المثال - هو ان الوحي (جبرائيل) كان قد أقرأ الرسول (ص) على حرف واحد فاستزاده النبي فزاده حتى انتهى إلى سبعة حروف وهذه الرواية تدل على ان الزيادة كانت على التدرج ، بينما تشير بعض الروايات إلى ان هذه الزيادة كانت في المرة الثالثة حيث ان الله تعالى أمر الرسول (ص) في المرة الثالثة ان يقرأ القرآن على ثلاثة احرف بينما الأمر بقراءة السبع كان في المرة الرابعة وهكذا في بقية الروايات . .

فهذا التناقض - لديهم - يدعو إلى ترك هذه الحروف والتسليم بضعف موردها وبالتالي رفض روايتها عن الرسول (ص) . .

اما الدليل الآخر - لديها - فهو الاختلاف الكبير والواضح في معنى وحقيقة هذه الحروف السبعة وما تقصده وتهدف اليه على وجه الدقة والتحديد وتفرق العلماء والفقهاء ما بينهم في معانيها الحقيقية على النحو الذي اشرنا اليه من قبل . .

ومن عبر اقوال وحجج كلا الفئتين نخلص إلى القول بان وجود الحروف السبعة في القرآن شيء ثابت ومسلم به لديها ، إلا ان قسماً

(٥) الكافي - محمد بن يعقوب الكليني ، آلاء الرحمن في تفسير القرآن - محمد جواد البلاغي ، البيان في تفسير القرآن - السيد أبو القاسم الخوئي ، تفسير التبيان - أبو جعفر الطوسي ، مجمع البيان في تفسير القرآن - أبو علي الفضل الطبرسي ، موجز علوم القرآن - داود العطار . .

(٦) البيان في تفسير القرآن - السيد أبو القاسم الخوئي .

منهم يذهب إلى أنها في أصل التنزيل بينما ينحو القسم الثاني إلى أن هذه الحروف لم تكن في أصل التنزيل وإنما استحدثت ووجدت بعد ذلك وعلى يد الرواة والمؤرخين . .

إن الغالبية العظمى من المسلمين ترى وتذهب - وربما كان رأي موافقاً لها - إلى تأييد ودعم موقف من يقول بوجود هذه الحروف في القرآن سواء أكانت سبعة حروف أم كانت أقل من ذلك ، وإنها وجدت في أصل التنزيل ولم تكن عارضة على القرآن أو من صنع أيدي الرواة والمؤرخين « حيث أن كل قراءة وافقت العربية ولو بوجه ووافقت أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالاً وصح سندها فهي القراءة الصحيحة التي لا تجوز ردها ولا يحل انكارها بل هي من الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن » (٧) .

أما حجج هؤلاء في إثبات موقفهم من وجود الحروف في القرآن فهي كثيرة وعديدة . .

منها أن هذه الحروف هي من وجوه الإعجاب بالقرآن وإعجازه وذلك لأن القرآن لم يأت لغة دون أخرى أو لقوم دون آخر ، بل جاء لكل قوم ولكل شعب فحري به (القرآن) والحالة هذه أن يسع كل الفئات والشعوب وأن يستوعب لغاتها ولهجاتها . .

لذا نرى أن القرآن الكريم يجمع لغات العرب فضلاً عن بعض الكلمات الغريبة التي ترجع في أصلها إلى لغات مختلفة كاللغة الفارسية والعبرية والبربرية والسريانية والهندية والحبشية والنبطية والتي تبلغ تعدادها أكثر من مائة لفظ وهي « كلمات أخرجتها العرب على أوزان لغتها وأجرتها على فصيحها فصارت بذلك عربية » (٨) . .

(٧) النشر في القراءات العشر - الحافظ بن محمد بن محمد الدمشقي الشهير بابن الجزري .

(٨) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية - مصطفى صادق الرافعي .

فمن هذه الكلمات - ولا زال الحديث لهذه الفئة - التي يجمعها القرآن - على سبيل المثال - نشير إلى كلمات السجل والاستبرق والدينار والتنور والكافور والياقوت والسرادق المأخوذات من الفارسية والقسطاس والرقيم من الرومية ، والسندس من الهندية وهدنا وطه ومرقوم من العبرانية والسري من اليونانية والمشكاة والقسورة والطاغوت من الحبشية واليم وبطائنها من القبطية . .

وكل هذه الكلمات المختلفة تزيد في روعة القرآن وتبعث الاعجاب والايمان به « حيث ان بلاغتها في نفسها وانه لا يوجد غيرها يعني عنها في مواقعها من نظم الآيات لا افراداً ولا تركيباً » (٩) . .

ومن حجاج هؤلاء أيضاً هو ما ورد في الروايات والاختبار المختلفة من جواز قراءة القرآن في الصلاة وغيرها بأي حرف مقرر ومعتبر من حروفه . .

ففي سورة الفاتحة يجوز قراءة هذه الآية « مالك يوم الدين » قرائتها « ملك يوم الدين » وكذلك قراءة « بسم الله مجراها ومرساها » قرائتها « بسم الله مجريها ومرسيها » وقراءة « ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاکرام » قرائتها « ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاکرام » . .

ومنها أيضاً - حجاج هذه الفئة - انه في حالة تعدد القراءات في القرآن الكريم فكانه سبحانه يشير إلى عدة كتب منزلة لا كتاب واحد ، وخصوصاً اذا كان في كثير من هذه القراءات ان لم يكن في اكثرها ثروة جديدة في التشريع أو الحكمة أو نحو ذلك ، وهذه ناحية من نواحي الاعجاز الذي اختفى به القرآن الكريم . .

ومنها كذلك ان وجود الحروف السبعة هو لأجل التخفيف عن هذه

(٩) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية - مصطفى صادق الرافعي .

الأمة وإرادة اليسر بها والتهوين عليها بأن يقرىء كل أمة بلغتها وما جرت به عاداتها . .

أما أئمة القراءات ممن حازوا تأييد العلماء والقراء من مختلف الأمصار واشتهروا بالثقة والأمانة وطول الوقت في ملازمة القراءة وتجردوا لها واعتنوا بضبطها وتنقيتها أتم عناية للحاجة الماسة لذلك (بعدما أخذ يتسلل إلى الناس من اضطراب السلايق ومظاهر العجمة وبوادر اللحن واختلاف القراء في كيفية القراءة بسبب تنوع اجتهاداتهم أو اختلاف الروايات والأخبار التي يعتمدون عليها) وجعلوها علماً خاصاً كما فعلوا مثل ذلك بالحديث وعلم التفسير فهم عشرة نورد أسمائهم في أدناه بالتسلسل :

- ١ - أبو عمرو زياد بن العلاء المازني البصري (شيخ الرواة) المتوفى في الكوفة عام ١٥٤ هـ . .
- ٢ - عبد الله بن كثير المكي الداري المتوفى بمكة عام ١٢٠ هـ . .
- ٣ - نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم الأصفهاني المدني المتوفى في المدينة عام ١٦٩ هـ . .
- ٤ - عبد الله بن عامر اليحصبي الدمشقي المتوفى بدمشق يوم عاشوراء عام ١١٨ هـ . .
- ٥ - أبو بكر عاصم به بهدلة الأسدي الكوفي المتوفى في الكوفة عام ١٢٨ هـ . .
- ٦ - أبو عمارة حمزة بن حبيب بن عمارة الزيات العجلي الكوفي المتوفى بحلولان عام ١٥٦ هـ . .
- ٧ - أبو الحسن علي بن حمزة بن عبد الله بن بهمن بن فيروز الكسائي الفارسي (إمام النحاة) المتوفى في الري عام ١٨٩ هـ . . ودفن والقاضي أبو يوسف في يوم واحد . .

٨ - أبو جعفر يزيد بن القعقاع المخزومي المدني المتوفى عام ١٣٢ هـ . . وقيل ١٢٨ هـ . .

٩ - أبو محمد يعقوب بن اسحق بن زيد الحضرمي المتوفى بالبصرة عام ١٨٥ وقيل ٢٠٥ هـ . .

١٠ - أبو محمد خلف بن هشام بن طالب البزاز المتوفى عام ٢٢٩ هـ .

وأما ما عدا قراءة هؤلاء فهو شاذ وآحاد^(١٠) كقراءة ابن محيص المكي ويحيى بن المبارك البصري اليزيدي وابن جبير والحسن البصري^(١١) والأعمش ومحمد بن أحمد البغدادي والشنبوذي وغيرهم^(١٢) . .

علماً بأن « أول من صنف في القراءة ودوّن علمها هو أبان بن

(١٠) لئن كانت القراءات العشر أعلاه متفق عليها إجماعاً ولكل منها سند في الرواية إلا أنها لا تخلو من الشواذ وإن قل بالنسبة للقراءات الأخرى . .

(١١) الحسن البصري هو أبو سعيد الحسن بن أبي الحسن يسار البصري وأبو مولى زيد بن ثابت ، وأمه خيرة مولاة أم سلمة زوج الرسول (ص) وقد نشأ في بيتها ولقي جماعة من الصحابة وسمع منهم ، ولد عام ٢٢ أو ٢١ للهجرة ، وتدل ثقافته في مسائل التفسير والحديث أنه كان عميق الصلة بتراث عصر الصحابة ، حيث أكسبه ذلك فصاحة اللسان وصدق العاطفة فأجتمع الناس إلى حلقاته في مسجد البصرة ، ولقد روى عن علي وابن عمر وأنس وكان ورعاً وبارعاً في الوعظ وعالم بكتاب الله وسنة رسوله (ص) وأحكام الحلال من الحرام . لذا سمي شيخ أهل البصرة ، عاش الحسن البصري حياة زهد وتقشف ارتبط مع الزهد والتقشف الذي كان عليه المسلمون في صدر الإسلام . لذا كان أحد رواد الحركة الكلامية والنزعة الصوفية والتي إنطلقت من البصرة لتجذب إليها عدداً كبيراً من الاتباع في كافة أنحاء العالم الإسلامي . .

مات الحسن البصري عام ١١٠ هـ وكان دفنه في البصرة بعد صلاة الجمعة ولا تزال سيرته حميدة في عالم التصوف . .

(١٢) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية - مصطفى صادق الرافعي ، مباحث في علوم القرآن - مناع القطان .

تغلب (تلميذ الإمام علي بن الحسين - ع -)^(١٣) المتوفى سنة ١٤١ هـ^(١٣) كبعده جاء غالبية القراء العشرة المتقدم ذكرهم ..

هذا وأن لكل واحد من هؤلاء القراء رواة كثيرين من أهل التقوى والضبط والاتقان يروي بعضهم عن امامهم مباشرة وبغير واسطة وبعضهم يروي عن امامه بواسطة ..

ونشير ختاماً حسماً لموضوع الحروف في القرآن إلى أن كل قراءة «صح سندها إلى رسول الله (ص) ووافقت خط المصحف العثماني - ولو احتمالاً - ووافقت العربية بوجه من الوجوه المعتبرة أو عن غيرهم ، صحيحة وما لم تجتمع هذه الشروط الثلاثة فهي شاذة ومردودة لا يقرأ بها أياً كان الإمام الذي نقلت عنه »^(١٥) .

فاذا «اجتمعت فيه - القراءة - هذه الخلال الثلاث قرئ به وقطع على مغيبه وصحته لأنه أخذ عن إجماع من جهة موافقة خط المصحف وكفر من جحدته »^(١٦) ..

مركز تحقيق كتب التراث الإسلامي

(١٣) علي بن الحسين زين العابدين هو الإمام الرابع (لدى الإمامية) وعمه الحسن وجده علي - ع - وأمه سلمة بنت يزددجرد آخر ملوك الفرس حيث تزوج الحسين - ع - بها بعد أن جاءت رفقة سبي فارس في عهد الخليفة عمر بن الخطاب (رضي) كما وتزوج أختها عبد الله بن عمر وتزوج أختها الأخرى محمد بن أبي بكر الصديق فأولدت الأخيرة القاسم بن محمد والوسطى سالم ابن عبد الله ..

ولد زين العابدين عام ٣٨ من الهجرة بالمدينة ومناقبه وفضائله أكثر من أن تحصي حتى قال الزهري : ما رأيت أفضل منه ، وقال الشاعر فيه :

وأن وليداً بين كسرى وهاشم لأكرم من نيطت عليه التمام

توفي - ع - في عام ٩٤ هـ ودفن في البقيع مع عمه الحسن - ع - .

(١٤) تأسيس الشيعة لعلوم الإسلام - السيد محمد حسن الصدر .

(١٥) التعبير الفني في القرآن - الدكتور بكرى شيخ أمين .

(١٦) الابانة في القراءات - مكى بن أبى طالب .

أسباب النزول (١)

مركز تحقيقات علوم الكمبيوتر الإسلامي



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

كنا قد أشرنا في فصل « القرآن في طريقه إلى الأرض » إلى أن غير قليل من السور والآيات القرآنية ترتبط ارتباطاً وثيقاً وعميقاً بالأحداث والحوادث التي وقعت غداة نزولها . .

وهذه الحوادث والأحداث التي دعت إلى نزول هذه السور والآيات متحدثة عنها أو مبنية لحكمها هي التي تسمى بـ « أسباب النزول » . .

إن الوقوف على هذه الأسباب ومعرفة ما يساعدها كثيراً على معرفة السورة أو الآية وما تضم من المعاني والأسرار والأخبار إضافة إلى تفسيرها التفسير الصحيح واستخراج الأحكام الشرعية - حيث لا يمكن معرفة تفسير الآية دون الوقوف على قصتها وبيان نزولها - فهي تشبه إلى حد كبير المذكرات التفسيرية التي تصاحب التشريعات الحديثة . .

ونشير هنا إلى أن هنالك نوعين من الآيات فيما يخص معرفة أسباب نزولها هما : (٢)

١ - نوع يتحتم معرفة أسباب النزول كآيات الأحكام بسبب أن معرفة هذه الأسباب سيساعد الباحث بالوقوف على التشريع . .

٢ - نوع لا يتحتم فيه معرفة أسباب النزول كآيات غالبية القصص

(١) لم يكن هذا الفصل ولا الذي يليه ضمن الطبعة الأولى للكتاب وقد أضيف إلى هذه الطبعة للفائدة . .

(٢) علوم القرآن - أحمد عادل كمال .

لكونها جاءت للعبارة والعظمة ، وآيات العبادة والوعد والوعيد والموعظة أو وصف الجنة أو النار أو القيامة لأنها من نوع الوصف والأخبار . .

لقد اهتم كثير من الصحابة والتابعين بحوادث واحداث واسباب النزول فنقلوا احاديث عديدة عنها وهي كثيرة لدى فئة من المسلمين وقليلة لدى اخرى ، كما ويوثقها قسم من المسلمين حتى انهم حرّموا الاقدام على تفسير القرآن لمن جهلها حيث قال ابو الحسن علي بن احمد الواحدي « لا يمكن معرفة تفسير الآية دون الوقوف على قصتها وبيان نزولها » .

وقال ابن تيمية^(٣) : « معرفة النزول تعين على فهم الآية فان العلم بالسبب يورث العلم بالمسبب » بينما يضعفها - احاديث النزول - البعض الآخر منهم لأنها - برأيهم - ليست مستندة وصحيحة بل فيها المرسل والضعيف أيضاً ، اضافة الى ان « الراوي لا ينقل السبب بطريق المشافهة والتحمل والحفظ بل ينقل قصة أو واقعة ما ثم يحمل الآيات عليها حملاً ويربطها ربطاً »^(٤) .

ويرى هؤلاء : « ان سبب النزول حول آية أو سورة ان لم يكن متواتراً أو قطعي فيجب عرضه في القرآن فما وافقه يؤخذ به »^(٥) . .

وهذا القول يوحى بان الحديث هو الذي يعرض دائماً على القرآن وليس العكس . .

(٣) ولد أحمد تقي الدين أبو العباس ابن تيمية في مدينة حران عام ٦٦١ هـ وقد هاجر مع أسرته إلى دمشق ، وفي دمشق حفظ القرآن والحديث واللغة ، تولى بعد ذلك التدريس في الجامع الكبير بدمشق ، وقد خالف الاشاعرة والصوفية وبقية الطوائف لاعتماده على الكتاب والسنة وسيرة السلف الصالح ولمحاربته البدع والضلالات مما أدى إلى سجنه مراراً ، توفي في ٢٠ شوال عام ٧٢٨ هـ في السجن بدمشق الشام . .

(٤) ، (٥) القرآن في الإسلام - محمد حسين الطباطبائي .

ويمكن بعد هذا جمع القولين السالفين - بصدد احاديث النزول - واستخراج القول الصحيح والمقبول من بينهما ومفاده : « اذا روي سبب النزول بحديث مرسل سقط سنده الصحابي وانتهى إلى التابعي فحكمه انه لا يقبل إلا اذا صح بمرسل »^(٦) أو بقول آخر قريب منه هو « ان اسباب النزول لا يمكن ان تدرك بالرأي ولا بد فيها من الرواية الصحيحة والسمع ممن شاهدوا التنزيل أو وقفوا على الأسباب »^(٧) . .

هذا ونورد في ادناه مثلين لأسباب النزول لنرى مدى الحاجة القصوى للوقوف عليها حيث لولا ذلك لحرم ما ابيح أو لاطلق ما قيد أو ترك ما فرض الخ وهذان المثالان هما :

١ - انه لولا بيان سبب النزول في الآية التالية لظل الناس إلى الآن يبيحون شرب الخمر اخذاً منهم بظاهر هذه الآية « ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا »^(٨) حيث روي ان البعض كان يبيحون شرب الخمر ويحتجون بهذه الآية وخفي عليهم ان سبب نزولها يمنعهم من تناول ذلك مطلقاً ، بسبب انه عندما نزلت آية تحريم شرب الخمر قال قسم من الصحابة للرسول (ص) كيف الحال باخواننا الذين ماتوا وهي في بطونهم وقد اخبرنا الله انها رجس ، فانزل الله تعالى الآية المذكورة . .

٢ - كما وانه لولا أسباب النزول لأباح الناس لأنفسهم التوجه في صلاتهم تلقاء الجهة التي يرغبون فيها عملاً بظاهر الآية : ﴿ والله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله إن الله واسع عليم ﴾^(٩) . .

(٦) علوم القرآن - أحمد عادل كمال .

(٧) التعبير الفني في القرآن - الدكتور بكري شيخ أمين .

(٨) المائدة : ٩٣ .

(٩) البقرة : ١١٥ .

بينما الحقيقة ان سبب نزول هذه الآية هو معالجة احوال فئة من المسلمين صلوا مع الرسول (ص) في ليلة مظلمة فلم يعرفوا اتجاه القبلة حيث صلى كل واحد منهم إلى جهة خاصة وفقاً لاجتهادهم ، فلم يضيع الله تعالى لأحد منهم عمله^(١٠) . .

هذا ونشير هنا إلى انه يمكن ان يتعدد ما ينزل من الآيات الكريمة ولكن السبب واحد وهو ما يعبرون عنه بقولهم « تعدد النازل والسبب واحد » كما ولا يمنع من ان تتقدم نزول الآية على الحكم . .

اما فوائده معرفة اسباب النزول فيمكن جمعها فيما يلي :^(١١)

١ - معرفة حكمة الله تعالى التي دعت إلى تشريع الأحكام ومن نزلت فيه الآية على التعيين كأسماء الأعلام أو الأماكن أو الاتجاهات . . الخ .

٢ - اشارة السبيل للمعنى في الوصول إلى المعنى المراد لأن العلم بالسبب يسهل العلم بالمسبب .

٣ - ابعاد فكرة الحصر أو ابعاد فكرة العموم بالسبب . .

٤ - الاستفادة في قياس أمر على أمر آخر نزلت الآية فيه بجامع العلة في كل من الأمرين . .

٥ - تيسير الحفظ والفهم لربط الآيات بالحوادث . .

٦ - عدم حمل الآيات على غير من وردت فيه بدافع الخصومة أو التحامل^(١٢) . .

ونشير أخيراً هنا إلى ان العبرة بعموم اللفظ القرآني لا بخصوص

(١٠) مباحث في علوم القرآن - الدكتور صبحي الصالح .

(١١) دراسات في علوم القرآن - عبد القهار العاني .

(١٢) مباحث في علوم القرآن - مناع القطان .

السبب الذي استدعى نزوله حيث ان « السبب الذي نزل اثره الوحي لا يحبس التشريع العام ولا يقيد ، وانما يكون ذلك السبب مجرد مؤشر لنزول الوحي فيشملة الحكم النازل ويبقى هذا الحكم على عمومته سارياً على كل الوقائع والأحداث المماثلة لذلك السبب » (١٣) . .

ويؤكد هذا المعنى قول الامام محمد الباقر - ع - (١٤) : « ان القرآن حي لا يموت وان الآية حية لا تموت فلو كانت الآية اذا نزلت في الاقوام وماتوا ماتت الآية لمات القرآن ، ولكن هي جارية في الباقيين كما جرت في الماضين » . .



-
- (١٣) موجز علوم القرآن - داود العطار .
- (١٤) الإمام محمد الباقر هو الإمام الخامس (عند الامامية) وهو ابن الإمام علي زين العابدين بن الحسين بن علي - ع - . .
- ولد عام ٥٧ من الهجرة سمي الباقر لأنه تبقر في العلم أي توسع فيه ، وفيه يقول الشاعر :
- يا باقر العلم لأهل التقى وخير من سما على الأجل
وكان عمره يوم استشهاد جده الحسين - ع - بكر بلاء ثلاث سنوات .
- توفي عام ١١٣ هـ وقيل ١١٧ هـ ودفن في مقبرة البقيع بالمدينة المنورة إلى جوار والده - ع - . .



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

أثر القرآن في اللغة العربية

مركز تحقيقات علوم القرآن

يذهب كثير من الكتاب والمؤرخين عند بحثهم في أسس القومية وعواملها إلى ان العناصر الرئيسية التي تكوّن القومية وتؤلف الأمة وتميز بعضها عن بعض هي : (١) .

١ - اللغة : لأنها بمثابة محور القومية وعمودها الفقري . .

٢ - التاريخ : لانه بمثابة شعور الأمة وذاكرتها . .

اضافة إلى وجود عوامل أخرى تؤثر في تكوين الأمم فتقوي تأثير العاملين الاساسيين المذكورين اعلاه تارة وتضعف ذلك التأثير طوراً وهي :

مركز تحقيق وتطوير علوم إسلامي

١ - الدين : لأنه من أهم الروابط الاجتماعية التي تربط الأفراد بعضهم ببعض وتؤثر في سير السياسة والتاريخ .

٢ - الاتصال الجغرافي : لأنه يؤدي إلى عدم بقاء اجزاء الأمة الواحدة منفصل بعضها عن بعض . .

٣ - وحدة الأصل والدم : حيث ان الاعتقاد بوحدة الأصل والشعور بالقرابة يعمل عملاً هاماً في تكوين الأمم . .

٤ - الآمال والالام المشتركة : لأنها بمثابة الدافع لتضامنها واتحادها .

٥ - العادات والأعراف : لأنها تبعد ما يسبب تنازعها واختلافها . .

كما توجد عوامل أخرى دون هذه قوة ومضاء في بناء القومية لا مجال لايرادها في هذا الوجيز . .

وهناك أيضاً من ذهب إلى ان بعض العناصر والعوامل الخمسة الأخرى اعلاه هي كـا لعناصر الرئيسية (اللغة والتاريخ) في قوتها وتأثيرها ، لما تسببه من اثر فعال في تكوين الأمم وتميزها عن غيرها . .

ولقد رغبت في ختام هذا الكتاب ان اشير باختصار إلى انه في القرآن « جانباً عربياً كما اعترف به علماء اللغة ومؤرخوا الأدب والمفسرون المعنيون باللغة وفيه اكثر من آية تدل على عروبة القرآن لغة وصياغة وفناً واعجازاً بلاغياً ساحراً »^(٢) وإلى أثر ذلك في اللغة العربية^(٣) العنصر الرئيسي في القومية العربية يحفظ هذه اللغة وابعاد ما قد تتعرض له من لحن أو عجمة ، ولما بث فيها من روح الحيوية ونشرها في الأفاق - كما سيلي تفصيله - وما سببه هذا الأمر (في السابق على الأقل) من توثيق لعرى الوحدة العربية بين الجماهير العربية في كافة امصارهم وديارهم ، وما يمكن ان يؤديه في الوقت الحاضر أو في المستقبل من حوافز لبلوغ هذه الوحدة والتي يمكن الاستعانة بها بعد ذلك لبلوغ وحدة المسلمين وهي الوحدة الانسانية التي ستضم تحت جناحها - فيما تضم - شعوباً وأممًا وقوميات مختلفة حيث ستعمل هذه لاسعاد الانسان العربي والمسلم وتحقيق اهدافه الخيرة والنبيلة . .

-
- (١) آراء وأحاديث في الوطنية والقومية - ساطع الحصري .
(٢) القرآن والعقلية العربية - نعمة هادي الساعدي .
(٣) تعدد اللغة العربية من أرقى اللغات السامية فلا تصل إليها اللغة الآرامية ولا العبرية ولا غيرها ، فضلاً عن أنها أرقى لغات العالم طراً وأولها وكل لغة سواها حدثت فيما بعد ، فهي تقدم على اللغات الآرية إضافة إلى السامية بسعة اشتقاقاتها وكثرة مرونتها والمعاني المجازية التي تستعمل فيها الكلمة . . الخ حتى قال الأوائل : « العربية خير اللغات والألسنة والاقبال على تفهمها من الديانة إذ هي أداة العلم ومفتاح التفقه في الدين . . الخ » .
وكل هذه مكنت اللغة العربية لأن تكون لغة القرآن الكريم والحديث الشريف بما يضمنان من معاني وأغراض هي في منتهى السمو والنبيل . .

علماً بأن تحقيق هذه الوحدة كم سيكون سهلاً ومسيراً اذا ما علمنا بأن العامل الرئيسي الثاني في بناء القومية وهو - التاريخ - بدوره مشترك ومترايط ما بين العرب والمسلمين ايما ترابط . . بسبب ان التاريخ العربي ما هو - في الحقيقة - إلا صورة مصغرة للتاريخ الاسلامي لأن الامجاد والمآثر التي سطرها العرب في تاريخهم وتراثهم هي نفس امجاد المسلمين ومآثرهم ، كما وان كل مصيبة قد حلت بالعرب أو لحقت بديارهم قد اصابَت المسلمين وحلت بأرضهم .

لذا فلننا مغالين اذا قلنا انه لا اسلام بغير عرب كما وانه لا عرب بغير اسلام ، فالعرب مادة الاسلام والاسلام سبيل عزة العرب ورفيهم .

هذا فضلاً إلى ان بعض العوامل الثانوية الأخرى في بناء القومية كالدين والاتصال الجغرافي والأمال والعادات هي - كالعنصرين الرئيسيين - مشتركة بين الاثنين ويصعب فرزها أو فصلها . .

نعود إلى صلب الموضوع وهو أثر القرآن في اللغة العربية وادبها وفنونها حيث نشير إلى الأثر الكبير الذي تركه القرآن في هذه اللغة وكيف تولّى الحفاظ عليها ونشرها في بقاع الأرض عبر النقاط التالية :

١ - اعتبرت اللغة العربية الرسمية للدولة الإسلامية الفتية التي أمتدت حدودها من أقصى المشرق إلى أقصى المغرب والتي ضمت مختلف الشعوب والأمم ومن دونما طمس أو محو للغات المحلية أو الحط منها - فكانت هناك في البلاد الإسلامية - غير العربية - لغتان احدهما الرسمية وهي اللغة العربية التي يكلم بها المحررون العرب وصفوة أهل البلاد ومن اتقنها من غيرهم . .

والأخرى هي لغة الأمم والبيت وينطق بها سواء الناس من الفرس والاكراذ والأتراك والهنود والافغانيين والصينيين وغيرهم . .

٢ - التقاء أبناء العروبة على لغة (لهجة) واحدة وهي لغة قريش في مكة المكرمة حاضرة الحجاز واعتبارها لغة التدوال والسلطة والحكم والسياسة والإدارة والحياة ، بينما كنا نرى قبل الإسلام ان لكل قبيلة وبلدة لهجة خاصة بها ولحن تعرف به من غيرها . .

٣ - كانت اللغة العربية هي لغة سكان الجزيرة العربية والتي لاتعدو اغراضها مطالب الحياة الضيقة التي كانوا يحيونها ، ولكن عند بزوغ فجر الاسلام واندفاع العرب إلى خارج جزيرتهم من أجل تحرير البلدان المجاورة والبعيدة من نير الظلم والطغيان ومن أجل نشر مبادئ الاسلام وشريعته الغراء ، انتقلت معهم - بالطبع - لغتهم العربية فانتشرت في هذه البلدان شرقاً وغرباً من جنوب فرنسا إلى تخوم الصين في الشرق وأخذ المسلمون وكثير من سكان هذه البلدان ومن كل لوانا لغة يتعلمون ويتحدثون بها وذلك إما من أجل اداء بعض الفرائض الدينية والتي لا تصح إلا باللغة العربية كالصلاة مثلاً ، أو من أجل القرآن الكريم واحاديث الرسول (ص) أو التفاهم بعد ذلك مع أفراد القوات العربية المحررة لامصارهم وديارهم . .

٤ - لقد كان للقرآن الكريم أثر كبير وخطير في نشوء عدة علوم وفنون لم تكن موجودة من قبل ذلك لأن حرص المسلمين على صيانة كتابهم المجيد من اللحن والتحريف اضطهرهم ودفعهم لاختراع وإيجاد علوم مختلفة كالنحو والصرف والاشتقاق والبيان والبديع والمعاني والبلاغة واللغة^(٤)، اضافة إلى العلوم الأخرى المرتبطة به من قريب أو بعيد كعلم

(٤) قال الراغب الاصفهاني في محاضراته يصف القرآن : « الفاظ القرآن هي لب كلام العرب وزيدته وواسطته وكرائمه وعليها اعتماد الفقهاء والحكماء في أحكامهم وإليها مفرع حذاق الشعراء والبلغاء في نظمهم ونثرهم وما عداها الالفاظ المتفرعات عنها والمتنقاة منها هو بالاضافة إليها كالفقشور والنوى بالاضافة إلى أطايب الشعر وكالحثالة والتبن بالنسبة إلى لبوب الحنطة » .

الشريعة والاجتماع والأخلاق والتاريخ والقصص والحكم والتفسير والفقه . .

٥ - بعد الاختلاط والتمازج الكبير الذي جرى بين العرب وبين سكان البلدان الأخرى من المسلمين كان لا بد للغة العربية ان تنصهر أو تختلط مع اللغات المحلية فتفقد - لذلك ، بل ان العرب انفسهم بعد ان توزعوا في مختلف اقطارهم قد اختلفت لهجاتهم ما بينهم حيث نرى (٢٢) لهجة عربية محلية لـ (٢٢) قطر عربي مستقل ، ناهيك عن اللهجات المختلفة داخل القطر العربي الواحد . .

إلا ان اللغة العربية الفصحى المشتركة ما بينهم وهي لغة القرآن واحدة وهي التي جمعتهم وتجمعهم على مائدة العروبة ، كما وظلت اللغة الأدبية والعلمية بينهم مشتركة وهي لغة لا يمكن ان تتبدل أو تتغير إلا بتبدل القرآن وتغيره ، وهذا هو منتهى الاستحالة وابعد الاحتمالات .

٦ - هذب القرآن الكريم اللغة العربية بما ورد فيه من الأساليب البديعة والألفاظ الكريمة والجميل الجميلة مما دعا أبناء الضاد إلى استعمال هذه الأساليب والالتزام بهذه الألفاظ والجميل عند الكتابة والخطابة ، فذهب غريب اللغة وأدبر غير مأنوسها ومألوفها ليحل محله الأسلوب النبيل والمعاني الحميدة والألفاظ الرقيقة العذبة المأنوسة . .

وكان لهذا الأسلوب الجديد والمعاني الجميلة أيضاً أثر كبير في تقويم اخلاق العرب وتصحيح بعض طباعهم وعاداتهم الخ .

٧ - وسع القرآن اغراض اللغة فاصبحت وسيلة للتعبير عن عقائد الدين عند البحث عن توحيد الله والنبوة وما تتطلبه هذه من الإيمان بالبعث والدار الآخرة . .

٨ - كما وسع القرآن الكريم مادة الفاظ اللغة بالتوسع في دلالاتها وإخراجها من معنى إلى معنى وبين الأول مشابهة ورابطة ، كما فعل

في الفاظ الصلاة والصيام والزكاة والمسلم والكافر . . الخ حيث ان
المعنى اللغوي لهذه الكلمات هو غير المعنى الاصطلاحي لها . .

٩ - اتخذ الأدباء وارباب القلم والبيان اسلوب القرآن هادياً وأما ما في
طريقته البيانية واسلوبه البديع فاغترفوا من معانيه وحفظوا روائعه فكان
لهم منه معين فياض (بما لمسوا فيه من نماذج البيان وصور الجمال)
ظهر ساطعاً وجلياً في خطبهم وشعرهم وادبهم ورسائلهم على مدى الأيام
والدهور



الخاتمة

عندما يطلّ القارئ العزيز على مشارف هذا الفصل يكون قد ودع الكتاب بفصوله وابحاثه الوداع الأخير . .

وطبيعي ان كل من يفرغ من مراسيم هذا التوديع من القراءة يكون قد كوّن في ذهنه فكرة خاصة ورأياً معيناً عن الكتاب ومحرره . .

واذا حق لي هنا ان التمس من أولئك القراء الذين واكبوا رحلة القراءة واستعراض فصوله من البداية شيئاً فلا أقل من ان يتفضلوا - مشكورين - بموافاتي بشيء مما علق في اذهانهم من آراء وافكار عن الكتاب والكاتب ، ليتمكن الاستعانة بها اذا ما حاول هذا القلم القاصر ان يستأنف مسيرته من جديد أو قدّر لهذا الكتاب ان يولد للمرة الثالثة^(١).

واري انه لو قدّر وان التقى القراء على مائدة تلبية هذه الدعوة والاستجابة لهذا النداء لراحت ولجزمت سلفاً على حقيقة ما ستضم هذه الاجابات وما سيرد فيها من ملاحظات وانطباعات . .

(١) لقد شاء الله سبحانه لهذا الكتاب أن يطبع مرة ثانية - وهي هذه الطبعة - وطبيعي أن القارئ الكريم قد لمس بيديه الفارق الهائل بين الطبعة هذه والأخرى التي سبقتها سواء في المادة أو الأسلوب أو الابواب الجديدة أو في حذف بعض الافكار والمواضيع التي هي غير جديرة بالتسجيل . .

وكما قلت - ولا زلت - فإن الفضل في كل ذلك يرجع إلى أولئك الذين تولّوا الكتابة إليّ مشيرين عبرها إلى المآخذ والتي قمت بتلاقيها أو المآتي والتي أكدت عليها ، راجياً لهم جميعاً دوام الخير والتوفيق . .

وكل هذه الأجوبة والملاحظات التي خطت عن الكاتب والكتاب
إذا هي اختلفت في شيء فإنها ستلتقي - كما اظن - في الإشارة إلى ما
في هذا الكتاب من ضعف في الأسلوب وارتباك في المعاني وربما تطفل
الكاتب على الكتابة والأدب ومحاولته اقحام نفسه من دونها جدارة أو
استحقاق بين صفوف أهل الفكر وأرباب القلم والبيان .

واني ازاء هذه الأجوبة الصريحة والواضحة - لا املك - إلا ان أقدر
واثمن صراحة كتابها لأنها جاءت معبرة بصدق عن الحقيقة والواقع ومن
دون ان يشوبها طائف من النفاق أو المراهنة . .

واني في الوقت الذي أقدر هؤلاء القراء على رسائلهم لأرجو منهم
مرة أخرى التكرم بإتمام جميلهم بأشعاري بالوسائل والطرق التي ينبغي
سلوكها لكي نجعل أسلوب الكتاب أكثر تقدماً وحيوية ومعاني الكتاب
أكثر جلاء ووضوحاً ، حتى لا يكون بعد ذلك تطفل من صاحب هذا
القلم على الأدب والفكر . .

وفي الحق ان تسجيلي لهذه الحقيقة لم يكن تواضعاً أو تصغيراً بل
هو كل الحقيقة عن الكتاب والواقع عن الكاتب والتي ادركها القراء
فجاءت ساطعة وواضحة عبر أجوبتهم الأنفة الذكر . .

بقي ان اشير بعد هذا انه اذا ما كان هناك من عاصم أو شفيع
يحميني من أوزار ما يشوب أسلوب هذا الكتاب من تردي أو سقط فهو
ان هذا الانتاج ما هو في الحق إلا باكورة ما قمت به في ميدان الكتابة
والتدوين فضلاً عن اني بعد ذلك لست كاتباً محترفاً ولا مؤلفاً ممارساً أو
ممن يطمع في ان يكون في يوم ما كذلك وذلك حرصاً على ألا ينضم
إلى صفوف هؤلاء الكتاب والمؤلفين - في الوقت الحاضر على الأقل -
من لا يملك اسباب الكتابة وأوليات التأليف . .

والآن تقضي - ايها القارئ الحبيب - اللحظات الأخيرة عبر رحلتنا

التاريخية معك عبر اجواء هذا الكتاب ، وبعد عدة سطور لا تتجاوز قرائتها عدة دقائق ستدع هذه الصفحة لتطبق على اخواتها تمهيداً لطبيها جميعاً ووضعها في مكانها بالمكتبة .

وقبل ان تختتم هذه الدقائق المعدودة احببت ان استعيد بعض ما كتب آنفاً عن القرآن وفنونه وآدابه . .

ان كل ما كتب عن القرآن آنفاً لا يمكن ان نورده في هذه السطور لأن ايراده هنا لا يكلفنا اكثر من أن نوجه القارئ الكريم لقراءة الكتاب من بدايته ، ولكن لو امكن ايجاز هذه الدراسة في هذه السطور فلا أقل من ان نقول بأن القرآن ، في الحق ، ليس كتاباً كسائر الكتب التي تقرأ للتسلية وقضاء الوقت وقتل الفراغ وانما ينبغي ان يقرن العمل مع القراءة والتضحية مع المطالعة . .

وكم يا ترى سيكون هذا العمل مثمراً وهذا العطاء مضموناً اذا ما علمنا بان القرآن الكريم ليس هو فقط دستور خالد انزله الله سبحانه من أجل قيادة البشرية وارشادها نحو العزة والمنعة وارتقاء وانما هو بالاضافة إلى ذلك علم ونظام وفن وأدب ورياضة وتصوير وثقافة واخلاق وعبادة . .

ان المرء منا يتعب نفسه السنين الطوال بيردها وحرها في المعاهد والجامعات من أجل الحصول على تخصص في لون أو فرع واحد من فروع العلم والأدب والفن أو غير ذلك وقد يخفق في النهاية او ان ينال شيئاً منها . .

ولكن اذا ما ولى وجهه شطر الدراسات القرآنية لدراستها لتمكن في نفس تلك الفترة من الوقوف والاطلاع على قليل أو كثير من علوم القرآن وفنونه وآدابه واخلاقه والتي ستنتفعه ليس فقط في هذه الدنيا بل وفي الآخرة حيث لا ينفع فيها أي مركز أو سلطان أو نفوذ . .

هذا وان المجتمع الانساني يمر الآن بمرحلة حاسمة وخرجة من عمره وانه لا سبيل له في بلوغ اهدافه وغاياته في التقدم والإزدهار من دون ان يسير في طريق الايمان ويحكم ارادة الله وتعاليمه ونظمه . . وغيرها فيما ينشأ بين افراد هذا المجتمع من علاقات ومعاملات . .

علماً بأن كل محاولة يراد من ورائها النهوض بهذا المجتمع مع تنكب هذا السبيل القويم سيكون مصيرها المحتم هو الفشل الذريع وستبعث فيه مزيداً من الفوضى والارتباك والهزات . .

ولو قام هذا المجتمع على قدميه بدون ذلك - جدلاً - فوقوفه هذا سيكون على قاعدة واهية ومضطربة ولفترة جد قصيرة حيث لا تلبث هذه الفوضى وهذه الهزات ان تعصف فيه لتسقطه من عليائه ليصبح اثرأ بعد عين ونسياً منسياً .

هذا هو ما احببت ان اسجله في آخر فصل من هذه الدراسة وهو نفسه الذي آثرت ان يكون مسك الختام . .

مركز تحقيقات الكمبيوتر علوم إسلامي

والحمد لله رب العالمين نهاية لا تزال تبدأ وبدء لا ينتهي . .

محمد علي يوسف الأشيقر

كربلاء

١٩٦٦م - ١٣٨٦ هـ

المصادر والمراجع

- ١ - نهج البلاغة الإمام علي بن أبي طالب
- ٢ - آلاء الرحمن في تفسير القرآن الشيخ محمد جواد البلاغي
- ٣ - البيان في تفسير القرآن السيد أبو القاسم الخوئي
- ٤ - مجمع البيان في تفسير القرآن أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي
- ٥ - الإتقان في علوم القرآن جلال الدين السيوطي
- ٦ - منهج البيان في تفسير القرآن السيد ابن الحسن الرضوي
- ٧ - مباحث في علوم القرآن الدكتور صبحي الصالح
- ٨ - مباحث في علوم القرآن مناع القطان
- ٩ - تاريخ القرآن أبي عبد الله الزنجاني
- ١٠ - تاريخ القرآن محمد طاهر الكردي
- ١١ - تاريخ القرآن الدكتور عبد الصبور شاهين
- ١٢ - تاريخ القرآن والتفسير الدكتور عبد الله محمود شحاته
- ١٣ - البرهان في علوم القرآن بدر الدين محمد عبد الله الزركشي
- ١٤ - تاريخ القرآن إبراهيم الأبياري
- ١٥ - اعجاز القرآن أبو بكر الباقلاني
- ١٦ - اعجاز القرآن والبلاغة النبوية مصطفى صادق الرافعي
- ١٧ - القرآن المجيد محمد عزة دروزة
- ١٨ - القرآن والإسلام محمد حسين الطباطبائي
- ١٩ - القرآن محمد صبيح
- ٢٠ - القرآن والعلم الحديث عبد الرزاق نوفل
- ٢١ - القرآن والعقلية العربية نعمة هادي الساعدي

- ٢٢ - القرآن محاولة لفهم عصري
٢٣ - موجز علوم القرآن
٢٤ - علوم القرآن
٢٥ - دراسات في علوم القرآن
٢٦ - ترجمة القرآن
٢٧ - مقدمتان في علوم القرآن
٢٨ - محاضرات في تفسير القرآن
٢٩ - فضائل القرآن
٣٠ - نظرات في القرآن
٣١ - علي وتفسير القرآن
٣٢ - التاريخ الجغرافي للقرآن
٣٣ - تأويل مشكل القرآن
٣٤ - من بلاغة القرآن
٣٥ - التبيان في آداب حملة القرآن
٣٦ - التعبير الفني في القرآن
٣٧ - التصوير الفني في القرآن
٣٨ - مشاهد القيامة في القرآن
٣٩ - الظاهرة القرآنية
٤٠ - فوائد قرآنية
٤١ - التعريف بالقرآن والحديث
٤٢ - المصاحف
٤٣ - المصحف الشريف
٤٤ - تاريخ المصاحف العثمانية
٤٥ - التفسير والمفسرون
٤٦ - النسخ في الشريعة الإسلامية
٤٧ - تاريخ التشريع الإسلامي
٤٨ - الدين والإسلام
- مصطفى محمود
داود العطار
احمد عادل كمال
عبد القهار داود العاني
عبد الوكيل الدروبي
ارثر جفري
إسماعيل الصدر
اسماعيل بن كثير القرشي
محمد الغزالي
محمد جواد مغنية
مظفر الدين نادقي
ابن قتيبة الدينوري
الدكتور أحمد أحمد بدوي
يحيى شرف الدين النووي
الدكتور بكري شيخ أمين
سيد قطب
سيد قطب
مالك بن نبي
أحمد خيرى
محمد الزفزاف
أبو داود السجستاني
الدكتور محمد عبد العزيز مرزوق
محمد هادي معرقه
محمد حسين الذهبي
عبد المتعال محمد الجبري
محمد الخضري
محمد حسين كاشف الغطاء

- ٤٩ - الإسلام على ضوء التشيع
٥٠ - فجر الإسلام
٥١ - ضحى الإسلام
٥٢ - روح الدين الإسلامي
٥٣ - فلسفة التشريع في الإسلام
٥٤ - الإسلام روح المدينة
٥٥ - الإسلام سبيل السعادة والسلام
٥٦ - التشريع الجنائي الإسلامي
٥٧ - نظرة عامة في تاريخ الفقه الإسلامي الدكتور علي حسن عبد القادر
٥٨ - القراءات واللهجات
٥٩ - النبأ العظيم
٦٠ - المعجزة الخالدة
٦١ - أصول الفقه
٦٢ - الفهرست
٦٣ - معالم في الطريق
- حسين الخراساني
الدكتور أحمد أمين
الدكتور أحمد أمين
عفيف عبد الفتاح طيارة
صبحي المحمصاني
مصطفى الغلاييني
الشيخ محمد الخالصي
عبد القادر عودة
عبد الوهاب حمودة
الدكتور محمد عبد الله دراز
هبة الدين الشهرستاني
محمد الخضري
ابن النديم
سيد قطب



مركز تحقيقات كميوتير علوم اسلامی

فهرس

الموضوع	الصفحة
حكمة الكتاب	٣
الإهداء	٤
تقريض	٥
المقدمة للدكتور جابر العطا	٦
تصدير للأستاذ عبد الأمير ذياب	٩
استهلال	١٢
هذا الكتاب في طبعته الثانية	١٨
الإمام الحمامي في تعقيبه على الكتاب	٢٩
كلمة في تقريض هذا الكتاب للأستاذ سلمان هادي الطعمة	٣٥
تعليق على المؤلف والمؤلف للأستاذ حميد مجيد هدو	٣٨
التعريف بالقرآن	٤٣
أسماء القرآن وصفاته	٦١
طبيعة المجتمع العربي في عصر النبوة	٧٥
القرآن في طريقه إلى الأرض	٨٩
الجمع الأول للقرآن	١٠٩
الجمع الثاني للقرآن	١٣١
الجمع الثالث للقرآن	١٤٩

الموضوع	الصفحة
مصحف في التاريخ	١٦٧
ضبط آيات القرآن	١٨٥
القرآن المكي والقرآن المدني	١٩٧
الناسخ والمنسوخ في القرآن	٢١١
محكم القرآن ومتشابهه	٢٢٥
تفسير القرآن	٢٣٥
ضوء على بعض التفاسير المتداولة	٢٥٧
إعجاز القرآن	٢٧٩
صور من الإعجاز الفني في القرآن	٢٩٧
العناية بالقرآن	٣١٣
طرائف الإحصائيات والفرائد في القرآن	٣٣١
القرآن في نظر غير المسلمين	٣٤١
الحروف المتقطعة في أوائل السور	٣٥٧
خلق القرآن وقدمه	٣٦٧
الإسراء والمعراج في القرآن	٣٧٣
الحروف السبعة في القرآن	٣٨١
أسباب النزول	٣٩٣
اثر القرآن في اللغة العربية	٤٠١
الخاتمة	٤٠٨
المصادر والمراجع	٤١٢
الفهرست	٣١٥